جامعة قطر

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

بناء العقليّة النقديّة في القرآن الكريمِ

إعداد

حمدة خميس محمد الشهواني

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلَّبات

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

للحصول على درجة الماجستيرفي

التفسير وعلوم القرآن

يناير ٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

© ٢٠٢٢م. حمدة خميس محمد الشهواني. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدَّمة من الطالبة حمدة خميس محمد الشهواني بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٥م، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاءَ اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قَبول رسالة الطالبة المذكور اسمُها أعلاه، وحسب معلومات اللَّجنة فإن هذه الرسالةَ تتوافق مع متطلَّبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءً من امتحان الطالبة.

د. رمضان خميس عبد التواب

مشرف

د. عبد الرحمن حللي

مناقش

د. محمد عبد الحليم بيشي

مناقش

أ.د. عبد الله أحمد الزيوت

مناقش

تمَّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة.

المُلخَّص

حمدة خميس محمد الشهواني، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يناير ٢٠٢٢م.

العنوان: بناء العقليّة النقديّة في القرآن الكريمِ

المشرف على الرسالة: د. رمضان عبد التواب،

تُعنى هذه الرسالةُ من خلال الدراسة الاستقرائيّة والتحليليّة لآيات القرآن الكريم؛ باستنباط كيفية البناء القرآنيُّ للعقليّة الناقدة، لذلك كان لا بُدَّ من العروج أوّلًا على المصطلحات الخاصّة بعنوان الرسالة؛ وذلك من خلال التمهيد، وقد أتت الرسالة في فصلين:

الفصل الأول: يوضّح أهمّيّة بناء العقليّة الناقدة للفرد والمجتمع المسلم، ثمّ كيفيّة البناء القرآني للعقليّة الناقدة من خلال البناء المعرفي والبناء النفسي.

والفصل الثاني: جاء ليوضّح منهجيّةَ القرآن الكريم في البناء ووسائله، ثمّ أبرز المعوّقات التي تقف أمامَ البناء الصحيح للعقليّة الناقدة.

توصّلت الباحثة إلى وجود الأدلّة القرآنيّة الكثيرة التي تصنع للمسلم عقليّةً ناقدةً بشرطِ العيشِ معه والأخذِ به: تدبّرًا واستنباطًا وعملًا، من دون فصله عن واقع الحياة.

ABSTRACT

Building the Critical Mindset in the Holy Qur'an

Through the inductive and analytical study of the Holy Qur'an's verses, this thesis is concerned about the deduction of the way the Holy Qur'an builds the critical mindset. Therefore, it is necessary to study in the introduction the major terminologies related to the title of this thesis .

and has come two chapters. The first chapter clarified the importance of building the critical mindset of the Muslim individual and society. It declared the way the Qur'an builds the critical mindset through the cognitive building and psychological building. The second chapter identified the Holy Qur'an's methodology and tools in building the mindset and highlighted the most important obstacles that inhibit the correct building of the critical mindset .

The researcher concluded that there are many Qur'anic verses that help the Muslim to have a critical mindset if he follows and adopts it in contemplation, reference and practice. He should not separate it from real life.

شكر وتقدير

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمدُ لله على عظيم إحسانه، والشكرُ له على دوام توفيقه وإنعامه، فله الحمدُ أوّلًا وأخرًا على تفضّله عليَّ بإتمام الرسالة.

ومن باب الشكر الذي أمرنا الله به فلا بُدَّ من شكر أهل الفضل والعطاء الذين كان لهم أثرٌ في التعليم والإرشاد والتوجيه، من الأساتذة الفضلاء في كلّيّة الشريعة بجامعة قطر، وأخصّ بالذكر الدكتور الفاضل رمضان خميس، المشرف على رسالتي، والذي كان لي الداعمَ الأوّلَ في اختياري لموضوع الرسالة، والموقدَ الدائمَ للثراء الفكريّ، سواءٌ أثناءَ المقرّرات أو أثناءَ كتابتي للرسالة، لا حرَمَه الله الأجرَ، وأمدَّ في عمره وعمله.

كما أشكر كلَّ من تعلّمت على يده، وأوقد لي فكرًا وعلمًا، وخاصّةً مشايخي أهلَ القرآن.

الإهداء

إلى أعظم رجُلٍ في حياتي... **أبي**

إلى المعلِّمة الأولى في حياتي... صاحبة الحكمة والصبر... **أمي**

رحمة الله عليهما

إلى السند والأمان في حياتي كلها... **زوجي المبارك**

إلى أجمل هبات الله لي في هذه الحياة أبنائي... **فلذات أكبادي**

حفظهم الله ورعاهم

إلى كلّ من علّمني حرفًا في العلم الشرعيّ

أُهدي له ثمرة هذا البحث..

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....هـ

الإهداء..... و

المقدمة..... ١

التمهيد: مقدّماتٌ أساسيَّةٌ في تعريف مصطلحات الدراسة..... ١١

المطلب الأول: تعريف البناء في اللغة والاصطلاح، واستعمالاته في القرآن الكريم... ١٢

المطلب الثاني: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح واستعمالاته في القرآن..... ١٤

المطلب الثالث: تعريف النقد في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني..... ٢٢

الفصل الأول: البناء القرآني للعقلية الناقدة..... ٣٤

المبحث الأول: أهمّيّة العقليّة النقديّة ٣٥

المطلب الأول: حال البشرية قبل نزول القرآن الكريم وبعده. ٣٦

المطلب الثاني: هل العقل مفطورٌ على النقد؟..... ٥١

المطلب الثالث: أهمّيّة العقليّة النقديّة..... ٥٤

المبحث الثاني: البناء المعرفي للعقلية الناقدة..... ٦٩

المطلب الأول: التوحيد/ الاعتقاد..... ٧٤

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي. ٨٢

المطلب الثالث: العقل والوحي. ١٠٤

المبحث الثالث: البناء النفسي للعقلية الناقدة..... ١١٤

المطلب الأول: معنى النفس وأهمية البناء النفسي للعقليّة الناقدة. ١١٦

المطلب الثاني: أنواع النفس وحالاتها..... ١٣٣

المطلب الثالث: مركزيات البناء النفسي للعقلية الناقدة..... ١٤٥

المطلب الرابع: بناء المناعة النفسية وتعزيزها..... ١٥٨

الفصل الثاني: وسائل القرآن الكريم ومنهجيّته في بناء العقليّة الناقدة ١٦٥

المبحث الأول: وسائل القرآن الكريم في بناء العقلية النقدية ١٦٦

المطلب الأول: القصص القرآني وبناء العقلية الناقدة..... ١٦٨

المطلب الثاني: الحوار وبناء العقلية الناقدة..... ١٧٣

المطلب الثالث: الأمثال وبناء العقلية الناقدة..... ١٨١

المبحث الثاني: المنهجيّة في بناء العقليّة الناقدة ١٨٣

المطلب الأول: معنى المنهج. ١٨٥

المطلب الثاني: قواعد المنهج القرآني في بناء العقلية النقدية..... ١٨٧

المطلب الثالث: مقومات منهجية البناء للعقل النقدي..... ١٩٦

المبحث الثالث: معوقات بناء العقلية الناقدة ٢١٢

المطلب الأول: معوّقات ذاتيّة..... ٢١٤

المطلب الثاني: معوّقات اجتماعيّة. ٢١٩

الخاتمة ٢٢٦

أهم النتائج: ٢٢٦

التوصيات: ٢٢٨

قائمة المصادر والمراجع..... ٢٣٠

المراجع باللغة العربية:..... ٢٣٠

رسائل جامعية:..... ٢٤٣

مقالات في مجلات دورية:..... ٢٤٥

المقدمة

وتشتمل على:

أولًا: فكرة البحث.

ثانيًا: إشكاليّة البحث وأسئلته.

ثالثًا: أهداف البحث.

رابعًا: أهمّيّة البحث ودواعي الكتابة فيه.

خامسًا: حدود البحث.

سادسًا: منهج البحث.

سابعًا: الدراسات السابقة والإضافات العلميّة.

ثامنًا: هيكل البحث.

الحمدُ الله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد: يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

لقد قرّر القرآن الكريم أنّ الحياةَ الحقيقيّة تبدأُ معه ومن خلاله؛ حيثُ مفهومُ الهيمنة والخلود لهذا الكتاب هما الزاد الذي به غذاءُ العقولِ والقلوبِ، ومن خلاله كانت الثّلّة الأولى والنموذج الأول لصناعة الأمّة الحضاريّة، حيثُ الوعيُ والفكرُ والرأيُ الحرُّ والإصلاحُ الذي لا يتوقف.

عندما آمَنَتْ الثلةُ الأولى بالقرآن الكريم على أنّه رسالة الربّ لأهل الأرض؛ كان التغيّر الحقيق لها للخروج من الظلمات إلى النور من عبادة الأوثان إلى عبادة الديان، من مهانة النفس إلى فضاء الحريّة والكرامة، وقد يكون العجب من التحول السريع في هذه الثلّة، الذي حدث بلا حروبٍ ولا إجبارٍ أو مغرياتٍ، لكن مَنْ يقرأ القرآن الكريم بقلبه وعقله يعلم يقينًا أنّ هذا التحولَ ليس خاصًّا أو مستحيلًا؛ بل هذا التحول ممكنٌ، وأمر به الله ودعا إليه، والنموذجُ الأولُ اتّخذ من شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوّلَ المقوّمات لتكوين الشخصيّة المسلمة بشقّيها النفسيّ والعقليّ، لذلك كانوا خيرَ القرون، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، فهذه الشعيرةُ ماهي إلّا الإصلاح أو النقد الإيجابيُّ كما يُطلق عليه أهل هذا الزمان.

وقد تختلف الأسماء والمصطلحات، لكِن ممّا لا شكَّ فيه أنّ هذا الكتاب العظيم يحمل في طياته كلَّ ما يحتاجه البشرُ في هذه الحياة، مهما تطوّر الزمن أو تغيّرت أدوات هذا التطور،

وممّا وُجِد في القرآن وأمَرَ به النقد والعقل الناقد، هذا المصطلح الذي ينادي به الآن الشرقُ والغربُ ويوجّهون المؤسسات والدولَ لتبنّيه في المدارس والجامعات، وتُعْقَدُ الندوات والمؤتمرات لتوضيح معالم منهجه أو وسائل تكوينه وتنميته لدى الأجيال القادمة، معتقدين أنّه علمُ الآخرين، وبالتحديد عِلمٌ غربي، قد وضعوا له الأسس والمناهج، ونحن قوم أعزّهم الله بالإسلام- على يقين بوجوده في الكتاب العزيز، لكن يحتاج منّا إلى تدبّر آيات الله فهمًا وعملًا، والقرآن الكريم يحمل بين طياته الكثيرَ مِن الأمور التي يعوّل عليها أسسا لبناءِ العقليّة الناقدة الواعية، أو المنهجية التي يُبنى بها، لقد نادى القرآن الكريم النفسَ البشرية منذ بدايات نزوله بضرورة التحلّي بهذه الصفة، يقول تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة: ١-٢]، فالنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على التقصير في التقوى وتنتقد فجوره وانحرافه.

إنّ الحاجة الشديدة إلى العقليّة الناقدة لا تتوقف؛ بل تزداد الحاجة مع ضعف البناء أو ضعف المخرجات الإسلاميّة لتكوين هذه العقول، والتاريخ الإسلامي يشهد بذلك، سواءٌ في مواطن الانتصار والنجاح والقوّة أو مواطن الضعف والانكسار والهزيمة.

لقد تسابقت المجتمعات المتطوّرة في تبنّي الدراسات والنظريّات التي تؤسّس لصناعة أجيالٍ ذاتِ عقولٍ ناقدة، بعيوبها ونقصها البشري، والأحرى بنا -ونحن مجتمعاتٌ إسلاميّةٌ ومؤسساتٌ تربويةٌ إسلاميةٌ- علينا أن نلحقَ بالركب، بل نقوده ونوجهه، ونتّخذَ من القرآن العظيم المؤسّسَ الأوّلَ لبناء هذه العقليّة.

وقبل البدء في مضمون الرسالة، أعرج على خطّة البحث؛ مِن خلال العناصر الآتية:

أولًا: فكرة البحث:

تقومُ فكرةُ البحث على وجود مفهوم العقليّة الناقدة في القرآن الكريم، وأنّه قام ببناء العقليّة الناقدة من خلال البناء المعرفيّ والنفسيّ القرآنيّ، كما يمكن استنباط منهجيّة لهذا البناء والوسائل التي استخدمها، ثمّ يتحدّث البحث عن الأسباب التي قد تعيقُ البناءَ الصحيحَ للعقليّة الناقدة.

ثانيًا: إشكاليّة البحث وأسئلته:

علي الرغم من الدراسات الكثيرة التي تحدثت عن العقلية الناقدة، إلا أن هناك قصورا كبيرا في دراسة هذه العقلية من خلال المنهج الإسلامي وبالأخص المنهج القرآني، فكانت إشكالية البحث تدور حول غياب الوعي بمنهجية القرآن الكريم في بناء العقلية الناقدة، وهل عني القرآن الكريم بهذه العقلية الناقدة، ووضع منهجية، واضحة لبنائها وصناعتها.

وجاء البحث للإجابة على الأسئلة الآتية:

١- هل العقليّة الناقدة موجودةٌ في القرآن الكريم؟

٢- هل قام القرآن الكريم ببناء العقليّة الناقدة؟

٣- كيف كان البناء القرآني للعقليّة الناقدة، وما منهجيته في ذلك؟

ثالثًا: أهداف البحث:

١- بيان منهجيّة القرآن الكريم في بناء العقليّة النقديّة.

٢- استشراف جانبٍ مهمٍّ من عظمة الكتاب العزيز في صناعة العقليّة البشريّة على أكمل وجه.

٣- إثبات التوافق بين بناء العقليّة الناقدة في القرآن الكريم مع واقعيّة التطبيق في الحياة.

رابعًا: أهمّيّة البحث ودواعي الكتابة فيه:

- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنّه يناقش كيف كان البناء القرآنيّ للعقليّة الناقدة: من خلال تحديد جوانب البناء المعرفي والنفسي التي تم استنباطها من آيات الكتاب العزيز، كما يتحدّث البحث عن المنهجيّة والوسائل التي اتّبعها القرآن الكريم في هذا البناء؛ وذلك من خلال قضايا أو شخصيات انتقدها، ثمّ يُبيّن هذا البحث بعضًا من المعوّقات التي قد تمنع بناءَ العقليّة النقديّة.

أمّا دواعي الكتابة في هذا البحث فهي:

١- على الرغم من الدراسات التي تناولت موضوع العقليّة النقديّة إلّا أنّ تلك الدراسات في أغلبها لم تخرج عمّا كتبه الغرب وفقَ رؤيتهم، وفي ضوء الحاجة للخروج من عباءة التّبعيّة للغرب بما فيها من تصدير الأفكار، فإنّنا بحاجة إلى إعمال العقل الإسلامي، والخروج بتصوراتٍ ودراساتٍ حديثةٍ وفق المعايير الإسلاميّة، وبالأخصّ المعيار القرآني.

٢- القرآنُ الكريمُ لم يوجّه الإنسان إلى النظر والتفكر العقليّ فقط، وإنّما مقصده إلى ما هو أعمق من ذلك، فمقصدُه تشكيلَ شخصيّة مسلمةٍ متكاملةٍ لها سمة فكرٍ نقديٍّ، قادرٍ على تمييز الحقّ من الباطل بالأدلّة والبراهين، شخصيّةٍ لا تُهزم أمام عواصف التشكيك والإلحاد والانحراف عن درب الله، بسبب بيوت العناكب التي يحيكها أعداء الأمة.

٣- مناقشة قضيّة من قضايا التأصيل الإسلامي.

٤- إبراز ثراءِ المنهج القرآنيّ، وقدرتِه على بناء العقليّة النقديّة المطلوبة في الشخصيّة المسلمة.

٥- الإسهام ولو بقدرٍ بسيط في إثراء الدراسات حولَ موضوع العقل الناقد من منظور قرآني.

٦- الرجاء من الله تعالى أن تُسهم هذه الرسالة في الجهود المبذولة للانطلاق نحو الإصلاح والتجديد، من خلال المنظور الإسلامي للشخصية المسلمة.

خامسًا: حدود البحث:

تقتصر الدراسة على الآيات الكريمة، التي تتناول الجوانب النقدية، وكيفية بناء العقلية الناقدة، ومنهجية هذا البناء، في ضوء فهم المفسرين وعلماء الدراسات القرآنية والعلوم المساندة لها.

سادسًا: منهج البحث:

اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائيّ وذلك من خلال استقراء الآيات الكريمة والتي أرى أنها متعلقة بالعقل الناقد، وهو استقراء ناقص، كما اتبعت المنهج التحليلي من خلال التحليل لمضامين معاني الأيات القرآنية.

سابعًا: الدراسات السابقة والإضافات العلميّة:

بعد البحث في الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة؛ ظهر للباحثة -في حدود الجهد المبذول- أنّه ليس هناك دراساتٌ ذاتُ صلةٍ مباشرةٍ بموضوعها؛ بل هو أمرٌ أشبه بالافتقار، إلّا أنّه وجدت بعض الدراسات التي لها صلةٌ من جانبٍ معيّنٍ مع موضوع الرسالة، وفيما يلي ذِكرٌ لهذه الدراسات وتحديد موضع الالتقاء معها:

أولًا: رسالة الماجستير للباحثة: **خلود عبد الكريم محمود** والمسومة بـ: (النقد الذاتي في ضوء التربية الإسلامية) جامعة اليرموك بالأردن عام ٢٠٠٤م.

تشترك هذه الرسالة مع موضوع البحث المقدّم في جزئيّة الحديث عن النقد الذاتي الذي تمّ الحديث عنه في رسالتي من خلال أنواع النقد، إلّا أنّها تختلف في الموضوع ذاته؛ فهي تتحدّث عن النقد الذاتي من منظور الإسلام، وذلك من خلال الحديث عن خصائص النقد الإسلامي ومقوّماته وأهدافه الشرعيّة، بينما الحديث في رسالتي عن البناء القرآني بصفة خاصّة للعقليّة الناقدة، وكيفيّة البناء القرآنيّ بشقيّه: المعرفيّ والنفسيّ.

ثانيًا: رسالة الدكتوراه للباحثة **لبنى حسن محمد الرشدان** والموسومة بـ: (التفكير الناقد في التربية الإسلامية دراسة تحليلية تأصيلية) وقد نوقشت هذه الرسالة بجامعة اليرموك بالأردن في عام ٢٠٠٩م.

وبعد اطّلاعي على هذه الرسالة تبيّن:

١- أنّها تشترك مع موضوع رسالتي في عرض نماذج من القرآن الكريم للنقد، والحديث عن معوّقات التفكير الناقد.

٢- وتختلف عن موضوع رسالتي في طريقة التعرض للموضوع، فهي تتحدّث عن مفهوم التفكير الناقد في الكتاب والسُنّة بشكل عامٍ، ومظاهر التفكير الناقد لدى الفكر الإسلامي وعلوم المسلمين، بينما موضوع رسالتي يركّز على نوعيّة البناء القرآنيّ للعقل الناقد، ومنهجيّته الخاصّة التي تختلف في طريقة العرض عن رسالة لبنى.

ثالثًا: كتاب التفكير النقديّ بين النظريّة والتطبيق، للدكتور إسماعيل إبراهيم علي، ٢٠٠٩م.

يتعرّض الكتاب للتفكير الناقد من خلال التعريف والنشأة التاريخيّة له، والنظريّات التي فسّرت التفكير الناقد.

يشترك هذا الكتاب مع موضوع الرسالة في تعريف التفكير الناقد، كما أشار الكاتب في لمحةٍ سريعةٍ إلى علاقة القرآن الكريم بالتفكير الناقد.

وتختلف هذه الدراسة عن بحثي في أنّ الحديث عن التفكير الناقد من خلال النظريّات الحديثة والاختبارات الخاصّة به، بينما بحثي يتحدّث عن التفكير النقدي من خلال الحقائق القرآنيّة.

رابعًا: كتاب: فصول في التفكير الموضوعي (ضمن سلسلة الرحلة إلى الذات)، للدكتور عبد الكريم البكار، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

تتحدّث الدراسة عن التفكير الموضوعي بتفاصيله، مع ذكر الأسباب التي دعت إلى ضعف الأمّة الإسلاميّة وانخفاضٍ في فاعليّة المسلم وإنتاجيّته الحضاريّة، وقد احتوى الكتاب على مقدّمة وستة فصول، وتشترك هذه الدراسة مع موضوع رسالتي في الحديث عن نقد الذات والتي تمثل قمم الموضوعيّة، بينما رسالتي تتحدّث بصفةٍ خاصّةٍ عن مفهوم العقل الناقد في القرآن الكريم وكيف كان البناء، وتختلف الدراسة عن موضع بحثي في الحديث عن الموضوعيّة بصفة خاصّة وطرق بناء الإسلام لها، والحديث عن تجلّيات الموضوعيّة عند المسلمين.

ثامنًا: هيكل البحث:

يشتمل البحث على: مقدّمةٍ، وفصلين، وخاتمةٍ مذيَّلةٍ بقائمةِ المصادر والمراجع.

والتفصيل كالآتي:

مقدّمة البحث:

وفيها: فكرة البحث، وإشكاليّة البحث وأسئلته، وأهدافه، وأهمّيّته، ودواعي الكتابة فيه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة المتعلّقة بالبحث، وهيكله.

التمهيد: وفيه:

مفهوم بناء العقليّة النقديّة.

مفهوم البناء.

مفهوم العقل.

مفهوم النقد.

الفصل الأول: البناء القرآني للعقلية الناقدة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمّيّة العقليّة النقديّة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال البشرية قبل نزول القرآن الكريم وبعده.

المطلب الثاني: هل العقل مفطورٌ على النقد؟

المطلب الثالث: أهمّيّة العقليّة النقديّة.

المبحث الثاني: البناء المعرفي للعقلية الناقدة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد / الاعتقاد.

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي.

المطلب الثالث: العقل والوحي.

المبحث الثالث: البناء النفسي للعقلية الناقدة،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى النفس وأهمية البناء النفسي للعقليّة الناقدة.

المطلب الثاني: أنواع النفس وحالاتها.

المطلب الثالث: مركزيات البناء النفسي للعقلية الناقدة.

المطلب الرابع: بناء المناعة النفسية وتعزيزها.

الفصل الثاني: وسائل القرآن الكريم ومنهجيّته في بناء العقليّة الناقدة،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل القرآن الكريم في بناء العقليّة النقديّة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصص القرآني وبناء العقلية الناقدة.

المطلب الثاني: الحوار وبناء العقلية الناقدة.

المطلب الثالث: الأمثال وبناء العقلية الناقدة.

المبحث الثاني: المنهجيّة في بناء العقليّة الناقدة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المنهج.

المطلب الثاني: قواعد المنهج القرآني في بناء العقلية النقدية.

المطلب الثالث: مقومات منهجية البناء للعقل النقدي.

المبحث الثالث: معوّقات بناء العقليّة الناقدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معوّقات ذاتيّة.

المطلب الثاني: معوّقات اجتماعيّة.

الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: مقدّماتٌ أساسيَّةٌ في تعريف مصطلحات الدراسة

ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف البناء في اللغة والاصطلاح، واستعمالاته في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح واستعمالاته في القرآن.

المطلب الثالث: تعريف النقد في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني.

المطلب الأول: تعريف البناء في اللغة والاصطلاح، واستعمالاته في القرآن الكريم.

١- البناء لغةً:

ورد في معجم مقاييس اللغة: "الباء والنون أصلٌ واحدٌ، وهو بناء الشيء؛ بضم بعضه إلى بعضٍ"[١]، والبناء: اسمٌ لما يُبنى بناءً، وهو نقيض الهدم[٢]، وتُسمّى الكعبةُ المشرَّفة البَنيّة، يُقالُ: لا وربّ هذه البَنيّة[٣].

والمِبْناةُ: تكون مستديرةً واسعةً وعظيمةً، كهيئة القبّة، يسكن فيها المطر[٤].

والبَنَّاءُ: مُدَبِّرُ البُنْيان وَصَانِعُهُ، وقد تكون البناية في الشرف[٥].

الخلاصة في المعنى اللغوي:

أ- بناء الشي بضمّ بعضه إلى بعض، على صفةٍ يُراد بها الثبوت.

ب-البناء نقيض الهدم.

ج- البناء في الشرف.

د- البناء في العمران.

---

[١] ابن فارس: أحمد بن فارس القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام أحمد هارون، (د.م، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص٣٠٢.

[٢] ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١٤، ص٩٣.

[٣] ينظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج٨، ص٣٨٢.

[٤] ينظر: **المرجع السابق**.

[٥] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٩٤.

٢- البناء اصطلاحًا:

عرّفه الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) فقال: "وضع شيءٍ على شيءٍ، على صفةٍ يُراد بها الثبوت"[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

نلاحظ وجودَ توافقٍ بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالمعنى في كليهما لا يخرج عن وضع الشيء على الشيء على صفةٍ يُراد بها الثبات والرسوخ.

٣- البناء في القرآن:

جاءت معاني البناء في القرآن على أربعة أوجهٍ:

الوجه الأول: بمعنى المسجد، قال تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ [سورة التوبة: ١٠٩].

الوجه الثاني: بمعنى الصرح، لقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [سورة النحل: ٢٦].

الوجه الثالث: الأتون (بيت النار) قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيم﴾ [سورة الصافات: ٩٧].

الوجه الرابع: تشبيه صفوف المجاهدين في سبيل الله بالبنيان المُتراصّ الثابت، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص﴾ [سورة الصف:

---

[١] أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، **الكلّيّات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٢٤١.

٤][1].

المطلب الثاني: تعريف العقل في اللغة والاصطلاح واستعمالاته في القرآن.

العقل صفةٌ غريزيةٌ وهبها الله تعالى لعباده، وجعله مناط التكليف والتشريف.

١- العقل لغةً:

أصلُ العقل في اللغة جاء بمعنى المنع والحبس، ومنه جاء معنى أنّ العقل هو الحابسُ عن ذميم الأفعال والأقوال[2]، وسُمّي العقل عقلًا لأنّه يعقل صاحبَه من الوقوع في المهالك[3].

ويدور معنى العقل في اللغة على معانٍ عدّةٍ، منها:

أ- الحصن.

ب- المرأة المخدّرة، المحبوسة في بيتها[4].

ج- الحجر والنهي، ويُقال رجلٌ عاقلٌ: أي جامعٌ لأمره، وهو مأخوذٌ مِن: عَقلت البعير، إذا جَمَعْتَ قَوَائِمَهُ.

د- القلب، والقلب العقل.

هـ- المثبّت في الأمور.

و- نورٌ في القلب يعرف الحقّ والباطل[1].

---

[1] يُنظر: الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المحقق: محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٧٧.

[2] يُنظر: ابن فارس، **معجم مقايس اللغة**، ج٤، ص٦٩.

[3] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٤٥٩

[4] يُنظر: الخليل الفراهيدي، **كتاب العين**، ج١، ص١٥٩.

ز- التميّز: الذي يتميّز به الإنسان عن غيره من الحيوانات.

ح- القوّة المتهيّئة لقبول العلم[٢].

ط- الدّية، والعرب في الجاهلية تُسمّي العقل ديةً، حيث كانت الديةُ عندهم من الإبل، يسوقها القاتل إلى فناءِ ورثة المقتول، ثمّ يعقلها بالعَقل ويسلّمها إلى أولياء المقتول[٣].

ويرى صاحب القاموس المحيط (ت:٨١٧هـ) معنى العقل في أنّه: العلم بصفات الأشياء، فيكون للإنسان القدرةُ على التمييز بين الخير والشر، أو الحسن والقبح، أو والكمال والنقص، وبها تكون الهيئةُ المحمودة للإنسان في تصرفاته وكلامه[٤].

٢- العقل اصطلاحًا:

تعدّدت معاني العقل اصطلاحًا إلى معانٍ عدّةٍ بحسب استعمالاته، إلّا أنّها لا تخرج عن المعنى اللغوي للعقل، وهو الحبس والمنع.

وفيما يلي تفصيل هذه المعاني:

أ- غريزةٌ وضعها الله تعالى في معظم عباده[٥]، وبه كرم الله الإنسان على المخلوقات، وبالعقل استدلّ على خالقه واستطاع أنْ يُفرّقَ بين النفع والضرّ[٦].

---

[١] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٤٥٨-٤٥٩.

[٢] يُنظر: الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص٤٦٣.

[٣] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٤٦١.

[٤] يُنظر: الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص١٠٣٣.

[٥] يُنظر: المحاسبي: الحارث بن أسد، **العقل وفهم القرآن**، تحقيق: د. حسين القوتلي، (د.م: دار الفكر، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٢٠١.

[٦] يُنظر: الغزالي: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (دمشق: دار الفكر، ط٤،

ب- العقلُ هو إدراكُ العلوم الضروريّة، التي لا يخلو منها عاقلٌ، كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات واستحالة المستحيلات، ومِن أعظمها في الفطرة: الإقرارُ بالخالق[١].

وعرّفه الجرجاني(ت:١٩٧٨هـ) بأنّه: "لما يعقل به حقائق الأشياء، فيحفظ المرءَ عن العدول عن سواء السبيل"[٢].

ج- العقل هو: العلوم النظرية، والتي تتكون من الاستدلال والنظر[٣].

د- العقل هو: العمل بمقتضى العلم، فالعاقل هو من يعمل بما علم، قال ابن تميمة: "العمل بالعلم يدخل في مسمّى العقل أيضًا، بل هو أخصّ ما يدخل في العقل الممدوح"[٤].

لذلك انتقد القرآن الكريم الكفار عندما نفوا عن أنفسهم العقل بعد دخولهم النار، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]، فالعقل هو من يُوقف الإنسان على حقائق الأشياء، فيُبصره في قبول الخير ورفض الشر، كما يُرشده إلى الحذر من كل عاقبةٍ ذميمةٍ[٥].

٣- العقل في الاصطلاح القرآني:

أ- العقل: المنع، وهو مأخوذٌ من عِقال الدابة الذي تُشد به ركبة البعير، فيمنعه من

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ج١، ص٢٠٤.

[١] يُنظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص٢٠٥.

[٢] الجرجاني: علي بن محمد بن الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص١٥٢.

[٣] يُنظر: المحاسبي، **العقل وفهم القرآن**، ص٢١٣.

[٤] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، تحقيق: موسى الدويش، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٢٦٠.

[٥] يُنظر: السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٨٧٦.

الشرود، وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود[1]، فقد أدى تعطيل العقل للوصول للنار، قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[الملك:١٠]

ب- العقل: هو الإدراك الذي يمنع من الخطأ، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤][2].

ج- العقل: "نقيض الجهل"[3]، قال تعالى: ﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٧]

د- العقل: هو القوّة الباطنيّة التي بها يُفرّقُ المرءُ بين الخير والشر[4].

هـ- الأنوار الروحيّة التي بها تُدرِك النفسُ البشريّة ما تحتاجه من العلوم الضروريّة، والتي تحبسه عن قبول القبح والشر، وتدفعه إلى ما هو خيرٌ وحسنٌ[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي والقرآني:

بعد استعراض معاني العقل في اللغة والاصطلاح والقرآن؛ نجد أنّ المعاني متقاربةٌ، بل نجدها تدور حول معنى: أنّ العقلَ هو الإدراكُ (قوةٌ باطنةٌ)، الذي يمنع صاحبَه من الوقوع في المهالك، وبه يكون التمييزُ بين الخير والشر، بما حباه الله من العلوم الفطريّة والمكتسبة التي

---

(1) يُنظر: البغوي: لحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ)، ص١١٠.

(2) يُنظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٣٧.

(3) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، (دمشق – بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٩٢.

(4) يُنظر: أبو بكر الجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص٥٠.

(5) يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص٩٧.

تُميزه عن سائر الحيوان.

٤- العقل في السياق القرآني:

العقلُ أعظمُ مِنَحِ الله للإنسان؛ بل جعله الله سببًا للهداية والخلافة، وقد جاءت مشتقات لفظ العقل في واحدٍ وثلاثين موضعًا، في واحدٍ وعشرين سورةٍ مكّيّةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ [سورة الأنعام: ٣٢]، بينما جاءت مشتقاتُ لفظِ العقل في ثمانية عشر موضعًا في تسع سورٍ مدنيةٍ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [سورة البقرة: ٧٥][١].

ومن الملاحظ ورودُ مشتقاتِ لفظِ العقل في السياق المكّيّ أكثرَ من السياق المدني؛ بل يمكن القولُ بأنّ المواضعَ المكّيّة ضِعفُ مواضع المدنيّة، ولعلّ ذلك يرجعُ إلى أسبابٍ؛ منها:

أ- أنّ القرآنَ كان يخاطب عقولًا انحرفتْ عن فطرتها السّويّة في عبادة الخالق إلى غيره، فكان لا بُدَّ مِن آياتٍ تستثيرُ العقولَ، تدعوها إلى إعادة النظر لما حولها، لتهتدي بالعقل الذي حجّرته إلى خالقها الحقيقي.

ب- كان الخطاب القرآني في العهد المكي موجّهًا للعقل، المحرّك الأول للاستدلال على الله ﷻ، ولم يكن الإيمان مستقرًّا في القلب بعد[٢].

مترادفات العقل في القرآن الكريم:

مِن عَظمة القرآنِ الخالدِ أنّه خاطب العقلَ برقيٍّ لم تشهدْه البشريةُ من قبل، فهو يتودّد

---

[١] يُنظر: فؤاد عبد الباقي: محمد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٥٧٥.

[٢] يُنظر: قلجة: ميساء كمال، **البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، ص١٣.

للعقل بطرقٍ كثيرةٍ، منها: الوصف ذو الدلائل العميقة:

١- أولو الألباب:

وردت لفظةُ: (أولو الألباب، وأولي الألباب) في القرآن الكريم ستة عشر مرة[١]، جاءت في أربعة مواضعَ بصيغةِ المنادَى؛ مرتبطةً بالدعوة إلى التقوى الخالصة لله، وجاءت في ثلاثة مواضع بصيغ التفكر والاعتبار، وفي تسعة مواضع للذاكرين ربهم[٢].

ومِن معنى هذه اللفظة: هو العقل النقيّ المطهَّر مِن كلّ شائبةٍ، فهو خالص ما في الإنسان من المعاني: كَاللُّبَابِ، وقيل بأنّه: ما زكى مِن العقل[٣]، ومِن الآيات العظيمة التي مدح فيها القرآن الكريم العقولَ المحفوظة مِن الهوى، لأنّها تحكم على لُبِّ الأشياء، وليس على ظواهرها وعوارضها[٤]، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، فهذه العقول قد وصلت إلى مرحلة التجرّد من غواش الحسّ، أو الركون إلى أي هوىً زائفٍ، فامتازت بحسن النظر وجودة الذهن[٥].

---

[١] يُنظر: فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص١٢٢.

[٢] يُنظر: سالم: مريم عمر السيد، **منهج القرآن في مخاطبة العقل البشري**، رسالة ماجستير، ص٦١.

[٣] يُنظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٥٨١.

[٤] يُنظر: الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت)، ج٢، ص١٢٨٤.

[٥] يُنظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٢، ص٨.

٢- الحِجر:

مِن أسماء العقل في القرآن الكريم: الحِجر، وقد وردت في موضع واحدٍ[١]، في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [سورة الفجر: ٥]، وسُمّي العقل بالحجر لأنّه يحجِرُ صاحبَه من الوقوع فيما لا ينبغي له[٢].

٣- النُّهى:

والنُّهى تأتي بمعنى العقل الذي ينهى عن القبائح[٣]، وقد وردت هذه اللفظةُ في حوار سيدنا موسى مع فرعون، فبعدما ساق موسى الأدلةَ العقليّةَ على سؤال فرعون، جاءت لفظةُ النُّهى خاتمةً للحوار، لتدلَّ على أنّ الآيات التي يسوقها الله تعالى لا يَعتبرُ بها إلّا أصحابُ هذه العقول، كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [سورة طه: ٤٩-٥٤].

٤- الحِلم:

يُعتبر الحِلم مِن المرادفات التي استعملها القرآن الكريم للعقل، فهو يقوم بدور العقل في

---

[١] يُنظر: فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص٢٣٨.

[٢] يُنظر ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م)، ج٣٠، ص٣١٦.

[٣] يُنظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٦٥٢.

ضبط النفس والخُلق عن ثوران الغضب[1]، قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون﴾ [سورة الطور: ٣٢].

٥- الفؤاد:

جاء العقل في القرآن الكريم باسم الفؤاد، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

---

[1] يُنظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٢١١.

المطلب الثالث: تعريف النقد في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني.

١- التعريف اللغوي:

وورد لفظ (النقد) في المعاجم اللغوية على معانٍ عدَّةٍ، وهي:

أ- الإعطاء والتناول والأخذ، فنقدته دراهمه: أي أعطيته، وقولهم فانتقدها: أي قبضها[١].

ب- إدامة النظر إلى الشيء، وينقد بعينه إلى الشيء: أي يُديم النظر إليه[٢].

ج- المناقشة في الأمر: يُقال: ناقدت فلانًا، أي ناقشته[٣].

د- الاختبار، والتمييز بين الرديء والجيد، فالنقد: هو تمييز الدراهم وإخراجُ الزيف منها[٤]، ونقدُ الشِّعر أو النثر: أي إظهارُ ما فيه مِن الحُسنِ والقُبحِ[٥].

هـ- الخيريّة: يقال: هو من نقَّادة قومه، أي مِن خِيارهم[٦].

مِن خلال عرض المعاني اللّغويّة لكلمة النقد يُمكن استنتاج: أنّ النقد يمُرُّ بمراحل، قد تكون الأقرب إلى التسلسل، وهي:

الأخذ والتناول للأمر المقصود، ثمّ إدامة النظر فيه، يليها الفحص المتميز مع المناقشة والحوار، ليصل بذلك إلى النتيجة المرجوّة؛ وهي: الكشف عن محاسن الشيء أو مساوئه، أو

---

[١] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤٢٦.

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**.

[٣] يُنظر: **المرجع السابق**.

[٤] يُنظر: **المرجع السابق**.

[٥] يُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٩٤٤.

[٦] يُنظر: الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢، ص٢٩٧.

إبراز الخيريّة إن كانت فيه[1].

٢- النقد في الاصطلاح:

لقد تناوله الباحثون في علومٍ ودراساتٍ مختلفةٍ، فجاءت التعاريفُ كُلٌّ حسب فنِّه، لذلك سأتناول المفهوم الاصطلاحي في أكثر مِن مجالٍ؛ حتى تتبيّن العناصرُ المُتَّفق عليها، والمشتركة في التعريفات المتناولة.

أ- في معجم المصطلحات التربويّة والنفسيّة:

جاء في معجم المصطلحات التربوية والنفسية: أنّ النقد اصطلاحًا: "هو إحدى مهارات تقييم المعلومات، ويعني القيام بفحصٍ دقيقٍ للموضوع أو القضيّة، بهدف تحديد مواطن القوّة أو الضعف، من خلال التحليل وإصدار الأحكام، بالاستناد إلى معاييرٍ مقبولةٍ"[2].

ب- النقد في الفلسفة:

النقد عند الفلاسفة له ثلاثةُ معانٍ:

- الانتقاد بالمعنى العام: هو النظر في قيمة الشيء، والفكر الانتقادي هو الذي لا يقبلُ الأمر حتى يمحّصَه وينظرَ في قيمته.

- الانتقاد بالمعنى الخاصّ: وهو بيانُ عيوب الشيء دون محاسنه، وهو الانتقاد السلبي، وعكسه الانتقاد الإيجابي.

---

[1] يُنظر: الرشدان، **التفكير الناقد في التربية الإسلامية**، رسالة دكتوراه، ص٥١.

[2] شحاته: حسن، والنجار: زينب، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، (القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٣١٥.

– صنّفه بعضُ الفلاسفة إلى أنّه قسمٌ في علم المنطق، يبحث في الحكم أو القضية[1].

ج– النقد في اصطلاح النُّقّاد:

وقد جاء بمعنيين:

– فنُّ تقويمِ الأعمال وتحليلِها على أساس علميٍّ.

– الفحص العلميّ للأعمال من حيث صحتُها، مصدرُها، صفاتُها، وتاريخُها، وله عدّة أقسامٍ: كالنقد التاريخي والاجتماعي والفلسفي واللغوي، وغيرها[2].

كما نجد في كثيرٍ مِن الدراساتِ – ذاتِ الصلة بمفهوم النقد – إشاراتٍ إلى تعريف معنى النقد، والتي سأذكر بعضًا منها:

أ– هي عمليات تقويمٍ، الغرض منها الوصول إلى مرحلة التصحيح، من خلال الوقوف على مناطق الخطأ ومناطق الصواب، وذلك بناءً على مقاييس وضوابط، لا بدَّ مِن الأخذ بها[3].

ب– عملٌ عقليٌ، يقوم بتحليل موضوعٍ أو مشكلةٍ، بحيث يتم كشف الجوانب المختلفة للموضوع، ثم يُصدر الحكم بالإيجاب أو السلب[4].

نستنتج أنّ المعنى الاصطلاحي للنقد لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ بل أراه يمرُّ بمراحلَ بشكلٍ قريبٍ مِن مراحل ترتيب التعريف اللغوي، إلّا أنّ المعنى الاصطلاحي فيه إشارةٌ إلى وظيفةٍ

---

(1) يُنظر: صلبيا: جميل، **المعجم الفلسفي**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٢م)، ج١، ص١٤٩–١٥٠.

(2) ينظر: جرادات: خولة أحمد محمد، **المؤلفات المعاصرة في التربية الإسلامية دراسة نقدية**، رسالة ماجستير، ص٣٧–٣٨.

(3) يُنظر: فريد الانصاري: **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٩٨.

(4) يُنظر: مطارد، "النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي"، **مجلة وحدة الأمة**، س ٥، ع١٠، ص١٧.

العقل في العمليّة النقديّة.

أصل التفكير الناقد:

يرى بعضُ الباحثين أنّ مفهومَ العقل الناقد أو التفكير الناقد يرجع في أصوله إلى زمن سقراط، حيث حدّد جدول عملٍ للتفكير الناقد، الذي يبدأ بالشكّ في المعتقدات العامّة والتفسيرات، ثمّ فرز الأدلّة المنطقيّة أو المعقولةَ مِن الأدلّة التي تخضع للرغبات والحاجة الفطريّة والذاتية، وأنّ أفلاطون – تلميذ سقراط – أكمل منهجَه في التفكير الناقد[1].

وأرى أنّ هذا الأمر مقبولٌ عندما يكون الباحث أو المفكر مِن مجتمعٍ غير مسلمٍ، ولنتجاوز قليلًا لنقول إنّه مِن عوام المسلمين، لكن عندما يتصدّر لتبني هذه الأفكار وطرحها على المجتمع المسلم مَنْ هم مِن النّخب المثقّفة؛ فإنّ هذا يُعدُّ – برأيي – إجحافًا بحقّ الوحي المُنزّل على نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام، ليكون للعالمين مبشرًا وهاديًا ونذيرًا.

وسأحاول مِن خلال البحث –بإذن الله– أن أوضِّح كيف كان البناءُ للعقل الناقد، كما أسَّسه القرآن الكريم وبناه.

أصل النقد في القرآن:

لم ترِد كلمةُ النقد صريحةً في القرآن العظيم، لكن يمكن استخلاصُها مِن النصوص الواردة حولَ: التوبة ومحاسبة النفس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحوار والنصيحة والمجادلة والمناظرة والتواصي بالحق، وهذا يظهر في رأي كثير من الباحثين، فالدكتور فتحي يكن (ت٢٠٠٩م) يرى أنّ التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبويّة وحتى يومنا هذا يشهد بأنّ

---

[1] يُنظر: إبراهيم: إسماعيل، **التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق**، (عمّان، دار النشر، ط١، ٢٠٠٨م)، ص٢٩-٣١.

المسلمين – بصورة عامّة – وأهلَ الحلّ والعقد – بصفة خاصّة – يمارسون النقد، حيث يظهر ذلك في تفاوتهم في الحكم على القضية الواحدة، وإن كانت اجتهاداتهم كلُّها في إطار الشّرع، إلّا أنّه تبعًا لاختلاف الآراء والتباين في الاجتهاد، يظهرُ ما يسمّى: النقد أو التواصي بالحقّ بلغة القرآن الكريم[١].

أمّا الدكتور ماجد الكيلاني فيذهب إلى أنّ النقدَ الذاتيَّ في القرآن الكريم والسّنّة الشريفة جاء على حالة من المبادئ الدائمة والموازين الثابتة، والتي توجّه الإنسانَ إلى محاسبة نفسه بما يرتكب من أخطاء، ولا يبحث عن مبرّرات خارجيّة[٢].

كما أكّد هذه الحقيقة عبدُ الكريم بكّار؛ حيثُ أوضح أنّ القرآنَ الكريمَ قد وضعَ القواعد للتدرّب ومزاولة النقد داخلَ المجتمع المسلم؛ وذلك من خلال تنزّل الآيات الكريمة تبعًا لأحداث المجتمع، كما كانت الآيات الكريمة تتنزّل بعد كلّ معركة فيها من التوصيات والمراجعة والإرشاد[٣].

ويشير الرقاص إلى أصل وجود النقد في القرآن الكريم فيقول: "يحرص ديننا الحنيف على بناء العقليّة النقديّة الاستدلاليّة، بوصفها عقليّة المسلم التي ينبغي أن يتحلّى بها في حياته حتى يحظى بخيري الدنيا والآخرة، فمن خصال المسلم تفنيدُ الآراء قبلَ قبولها والعمل بها، مصدّقًا لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

---

[١] يُنظر: يكن: فتحي، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص١٧٤.

[٢] يُنظر: الكيلاني: ماجد عرسان، **المقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، د.ت)، ص٥٨.

[٣] يُنظر: بكار: عبد الكريم بن محمد الحسن، **تكوين المفكر خطوات عملية**، (القاهرة: دار السلام، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص٧٧-٧٨.

فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾ [سورة الحجرات: ٦]، "وقد ورد في تفسير هذه الآية أنّ المرادَ من التبيّن هو التعرّف والفحص والتبصّر في الأمر الواقع أو الخبر المسموع لمعرفة مدى مصداقيّته"[١].

ويؤكّد ذلك الأمر عمر عبيد حسنة في مقدّمته لكتاب (التفكير الموضوعي)؛ فيبيّن أنّه لا تكاد تأتي آيةٌ في القرآن الكريم بالأمر والترغيب في عمل الخير أو الحذر من الانحراف والسقوط في الشر؛ إلّا ويمكن تصنيفها في موضع النقد والمراجعة، ولا تكاد تأتي قصّة نبيٍّ مع قومه في القرآن الكريم؛ إلّا فيه مناصحةٌ للقوم ونقدٌ لِما هم فيه من خطأٍ وبيانٌ لطريق الحقّ والخير، ونقدُ ما هم فيه من الخطايا وبيانُ طريق الصواب[٢].

وفي رأيي أجدُ أنّ القرآن الكريم قد أسّس للمنهج النقديّ مع أوّل سورة جاءت في ترتيب المصحف الكريم؛ ففي سورة الفاتحة جاءت صيغة طلب الهداية والإرشاد من الله بأمرين:

أولًا: الدعاء: في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ [سورة الفاتحة: ٦].

ثانيًا: التعوذ بصيغة النقد: في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين﴾ [سورة الفاتحة: ٧].

أولًا: الدعاء:

في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، معنيان:

١- معنى الصراط.

---

[١] الرقاص، والرفاعي، والحيدري، "الأسس النفسية للنصيحة في ضوء التفكير الإبداعي والناقد"، **مجلة التربية**، مج٢، ع١٤٦، ص١٠٢-١٠٣.

[٢] يُنظر: البنا: فؤاد عبد الرحمن محمد، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص١٢.

٢- القدوات.

١- في معنى الصراط:

يقول ابن عاشور (ت: ١٩٧٣م) في حديثه عن الصراط: "والأظهر عندي أنّ المراد بالصراط المستقيم المعارفُ الصالحاتُ كلُّها: من اعتقادٍ وعملٍ؛ بأنْ يوفّقهم إلى الحقّ والتمييز بينه وبين الضلال؛ على مقادير استعداد النفوس، وسَعَة مجال العقول النيرة، والأفعال الصالحة، بحيث لا يعتريهم زيغٌ وشبهاتٌ في دينهم"[١].

من تعريف ابن عاشور للصراط المستقيم - كما جاء في تفسيره لسورة الفاتحة - نستنبط دلالة النقد، فقد أشار إلى أنّ الصراط المستقيم هو المعارف الصالحة (بناءٌ معرفيٌّ فطريٌّ ومكتسب)، والتي بها تتكوّن للعقل ملكةُ النقد.

أمّا في قوله: (يوفقهم إلى الحقّ والتمييز بينه وبين الضلال)؛ نجد معنى النقد كما جاء في التعريف اللغوي والاصطلاحي سابقًا، حيث تمَّ تعريفه بأنّه: التميزُ بين الحقّ والباطل أو الخير والشر.

٢- القدوات:

عرّف محمد عبده (ت١٩٠٥م) الصراط المستقيم: "الصراط المستقيم: بأنّه هو الطريق الموصل إلى الحقّ، ولكنّه تعالى ما بينه بذلك، كما بيّنه في نحو سورة العصر، وإنّما بيّنه بإضافته إلى مَنْ سلك هذا الصراط؛ كما قال في سورة الأنعام: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]"[٢].

وهذا به معنى القدوات، وهم الذين قاموا بعملية النقد، وكانوا النموذجَ المثاليَّ في صناعة

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١٩١.

[٢] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص٥٥.

العقل الناقد.

ثانيًا: التعوذ بصيغة النقد:

في تفسير معنى: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين﴾ [سورة الفاتحة: ٧]؛ يقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ): "غير صراط المغضوب عليهم: من الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحقَّ وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين: وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون للحقّ، وأكّد الكلامَ بـ(لا) ليدلَّ على أنّ ثَمَّ مسلكين فاسدين، وهما طريقتا اليهود والنصارى"[١].

تقسيم النقد حسب وروده في القرآن الكريم:

يمكن تقسيم النقد حسب وروده في القرآن الكريم إلى نوعين:

النوع الأول: النقد باعتبار المنقود، وينقسم النقد تبعًا لذلك إلى قسمين، وهما:

١- نقد الذات الفرديّة.

٢- نقد الذات الجَمعِيّة.

النوع الثاني: باعتبار الأسلوب المستخدم فيه، والنتائج المترتّبة عليه، وينقسم إلى قسمين:

١- النقد البناء، أو ما يسمّى بالنقد الإيجابي.

٢- النقد الهدّام، أو ما يسمّى بالنقد السلبي[٢].

---

[١] المباركفوري: صفي الرحمن، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، (الرياض: دار السلام، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٣١.

[٢] يُنظر: مطاريد، "النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي"، **مجلة وحدة الأمة**، س٥، ع١٠، ص٢٢.

النوع الأول: النقد باعتبار المنقود، وينقسم إلى:

١- نقد ذاتي:

والمقصودُ منه محاسبةُ النفس، والنظرُ فيما يصدر عن الذات من أقوالٍ وأفعالٍ، وتميّز الطيب من الخبيث؛ وذلك للوصول إلى مرحلة تقويم النفس[١]، وأصل ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة: ٢]، فتتدرّج في منازل التزكية حتى تصلَ إلى مرحلة النضج التكويني، وهو ما أسماه القرآنُ الكريمُ بالنفس المطمئنّة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "والناس يردّدون كلمة النقد الذاتي، ولا حرج في استعمال الكلمة، إنّما الحرج في اعتبار هذا المعنى جديدًا علينا، مُقتبسًا من غيرنا، وما هو إلّا محاسبة النفس التي جاء بها قرآننا وسنتنا، وحفلت بها مصادر ثقافتنا"[٢].

وجاء في قصة سيدنا آدم وزوجه مع إبليس الاعترافُ بظلمِ النفس والخطأِ الذي وقعا فيه، قال تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٣]، فكان هذا الاعترافُ أوّلَ نقدٍ ذاتيٍّ قام به الإنسانُ وأشار إليه القرآن الكريم؛ بل يمكننا القولُ بأنّه أوّلُ عمليّةٍ نقديّةٍ بناءةٍ كانت من جانب الإنسان.

كما ظهر النقدُ الذاتيُّ في قولِ سيدنا موسى واعترافِه بالخطأ الذي وقع فيه بقتله نفسًا بغير حقٍّ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمِ﴾ [سورة القصص: ١٦]، فقد طلب المغفرةَ من الله وقبولَ توبته.

كذلك ظهر النقد الذاتي أيضًا في اعتراف سيدنا يونس في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ

---

[١] يُنظر: نور، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، ع١٢، ص٣٠.

[٢] القرضاوي: يوسف، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت)، ص٩٢.

ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧][١].

٢- نقد الآخر أو الذات الجَمعِيَّة.

يظهرُ النقد الجمعي في خطاب الله تعالى للمسلمين عندما انهزموا من المشركين في غزوة أحد[٢]: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، والله ﷻ يُعلم عباده المؤمنين – وفيهم رسوله – أنْ يمارسوا المنهجَ النقديَّ من خلال تفعيل آليات اكتشافِ مواطنِ الخلل ومواقع الوَهْن والضعف، وأنْ يقفوا عليها قبلَ أن يتمكّن الخطأ فيهم.

وفي غزوة حنين خاطب الله المؤمنين، منتقدًا شعور الإعجاب الذي انتابهم من كثرة عددهم في المعركة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِين﴾ [سورة التوبة: ٢٥]، ففي هذه الآيات يعرضُ القرآن الكريم أسبابَ الهزيمة التي لحقت بالمؤمنين في صورة نقديّة[٣].

كما يصوّر القرآنُ الكريمُ في قصة أصحاب الجنة النقدَ الجماعيَّ من خلال الحوار القائم بين الإخوة، فتُظهرُ الآياتُ الكريمة المتتابعة تسلسل خطواتِ النقد، التي تبدأ بالمراجعة والمحاسبة من الإخوة: ففي أوّل الأمر أرجعوا الخطأ إلى أنفسهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُون (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِين(٢٩)﴾ [سورة القلم: ٢٦-٢٩]، ثمّ كان منهم الموقفُ التحليليُّ الجماعيُّ الصحيحُ،

---

[١] يُنظر: نور، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، ع١٢، ص١٨-١٩.

[٢] يُنظر: مطاريد، "النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي"، **مجلة وحدة الأمة**، س٥، ع١٠، ص٢٣.

[٣] البنا، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، ص٣٣.

حيث قاموا بعملية اللّوم، وهي عمليّةُ التنظيف الداخليّ الجماعي، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاَوَمُون﴾ [سورة القلم: ٣٠]؛ ليصلوا إلى نتيجة النقد، في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)﴾ [سورة القلم: ٣١]، وهذه نتيجة النقد الجماعي[١].

النوع الثاني: باعتبار الأسلوب المستخدم فيه، والنتائج المترتّبة عليه:

١- النقد الإيجابي:

تصحيحُ القرآنِ الكريم لأخطاءِ الأنبياء -مع مكانتهم في الأمة وعلو منزلتهم وجلالة قدرهم في الاجتهاد والاختيار- هو أعلى درجات النقدِ البنّاءِ لأعظم عقليّات وجدت على الخليقة، كما كان محور الرسالة الخالدة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومحور سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم في القرآن الكريم وقصصهم مع أقوامهم، ما هو إلّا ممارسةٌ لنقد العقائد والمبادئ والأفكار والأقوال والأفعال لأقوامهم، ومعالجة الانحراف وتصويب الخطأ[٢].

٢- النقد السلبي:

أظهر القرآنُ شكلَ النقدِ السلبيّ، على ألسنة المخالفين، كما جاء في قول قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)﴾ [سورة هود: ٢٧].

كذلك يظهر مفهوم النقد السلبي في إنكار الكفار على الرسول ﷺ إنسانيّته: بأكل الطعام والمشي في الأسواق لطلب الرزق والحاجة، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٧)﴾ [سورة الفرقان: ٧].

---

[١] يُنظر: نور، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، ع١١، ص٣٣-٣٢.

[٢] يُنظر: البنا، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، ص٨.

العلاقة بين العقل والنقد والبناء القرآني:

من التعاريف السابقة للعقل والنقد –وخاصّةً التعريفَ اللغوي– **نلاحظُ علاقةَ تعاضد وتكامل،** فهما يسيران بخطٍّ واحدٍ لا ينفكُ أحدُهما عن الآخر، فالعقلُ والنقدُ يشتركان في صفة التمييز بين الخير والشر والحُسن والقُبح.

والعقلُ نعمةٌ مِن الله لتُعرفَ به حقائقُ الأمور، ويُميّزَ بين الصالح والطالح، وهذا التميّز منوطٌ بعملية الانتقاد، فهو سلسلةٌ من الخطوات المُمَنْهجة كما ذكرت سابقًا في التعريف اللغوي للنقد]، يصلُ العقل بها إلى الحكم الصحيح، والقرآن الكريم –باعتبار أنّه منهجٌ إلهي– هو صانعُ هذا البناء ومدبّره (العقليّة الناقدة) على صفةٍ من الثبوت والرسوخ والشرف.

الفصل الأول: البناء القرآني للعقلية الناقدة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمّيّة العقليّة النقديّة.

المبحث الثاني: البناء المعرفي للعقلية الناقدة.

المبحث الثالث: أهمية البناء النفسي للعقلية الناقدة.

المبحث الأول: أهمّيّة العقليّة النقديّة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال البشرية قبل نزول القرآن الكريم وبعده.

المطلب الثاني: هل العقل مفطورٌ على النقد؟

المطلب الثالث: أهمّيّة العقليّة النقديّة.

المطلب الأول: حال البشرية قبل نزول القرآن الكريم وبعده.

لا نستطيع أنْ نتوصّل إلى أهمّيّة العقليّة النقديّة التي بناها القرآن الكريم في الشخصيّة المسلمة؛ ما لم نتعرّف على حال العقل الناقد قبل نزول الوحي، وكيف كان حالُ الأمم والحضارات بصفة عامّة، وحالُ العرب بصفة خاصّة: أكانت البشرية تعيش حاله من الرقي العقليّ والنفسي قبل نزول الوحي، أم كانت تعيش في ظلام وتخلّف؟ هل كانت تتألّم من الاستعباد السياسي، والفساد الأخلاقي، والطغيان الاقتصادي، والقهر الاجتماعي، أم أنّ حالها كان طبيعيًا، وتملك القدرة على الموازنة العادلة بين مفاهيم الخيروالشر والحق والباطل؟ هل المجريات التي كان يعيشها العالم شاهدة على أنّ النفس البشرية تتصرّف بعقلٍ ناقدٍ؟ هل القرآن الكريم بنزوله غيَّر النظرةَ التقليديّة لقبول الواقع الخاطئ، وأزاح الكسل والخمول عن عقول تربت على التسليم لِما فيه مصلحة الموروث أو السلطة وإن كان فيه ظلمٌ وشرٌّ؟ وكيف كان البناء العقليُّ النقديُّ لجيل الصحابة الذين كانوا هم جيلَ المعيار لِمَنْ بعدهم في الأمّة الإسلاميّة؟

هل النقد كان موجودًا عند الأمم السابقة:

دلَّ القرآن الكريم على أنَّ النقدَ كان موجودًا في الأمم السابقة، خاصّةً عند أصحاب الديانات السماوية، إلّا أنّ ذلك الأمر تلاشى تدريجيًّا مع فساد العقائد وتلوّث الفِطَر، خاصّة بموت الرسل[1]، عن ابن مسعود η قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ أوّلَ ما دخل النقصُ على بني إسرائيل؛ كان الرجلُ أوّلَ ما يلقى الرجلَ فيقول: يا هذا اتّق الله ودَعْ ما تصنع، فإنّه لا يحلّ لك، ثمّ يلقاه من الغد فلا يمنعُه ذلك أن يكون أكيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلمّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»، ثم قال: «﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

---

[1] نور، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، ع١١، ص٢٦-٢٥.

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [سورة المائدة: ٧٨-٧٩]»، ثم قال: «كلا والله، لتَأْمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذُنّ على يد الظالم، ولتأطرُنّه على الحقّ أطرًا، ولتقصرُنّه على الحقّ قصرًا، أو لَيَضْرِبَنّ الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم»[1]، وقد ذمَّ الله تعالى بعض الأمم السابقة لتواطئِها على الباطل، والسكوتِ عن الأخطاء، وعدمِ القيام بواجب النقد والمراجعة[2]، فقد كان لا ينهى بعضهم البعض عن ارتكاب المآثم والمحارم[3].

حال الجزيرة العربية:

١- الواقع العقائدي:

وضّح القرآنُ الكريم الانحرافَ العقائديَّ الذي كان يعيشه العرب قبل نزول الوحي، فالجزيرة العربية كانت تعجُّ بالأصنام التي كانت منتشرةً في جميع أرجائها، وعلى الرغم من إيمان العرب بوجود الله إلّا أنّ انحرافَهم يظهر في اتّخاذهم من الأصنام والأوثان شركاءَ وأولياءَ في سبيل قربهم إلى الله، وقد ذكر القرآن هذا الانحراف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: ٣]، وما أراده القرآن الكريم هو لفتُ النظر إلى حقيقية العقليّة التابعة التي كانوا عليها، فألغى الموروثَ الدينيَّ الذي ورثوه من الآباء؛ حيث كانت قدسيته لهم بأنّه شيءٌ من المحرمات لا يمكن المساس به، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا

---

(١) أخرجه أبو داود في **السنن**، كتاب الفتن، باب الأمر والنهي، ج٥، ص٤٣٣٦-٤٣٣٧ برقم: (٤٣٣٧)، وأخرجه الترمذي في **السنن**، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المائدة، ج٥، ص٣٠٤٨، برقم (٣٠٤٧) وقال: حديث حسن.

(٢) يُنظر: فؤاد البنا، **التفكير الموضوعي**، ص٣٤.

(٣) يُنظر: المباركفوري، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، ص٤١١.

آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾ [سورة الزخرف: ٢٢][١]، فالآية الكريمة تَعيب وتنتقد القومَ في أنّ قولهم غيرُ مبنيٍّ على علمٍ أو نقلٍ، فهم لم يقارنوا بين ما جاءهم به الرسول وبين ما تلقَّوه من آباءهم، فالعاقلُ هو من يميّزُ ما يُلقى إليه من اختلاف وتضادٍّ، ويعرضه على ميزان الحق[٢]؛ أي أنّهم ألغوا وظيفة العقل الناقد الذي وهبه الله للبشر، لمعرفة الحقّ من الباطل بعرض هذه العبادة المتوارثة على معيار العدل.

فالانحرافُ العقائدي متأصلٌ في العرب قبل ظهور الإسلام، ممّا كان له الأثرُ الجسيم على البناء العقلي والنفسي، فظهرَ هذا الأثرُ في سلوكهم وعلاقتهم ببعضٍ ومع الآخرين، وبنظرتهم للحياة[٣].

٢- الواقع الأخلاقي والبيئي:

الانتماء للإنسان العربي كان قائمًا على الانتماء للقبيلة، فعاداتُ القبيلة وأعرافُها ومصالحُها هي التي تحدّد علاقة العربي بالآخرين، وكان لهذه الموروثات القبليّة سطوةٌ كبيرةٌ وهيمنةٌ على نفس العربي، بحيثُ لا يستطيع المخالفة[٤]، وهذا أكبرُ معوقٍ لبناء عقلٍ ناقدٍ، كما سيأتي معنا في مبحث معوقات العقل الناقد، وهذا الانتماءُ القبليُّ المسيطرُ على العقول قرّره القرآن الكريم، وجعله من أهمِّ حجج المشركين والضالين عند مراجعتهم في الانحرافات التي كانوا يسلكونها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، كذلك ساءت أخلاق عرب

---

[١] يُنظر: الطريري: عبد الرحمن بن سلمان، **العقل العربي وإعادة التشكيل**، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٦٨-٧٢-٧٣.

[٢] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٨٧.

[٣] يُنظر: الطريري، **العقل العربي وإعادة التشكيل**، ص٦٩.

[٤] يُنظر: **المرجع السابق**.

الجاهلية، فولِّعوا بالقمار والخمر، وشرَّعوا لأنفسهم وأدَ البنات، وأسقطوا حقوق المرأة، فكانت تُورَثُ كما يُورَثُ المتاعُ، ويحقُّ للرجل الزاوج منهم ما يشاء، وشاع بينهم قطعُ الطريق على القوافل فتسلبُ الأموالُ وتقتلُ الأرواح، كما اتّصفوا بالعصبية القبليّة الجامحة، وعشقوا الحربَ حتى غدت مصدرًا للّهو والتفاخر، ولم تكن الدماء التي تراق في هذه الحروب – والتي قد تكون لأسباب تافهة – تؤرّقُهم أو تجعلهم يتوقّفون، وفي تاريخ جاهلية العرب أمثلةٌ كثيرةٌ على ذلك[1].

والخلاصة: أنّ العقلَ العربيَّ قبل نزول الوحي، عاش مفتقدًا الأسس التي تُكسبُه الصلابة في البناء، والمثيرات التي تثير في عقله الإثارات الضروريّة للفهم والخبرة التي تصقله، فيكون قادرًا على الوقوف أمامَ التحدّيات المحيطة به، بمعنى لم يكن العقل العربي يملكُ العمقَ في التفكير، وهذا الوصف لا يلغي بعضَ الخصائص التي أقرّها الإسلام وأبقاها ضمن التكوين الجديد[2].

حال البشرية بنزول الوحي القرآني:

النّبوّاتُ السابقة كانت مختصّةً بأقوامٍ معيّنين وأزمنة محدودة، لذلك جاءت المعجزات الخاصّة بالرسل معجزاتٍ من نفس بيئة القوم الذين بُعثوا فيهم، أي معجزاتٍ حسّيّة؛ ذلك لأنّ الإنسان في تطور حياته وأطواره – منذ النبوة الأولى – احتاج إلى معجزاتٍ مادّية يقدِرُ على إدراكها، حتى موعد الرسالة الخاتمة[3]، وهناك ملمحٌ مهمٌّ أشار إليه الدكتور عمر عبيد حسنة، وهو: أنّ المعجزةَ للرسالة الإسلاميّة بجناحيها القرآن الكريم والسنّة النبويّة، تمثّلت بإنتاج الجيل الأنموذج أو الجيل المعياري، الذي تمّ إعدادُه بطريقةٍ اختلفت عن معهود الرسالات السابقة، حيث

---

[1] ينظر: الندوي: علي الحسني، **السيرة النبوية**، (مكة المكرمة: دار الشروق، ط٨، ١٤٠٩-١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٣٩.

[2] يُنظر: الطريري، **العقل العربي وإعادة التشكيل**، ص٧٥.

[3] يُنظر: مصطفى: معتصم بابكر، **أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٦٥.

كانت المعجزةُ هي قدرة القرآن الكريم والسّنّة النبويّة في إنتاج جيلٍ قادرٍ على التعامل مع السنن الإلهيّة وِفقَ القدرات البشرية[1]، أي بمعنى آخر لم تكن المعجزةُ كما في معهود الرسالات السابقة في خرقِ السّنن والعادة، والإتيان بمعجزة مادية، وإنّما بالقدرة على التعامل مع السنن الجارية والإحسان في تسخيرها، فكان جيلُ الصحابة هو النموذج والمعيار لإعادة الأمّة من جديد في كلّ زمان ومكان[2]، وترى الباحثة أنّ القرآن الكريم أعاد بناء الثلّة الأولى أو الجيل المعياري؛ من خلال تحريك ملكة النقد الفطريّة الأصيلة والتي غطّتها سطوة الجهل والجاه والمال والقبيلة، فنفض الغبارَ عنها، فكانت النواة لترسيخ البنيان ثمّ تشيده حتى وصل بالعقل إلى مرحلة النضج في النقد، كما سنرى من خلال سير البحث بإذن الله.

واستوقفتني كلمات الشهيد سيد قطب (ت١٩٦٦م) في حديثه عن جيل التكوين الأول أو جيل القرآن كما سمّاه، حيث قال في تفسيره لظاهرة اصطفاء الله لهم ليكونوا النموذج الخالد لشخصيّة الأمّة الإسلاميّة: "لو كان وجود شخص الرسول ﷺ، حتمًا لقيام هذه الدعوة، وإيتائها ثمراتها، ما جعل الله الدعوة للناس كافّة، وما جعلها آخر رسالة، وما وكل إليها أمرَ الناس في هذه الأرض إلى آخر الزمان، ولكن الله سبحانه تكفّل بحفظ الذِّكر، وعلم أنّ هذه الدعوة يمكن أن تقوم بعد رسول الله ﷺ، ويمكن أن تؤتى ثمارها، فاختاره إلى جواره بعد ثلاثة وعشرين عامًا من الرسالة، وأبقى هذا الدينَ من بعده إلى آخر الزمان... إذن فإنّ غيبةَ شخص رسول الله لا تفسّر تلك الظاهرة ولا تعلّلها، فلنبحث إذن وراء سبب آخر، لننظر في النبع الذي كان يستسقى منه هذا الجيل الأول... ولننظر في المنهج الذي تخرجوا عليه... كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك

---

[1] يُنظر: حسنه: عمر عبيد، **الأعمال الفكرية الكاملة نظرات في مسيرة العمل الاسلامي**، (بيروت – عمان: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، مج٩، ص٣٥/٥٢٣٠-٥٢٣١.

[2] **المرجع السابق**.

الجيل هو نبع القرآن"[1].

لقد قفز القرآن بالعقل الإنساني – والمتمثّل في بداية نور الوحي بالعقل العربي – قفزاتٍ خارجَ نطاق المعتاد؛ كسرَ بها حاجز الأرقام القياسيّة، لقد أراد الله تعالى أن يكون للعقل المسلم صياغةٌ جديدةٌ يسري فيها وهجُ النور الربّاني منذ الوهلة الأولى يدفعُ بها مساحاتِ العتمة التي كانت تسيطرُ على حياته، لأنّ هناك رسالةً تنظر هذا العقل الذي قُدِرَ له أن يكون النموذجَ الأولَ للعبادة والخلافة، لقد أعيد تشكيلُ العقل البشري متمثّلًا بالعقل العربي[2]، فكان أوّلَ التحولات وأعظمَها هو التحوّلُ العقائديُّ الممزوج بالتحول المعرفي، فكانت آياتُ الله تتنزّل في هذا المقصد، تثير العقل والوجدان، تدعوه إلى خلع نمط التبعيّة في التفكير، والتحول من التعدد إلى الوحدة، ومن عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الواحد الدّيّان، ومن عشقِ الحجارة إلى محبّة الخالق، فكان الكسرُ الماديّ الأول باتّجاه الغيب في حياة هؤلاء الثّلّة وتمكين عقولهم من التحقق بقناعات تسمو على الحس القريب[3]، في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [سورة العلق: ١–٥]، إن الآيات الأولى المنزّلة من السماء كانت فارقة في حياة البشرية كلِّها، فهي نواةُ الأوليّة التي أقام عليها القرآن الكريم أسسَ الشخصيّة المسلمة، وهي بوابةُ المعرفة للخروج من ظلمات الجهل إلى نور العلم، والأمرُ الإلهي بطلب العلم والمعرفة في أول الآيات المنزّلة لم يكن ليترك الروحَ بعيدةً عن التربية، فجاء أمرُ القراءة باسم الرب، وفي ذلك مغزًى عظيمٌ تصدحُ به هذه

---

[1] قطب: سيد، **معالم في الطريق**، (القاهرة: دار الشروق، ط١١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٧م)، ص١٥.

[2] يُنظر: خليل: عماد الدين، **إعادة تشكيل العقل المسلم**، (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية، ط١، ١٤٠٣هـ)، ص٢٧.

[3] يُنظر: خليل: عماد الدين، **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**، (بيروت: المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، ط١، د.ت)، ص١٥.

الآيات المباركة: أنّ التربية القادمة للبشرية هي تربية الرب، ومن معاني الرب هو المصلح للشيء، وهنا توجيهٌ مهمٌّ في هذا المعنى كما أراه: وهو أنّ أولى عمليات الإصلاح والتربية هي تعليم الوقوف على الخطأ والمراجعة والنقد، فكان تربية الله عز وجل للثلة الأولى أو الجيل المعياري هي نقد الأخطاء، والوقوف على موروثات وأنماط من الحياة والقيم التي لا بُدَّ لها من التغيير، ومن هذه الحقائق الأولى التي صدح بها القرآن الكريم وانتقدها كانت في الجانب النفسي للإنسان، والمتمثل بأعظم مفسدة تمرّ بها البشرية سواءٌ على الجانب الفردي أم الجماعي، وهو الطغيان والاستغناء، قال تعالى في سورة العلق: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾ [سورة العلق: ٦-٧]، ثمّ تتوالى الحقائق، فتأتي الحقيقةُ الثانيةُ التي يرسّخها القرآن الكريم وهي حرية الاعتقاد، من خلال تحريك العقل في رفض التسلّط والتضيق على إرادته وحريته في ممارسة شعائره الدينية، فكان النقد بصيغة الاستنكار والتقبيح، يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّى (١٠)﴾ [سورة العلق: ٩-١٠]، وفي سورة القلم – (وهي ثاني ما أنزل من القرآن الكريم بمكة) [1] – يظهر أقوى حالات النقد والمكاشفة؛ من خلال ثلاث قضايا من أخطر القضايا التي تواجهها النفس البشرية المفردة أو الجمعية، والعجيب أو اللالفت للنظر أن تكون سورة القلم من أوائل السور التي نزلت في بداية الدعوة السريّة أو كما تسمّى بداية التكوين، ويكون مضمونُها سننًا نفسيّةً واجتماعيّةً خالدةً، وتدور رحاها في كلّ زمن ، والسنن هي:

أولًا: نقد الشبهات.

ثانيًا: نقد صفات المدهنين.

ثالثا: نموذج للنقد الإيجابي والاستجابة له (قصة أصحاب الجنة).

---

[1] يُنظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٢٤٩.

أولا: شبهة أنّ الرسول ﷺ مجنون:

كان الرد في نقد وصف الرسول بالجنون بخطوات دقيقة، تعتبر من معايير النقد الحديث[١]:

١- قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [سورة القلم: ٢]، تدل أنّ النعمَ التي أنعمها الله على الرسول ﷺ كانت ظاهرةً في حقِّه: بالرشدِ في العقل، والقوة في الفصاحة، والطهارةِ من كلّ عيب أو نقص، والسيرةِ الشريفةِ الزكيّة[٢]، متدثراً بنعمتي النبوة والرياسة[٣]. ووجودُ هذه النعم المحسوسة الظاهرة ينفي شبهةَ الجنون.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [سورة القلم: ٤]، فهي الشهادة الكبرى والثناء العظيم من الله تعالى.

٣- ﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦)﴾ [سورة القلم: ٦]، فالمفتونُ هو الذي أصابته فتنةٌ فأدّت إلى جنونه، فالعربُ كانت تقول للمجنون: فتنتْه الجنُّ أو من أصابه خللٌ في التكوين فضعُفَ التفكيرُ واضطرب[٤]، وهو تعريضٌ بأبي جهلِ بن هشام والوليد ابن المغيرة[٥]، بأنّ الله سيكشف من هو

---

[١] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص١٥.

ذكر الباحث أن معاير النقد هي: الوضوح، المصداقية، ربط الحجة بالموضوع، المنطق في الرد، العمق، الدقة (أي تكون الألفاظ على قدر المعنى والفكرة).

[٢] يُنظر: الرازي: محمد بن عمر بن الحسن التميمي، **مفاتح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج٣٠، ص٦٠٠.

[٣] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٩، ص١١.

[٤] يُنظر: طنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة، ط١، ١٩٩٨م)، ج١٥، ص٤١.

[٥] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٩، ص١٢.

المضطرب فكريًّا والمختل عقليًّا، ثمّ القرآن الكريم بعد أن نقدَ مقولة المشركين للرسول، وأظهر منزلته الحقيقة في الأرض وفي السماء، وقرّر أنّ المضطربَ عقليًّا هو من ينعتُكَ بهذا – وهو تعريض لمن وصف الرسول بالجنون – جاءت الآيات بعد ذلك تحلّل هذه الشخصيّةَ ذاتَ الطبيعة الخاصّة، مستخدمةً طريقةَ النقد للوصول بالعقل إلى فهم هذه الشخصية، والتي ستكرر بعد ذلك.

ثانيًا: نقد صفات المدهنين:

كشف القرآن الكريم أساليب المشركين التي كانوا يستخدمونها مع النبي ﷺ، بغرض التسوية، والتي تنتج عنها تنازلاتٌ في بعض مواقف الدعوة لصالح المواقف الوثنيّة[1]، يقول الله تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [سورة القلم: ٨-٩]، وهؤلاء المدهنون لهم صفاتٌ خاصّة، يذكرها الكتابُ العزيز، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة القلم: ١٠-١٥]، والحلّاف المهين قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأسود بن عبد يغوث، وقيل: الأخنس بن شريق، لكن ما يرجّح أنّه الوليد بن المغيرة هو أنّ قولَ ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ [سورة الأنعام: ٢٥] قاله الوليدُ بنُ المغيرة[2]، وذكرت الآياتُ الكريمةُ تسعَ صفاتٍ يتّصف بها الرافضُ للحقّ؛ فهو: كثيرُ الحلف، صاحبُ الإيمان الفاجرة، المؤذي بالقول، الماشي بين الناس بالنميمة بما يفسد قلوبهم، مانعٌ للخير عن نفسه برفضه الإيمان، ودفعه عن أهله، متجاوزٌ للحقّ والعدل، معتدٍ على الرسول وعلى

---

[1] يُنظر: فضل الله: محمد حسين، **تفسير من وحي القرآن**، (بيروت: دار الملاك، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٤٣.

[2] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٧١.

المسلمين، وعلى أهله وعشيرته بالمنع والصدّ عن الدين، أثيمٌ. ولم يحدّد القرآن الكريم نوع الآثم، فهو مرتكبٌ للمعاصي، لتنتهي هذه الصفات بوصفِ العُتِلّ الزنيم، التي هي أبلغ وصف للشخصية الكريهة، فالعتل هو صاحب الطبع اللئيم، السيء في نفسه وفي معاملته مع الآخرين، والزنيم من اشتهر بين الناس بشرّهِ وخبثه[1]، ثمّ تعقبت الآيات بلفتةٍ يقف العقل عندها مندهشًا، للربط بين أنّ هذه النفس البشريّة البغيضة، التي تحمل هذه المعاني السيئة في الذات والصفات قد رزقها الله المال والبنين، ليصل العقلُ إلى نتيجةٍ: أنّ نموذجَ (المدهنون) لم يكن يحدث لولا التزاوجُ بين الطبائع النفسيّة البغيضة و بين بيئة الجاه والمال، فيستطيع الجيل المعياري أن تكون له القدرة على كشف حقيقةِ هؤلاء المدهنين، وكذلك مَنْ جاء مِنْ بعدهم، ثمّ إنّ الإغراقَ في الصفات الذميمة المغطاة بستائر الجاه والمال لا بُدّ أن ترفض آيات الله: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [سورة القلم: ١٥]، فأقرب حجّة للجاهل المعاند قولُ: إنّها أساطير الأولين، فينطلق الحكم على الآيات بأنّها تمثل المضمون الخرافي تمامًا، كما هي القصص الخرافية التي ينقلها الناس عن الأمم السابقة، من دون أن يدقّق في ذلك بعقله ليعرف طبيعة المضمون الفكريّ العميق الذي يتضمّنه الوحي الإلهي في آيات الله"[2].

وهذه شبهةٌ ثانيةٌ يقرّرها القرآن الكريم في بداية نزوله، قولهم عن القرآن الكريم بأنّه أساطير الأولين، هو حجّة المعاندين في رفض الايمان والصدّ عنه.

ثالثًا: نموذج للنقد الإيجابي والاستجابة له (قصة أصحاب الجنة).

وهذا نوعٌ مباشر من النقد والمحاسبة في قصة أصحاب الجنة، حيثُ استحوذ طغيان

---

[1] يُنظر: قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (تركيا: دار الأصول العلمية، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)، ج٦، ص٥٨٤-٥٨٦.

[2] فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج٢٣، ص٤٦.

المال على عقول الإخوة؛ فمنعوا الفقراء والمساكين من الصدقة المقرّرة لهم، فكانت أقدار الله لهم بالمرصاد، متمثّلةً بالريح العاصفة والنيران المشتعلة في البستان، فجاء صوت العقل الناقد متمثلاً بالأخ الأوسط: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨)﴾ [سورة القلم: ٢٨]، أي قال الأوسط: "تُوبُوا عَنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ قَبْلَ نُزُولِ الْعَذَابِ"[١]، ثمّ قبول الإخوة لهذا النقد والتوبة بالرجوع والإنابة لله تعالى، وتصحيح المسار مرةً أخرى كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)﴾ [سورة القلم: ٢٩-٣٢].

سورة المدثر:

كان الوصف الدقيقُ لحالة الوليد بن المغيرة في المواجهة مع الوحي، قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)﴾ [سورة المدثر: ١١-١٨]، ففي هذه الآيات نقدٌ قويٌّ الخطاب لتصرف الوليد في رفض الاستجابة الداخليّة للنفس والمقرّة بالحق؛ حيث وقفت المؤثرات الخارجية والمتمثلة بالقبيلة والعُرف الجاهلي حاجزًا أمام الإقرار بالحقّ، فالقرآن الكريم يرسم الموقفَ الكامل، وكيف كانت خطوات تفكير الوليد السطحيّة، والتي كانت ذات نتيجة سلبيّة عليه، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [سورة المدثر: ٢١-٢٥].

وبعد ذلك يقرّر القرآن الكريم المغزى من هذا الانتقاد، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾

---

[١] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣٠، ص٦٠٩.

[سورة المدثر: ٤٢]، وهو الحساب الأخير والمستقرّ الأبديّ المنتظر، كما قدّم القرآنُ الكريم في سورة المدثر مفهومًا جديدًا يطرح على العقل العربي وهو حرية الاختيار، في ختام هذه السورة في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَة (٥٤) فَمَن شَاء ذَكَرَه(٥٥)﴾ [سورة المدثر: ٥٤-٥٥]، إذًا فالوحي منذ أول نزوله يقوم ببناء مفهوم الحريّة، الذي به تتّسع مساحةُ التفكير في كلّ ما يعرضه القرآن الكريم، فترتسمُ لديه أسسُ النقد والمحاسبة وذلك وفقًا للاختيار والمشيئة الذاتيّة.

ويشتدُّ خطابُ القرآن الكريم مع نهاية السورة، وتتّضح اللغةُ النقديّةُ في الآيات الربّانيّة: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَة (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَة (٥١)﴾ [سورة المدثر: ٥٠-٥١]، فهذه الآيةُ تشبّه حالَ المجرمين والمعرضين بشدة عن التذكرة القرآنيّة والتي لا قهر فيها ولا جبر، بحُمُرِ الوحوش التي تشتدّ في النفور والهروب؛ إذا شعرت بأسدٍ يترصّد حركاتها لافتراسها، وفي تشبيه عامَّتهم بالحمر إيماءٌ إلى قِصَرِ عقولهم، وحُمقِ تصرفاتهم، وقلةِ إدراكهم لحقائقِ القرآن الكريم ودعوةِ الرسول ﷺ[1].

سورة المسد:

سورة المسد نزلت في أبي لهب الذي قال للرسول: "تبًّا لك ما جمعتنا إلّا لهذا"[2]، وذلك عندما جمع الرسول قومَه يدعوهم الى الإسلام، فجاءت الآيات تنقد بشدّةٍ تصرف أبي لهب مع الرسول ﷺ؛ بل انتقل النقد من الطريقة غير المباشرة إلى الطريقة المباشرة الصريحة، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب (٢)﴾ [سورة المسد: ١-٢]، وذلك عندما يتعلّق الأمر بالثوابت الكبيرة في الدين (سب الرسول ﷺ).

*نلاحظ أنّ أغلبَ السور المكّيّة – وخاصّة في زمن الاستضعاف (الفترة المكّيّة الأولى)

---

[1] يُنظر: حبنكة: عبد الرحمن بن حسن، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١ ص١٤١.

[2] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٦٠١.

– كانت الآيات الكريمة فيها كثيرةَ النقد للظواهر الحياتيّة والاجتماعيّة للمجتمع الجاهلي: كنقدِ الموروثِ الاجتماعي العميق الجذور، وهو وأد البنات، كما جاءت الكلمات القرآنية عميقةَ الدلالة، صريحةَ المعنى في سورة التكوير، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَت (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت (٩)﴾ [سورة التكوير: ٨–٩]. وموروثِ الاستغناء النفسي، والبخلِ...، كما جاء في سورة الليل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [سورة الليل: ١٤–١٨].

قاعدة نقد الذات:

والقرآن الكريم يقرّر قاعدةً أساسيّةً في بناء الجيل المعياري، هي قاعدة نقد الذات، لتكون السبيل في معرفة الأخطاء والنواقص والوقوف عليها، فجاءت السور المكّيّة شارحةً هذه القاعدة[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو﴾ [سورة الشورى: ٣٠]، ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النجم: ٣٢].

* هذه بعضُ نماذج الآيات في السور المكّيّة التي وضَحَ فيها البناءُ القرآني للتفكير الناقد، ولا يتّسع المقام لبحث جميع السور على الرغم من احتوائها للمنهج النقدي، وأعتقدُ أنّ السور المكّيّة بمراحلها الثلاث تحتاجُ إلى دراسةٍ خاصّةٍ ومستفيضةٍ لاستخراج الكيفيّة التي بناها القرآنُ الكريمُ في تكوين عقليّةٍ ناقدةٍ لدى الجيل الأول أو النموذجيّ كما أراه.

بناء العقل الناقد في المدينة:

كما كان القرآن الكريم يبني العقولَ على الاعتراف بالخطأ والتصحيح، فدورُ العقليّة

---

[1] يُنظر: الكيلاني: ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٩٨٨م)، ص٦٢–٦٣.

الناقدة في المدينة لا تقلُّ أهمّيّةً وخطورةً عن العهد المكّي، فالمجتمع المسلم بدأ يتكوّن في المدينة، والمسؤوليّة كبيرةٌ وحسّاسةٌ على كلّ أفراد المجتمع المسلم، لذلك كان الخطابُ القرآنيّ في بناء العقليّة الناقدة يحمل توجّهات أخرى لم تكن موجودةً بالمجتمع المكّيّ: كالغزوات والمعارك التي جرت في العهد المدني، ومن أمثلة ذلك: ما قام به القرآن الكريم من التربية النقديّة في غزوة أحد، قال تعالى: ﴿ ولقد صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢-١٥٥]، فهذه الآيات الكريمة تمثّل أعلى درجات النقد والمحاسبة والتقويم، فالحديث القرآني عن: التنازعِ في الأمر، ومخالفةِ أمرِ الرسول ﷺ، وحبِّ الدنيا، وإخفاءِ ما في النفس من سوءِ ظنٍّ، والوقوعِ في مغريات الشيطان ...الخ، هي مجموعة قضايا، وبدقةٍ أكثر هي صورةٌ من العرض النقديّ لإصابات ومقّدمات أدّت للهزيمة في أعلى المجتمعات مثاليّةً وأكثرها خيريّةً، وفي

أشدّ الظروف خطورةً وحساسيّةً[1].

حال المسلمين الآن:

إنّ غيابَ العقليّة الناقدة التي عليها معول المراجعة والمناصحة، وغيابَ القلق الحضاري من أهمّ الأسباب التي أدّتْ إلى تراجعٍ في منسوب الارتقاء الحضاري[2] لأمّة الشهود، التي بناها القرآن الكريم في جيل الأولين (ثلة من الأولين).

سبيل إخراج الأمّة من جديد:

في المرحلة الحرجة من حياة الأمّة أو في أزمنة الضعف، حيث جاء وصف القرآن الكريم لبعض الأيام بأنّها أيامٌ نحِساتٌ نسبةً إلى ما حدث أو ما يحدث من فساد في الأرض. ومحاولةُ اقتلاع الأمّة من جذورها وبثّ ثقافاتٍ مسمومةً فيها تحاول التشكيك في الثوابت، والهجومً على التاريخ ومحاربةً القيم التي جاء بها القرآن الكريم، تشدّ الحاجة إلى الرجوع إلى الاغتراف من الينابيع: الكتاب والسنة؛ للخروج من مرحلةِ القصعة إلى مرحلة الرشد[3].

---

[1] يُنظر: حسنه، **الأعمال الفكرية الكاملة**، مج٤، ص٢١٧٩/١٠.

[2] يُنظر: الكيلاني، **المقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**، ص١٤.

[3] ينظر: حسنه، **الأعمال الفكرية**، مج٩، ص٥٢١٧/٣٥.

المطلب الثاني: هل العقل مفطورٌ على النقد؟

هل العقل مفطورٌ على النقد، أم أنّه مهارةٌ مكتسبةٌ كما يراها كثيرٌ من الباحثين، حاولت البحث عن إجابةٍ لهذا السؤال، فوجدتُ أنّ كثيرًا من الباحثين يرى أنّ النقدَ عمليّةٌ مكتسبة وليست من الفطرة[1].

بينما يرى عبد الكريم البكار: أنّ الله فطره منذ الصغر على التساؤل ومحاولة فهمِ ما يحيط، وهذه هي الخطوات الأولى لتشكيل العقل الناقد، لكن بسببِ الفروق الفرديّة والتقصير في الجانب المعرفيّ وضعفِ الخبرة؛ كلّ ذلك أدّى إلى المفارقة في تكوين هذا النوع من العقول[2].

ولعلّ الإجابة تكون في الآيات القرآنية نفسها، يقينًا أنّ لكلّ تساؤلٍ يرد على النفس له إجابةٌ في كتاب الله العزيز، ففي قصة سيدنا آدم مع إبليس وخطيئة الأكل من الشجرة، استنباط للفطرة البشرية في نقدها لذاتها ومحاسبة النفس على ما يقع منها من خطأ، فقد أقر سيدنا آدم بالخطأ وقال تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٣]، والآية فيها معنى النقد للنفس على التصرف الخاطئ، والاعتراف بالذنب بقولهم: ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، فقد ظلموا أنفسهم بطاعة الشيطان وعصيانهم الله، ثمّ التصحيح الفوري لعملية النقد، وهي التضرع إلى الله بطلب التوبة والمغفرة منه، ويعلّق الشيخ الشعراوي على هذه الآية فيقول: "حين قال آدم وزوجته حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ معًا وفي نَفَس واحد، ونغمة حزينة نادمة، ألا يدلّ ذلك على أنّهما قد تعلماها؟ إنّ كلًّا منهما لو اعتذر لله بمفرده لاختلفا في أسلوب

---

[1] يُنظر: الأصفر، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، ع١١، ص٢١٣.

[2] يُنظر: بكار، "التفكير النقدي"، **مجلة المنتدى الإسلامي**، ع٢٣٠، ص٢.

الاعتذار، وهذا دليل على أنّها ملقّنة، ولهذا قالا ربنا"[1]، ففي حديث الشيخ الشعراوي دلالةٌ على أنّ النقد من الفطرة؛ حيث قال عن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٣]: أنّها ملقنة وقد تعلماها، أي أنّ الله قد علّمهم إيّاها، وهي من العلوم الأوّليّة التي أرى أنّها مغروسة في الفطرة، وممّا يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠]، فقد ألْهم الله النفسَ الفجورَ والتقوى؛ تفهم وتعقل، فهناك حُسنٌ لا بُدَّ من أخذه، وقبيحٌ لا بُدَّ من تركه، وذلك بالمشيئة والاختيار للنفس، لقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ [سورة البلد: ١٠][2]، ومن معاني التزكية التطهير والنماء[3]، والتطهر لا يكون إلّا بالتخلّي عن الذنوب بعد محاسبة النفس ونقدها لما هو خطأ.

غير أنّ النقدَ كباقي الفطر المغروسة في قلب الإنسان: قد يُطمس بعوائقَ تمنع من نموّه وبروزه، وقد تجد العلم والمعرفة الحقّ التي ترعاه وتنمّيه، كما أنّ الله ﷻ عندما وضع النقد والإنابة والمحاسبة في فطرة الإنسان، لم يتركها بدون نماء، بل أرسل الرسل وأنزل الكتاب الكريم، فكان البناءَ الحقيقيَّ للعقليّة الناقدة، فالقرآن الكريم منذ أول نزوله وهو يرسل الإشارات والدلالات المباشرة وغير المباشرة لعمليّة النقد من خلال القضايا الكثيرة التي عرضها على الإنسان في صراع الخير والشر، والتمييز بين الحقّ والباطل، وأنّ الخطأ وارد، وأنّ النفس قد تزل، لكن الله ترك خطّ الرجوع إلى درب الاستقامة مفتوحًا ومطلوبًا بشرط المحاسبة والنقد، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ

---

[1] الشعراوي، **خواطر القرآن**، ج٧، ص٤٠٨٩.

[2] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣١، ص١٧٧.

[3] يُنظر: **المرجع السابق**.

وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥]، وفي دعاء سيدنا يونس الذي انتقد خطيئته وطلب المغفرة من الله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨].

المطلب الثالث: أهمّيّة العقليّة النقديّة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، من مقاصد القرآن الكريم وخصائصه الفريدة التي جاء بها خاصّيّة (الهيمنة)، والتي يقصد بها المعيارية، حيث يُكشف بها الخللُ ويُعرف بها مواطنُ الضعف والقصور.

والنقد والتصويب للسلوك الإنساني المنحرف ومواطن النكوص عن الصراط وبيان الطريق الصحيح؛ إنّما هو منهجٌ لبناء أمّةٍ قادرةٍ على القيام بتكليف الشهادة وسبب في الخيرية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، ولن يتقرّر ذلك إلّا إذا قامت بممارسة النقد والتصويب وفق المعايير التي نزل بها الوحي: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، ولن تخرج الأمّة من جديد ولن تحقّق الشهادة على النفس وعلى الناس، ومن ثمّ لن تقوم بدور الشهود الحضاري: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، ما لم تتّخذ من منهج النقد مرتكزًا يقوم عليه نشاطها العقلي، والأمّة المعياريّة هي التي تحقّق لها شرطَ الكتاب المعياريّ: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، والرسول المعياري: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، وتكون ملتزمةً ومنضبطةً بقيم الوحي المعيارية: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، ومن أهمّ خصائص أمّة الشهادة الشهادة على النفس، فالتصويبُ والمراجعةُ والنقدُ البنّاء يبدأُ من الذات أوّلًا[1]، فالبدايةُ الحقيقيّةُ للشهود الحضاريّ يبدأُ من نقدِ الذات وتقويمِ النفس التي هي نواةُ تكوين الأمّة وعليها معول التغيير؛ لذلك سننطلق من بيان أهمّيّة العقليّة النقديّة للذات حتى نصلَ من خلالها إلى أهمّيّة العقليّة على مستوى الأمة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود:

---

[1] يُنظر: البنا، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، ص٥-٦.

.[١١٧

أهمية بناء العقليّة الناقدة على المستوى الفردي:

١- العقل الناقد يربّي صاحبَه على خصالٍ كريمة: أوّلها الشجاعةُ في الاعتراف بالخطأ وقبولُ النقد من الآخرين، وثانيها التواضعُ، فالكبرُ والغطرسةُ ليس لها محلٌّ في قلبه؛ لأنّه يعلم أنّ النقدَ في الأساس هو لصالحه، وأنّه لا عصمة إلّا لأنبياء الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، فتنشأ الشخصيّة المسلمة شخصيّةً مرنةً، قادرةً على التجدّد في كلّ وقت وحين، مع الثبات على صراط الله المستقيم، وبذلك يصل المسلم إلى مرحلة الارتقاء الذاتي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٩]، وهي مرحلة التزكية؛ من خلال تقيم النفس ومعالجة القصور، والفطنة على عدم تكرارها، بل إيجاد الحلول للخلل والقصور، فيكون الصعود والارتقاء من نموذج النفس اللوامة إلى النفس المطمئنة.

٢- العقليّة الناقدة، تعزّز من قبول الإنسان لنفسه واحترمه لذاته، وبالتالي تقوّي الثقة بالنفس، وتوجه العقل للسير في المسار الصحيح، وتكوين أحكام صحيحة في نقد الذات[١].

٣- يحول العقل الناقد عمليّة اكتساب المعرفة من حالةٍ خاملةٍ إلى نشاطٍ عقليٍّ يؤدّي إلى إتقان المحتوى المعرفي[٢].

٤- الفوز بخيريّة الدنيا والآخرة، فمن خصالِ المسلم صاحب العقليّة الناقدة تفنيدُ الآراء قبل قبولها أو العمل بها، مصدّقًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦]، وقد جاء في

---

[١] يُنظر: مطارید، "النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي"، **مجلة وحدة الأمة**، س ٥، ع١٠، ص٢٦.

[٢] يُنظر: المزيني: فاضل بن سلطان، **ممارسة معلمي الثقافة الإسلامية مهارات التفكير الناقد واكتساب طلبتهم لها**، رسالة ماجستير، ص٢٦.

تفسير هذه الآية: إنّ المراد بالتبيّن هو التّعرّف والفحص والتبصّر بالخبر لمعرفة مصداقيّته، فالعقليّة الناقدة ليست عقليّةً مسايرةً؛ بل هي عقليّة تحليليّة، يقول سيدنا عمر بن الخطاب η: "لست بالخبّ ولكن الخبّ لا يخدعني"[1]، فتتجنب الشرورَ والمعاصي، وتقبل على الخيرات والطاعات التي تقودها إلى طريق الجنات.

على مستوى الأمّة:

تحتاج الأمة الإسلامية الى العقل الناقد في الكثير من القضايا التي تؤثر في نهضة الأمة وفلاحها، وسأتطرق لبعض القضايا التي قد تكون شديدة الحساسية والأهمية في وقتنا الحالي، ومن أهم هذه القضايا:

١- صناعة العصمة المزيفة:

إنّ أخطر ما ابتليت به الأمّة الإسلاميّة هو صناعةُ العصمة للرموز، سواءٌ أكان زعيمًا أو شيخَ مذهب أو مفكرًا ...الخ، وينشأ عن عصمة التعصب الفاسد ضياعُ كثير من الحقوق، والجمود في خط السير والتطور، والمركزيّة في القرارات، وكلُّ هذا يصيب الأمة في العمق، فتظلُّ حبيسةَ الفكر أو الرأي الواحد، كما تظهر مفاهيم التعصب والبغض والاستكبار والنفاق، وتشيع الرشوة والمحابة، وإخفاء الحقائق، يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "ليس لأحدٍ أن ينصب للأمّة شخصًا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي، غير كلام الله تعالى ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرّقون به بين

---

[1] يُنظر: الرقاص، والرفاعي، والحيدري، "الأسس النفسية للنصيحة في ضوء التفكير الإبداعي والناقد"، **مجلة التربية**، مج٢، ع١٤٦، ص١٠٢-١٠٣.

الأمّة، يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[1].

وأمام العصمة المزيفة لن يكون أمام المجتمع إلّا التسليم بما يُملى عليه، كما حدث في المجتمع الفرعوني عندما صنعت العصمة لفرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: ٣٨]، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤]، فكانت النتيجة: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [سورة الزخرف: ٥٤].

فالعقولُ الناقدةُ هي سفينةُ النجاة في مجتمعٍ تتولّد فيه أصنامٌ للعصمة المزيفة، لأنّها تعرف الحقّ بالرجال ولا تُعرف الرجال بالحقّ.

٢ – الاستبداد:

من الأسباب التي يبرز فيها الاستبدادُ هو غيابُ النقد والمراجعة، فالعقلُ الناقدُ – والذي هو أساس الحراك الفكري – لا ينشط ولا يُؤتى ثمره إلّا في بيئة تكون الحرية أحدَ ركائزها، ولا يقتصر الاستبداد على نوعٍ معين؛ بل هو مفهوم عام لكلّ أنواع الاستبداد.

والاستبداد أيًّا كان نوعه هو من أخطر الظواهر السلبيّة التي تبتلى بها الأمّة، ومن أشرس الأمراض التي تفتك بمشروع الرشد الحضاري لها، فتعطيل النقد والمراجعة في المجتمع يولّدُ ظاهرةَ القطيع؛ حيث تقاد الأمّة حيث ما أُريد لها، وتُطفى قناديلُ أهلِ الخبرة والمعرفة، وتتعطّل وسائلُ التكوين للشخصيّة المسلمة الراشدة[2].

ومن أخطر أنواع الاستبداد التي صوّرها القرآن الكريم هو الاستبداد السياسي، متمثلًا

---

[1] ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، (بيروت: دار الكتب العلمة، د.ط، د.ت)، ج٢٠، ص٧٥.

[2] يُنظر: البنا، **التفكير الموضوعي**، ص٢٠.

بشخصيّة فرعون، حيث جفّف منابع التفكير الحرّ الذي يعرض حديثه ومطالبه على ميزان العقل، فلم تَعُدْ أمّتُه قادرةً على الرفض، وأصبحت تُقادُ كالقطيع إلى ما يملى لها، يقول فرعون كما صوره القرآن في قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: ٣٨]، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤]، فكانت النتيجة: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [سورة الزخرف: ٥٤]، والاستخفافُ ما هو إلّا نتاجُ الجهل والفساد الذي تكوّن بسبب غياب العقليّة الناقدة.

٣- حتى لا تكرّر الأخطاء:

من أبرز نتائج غياب عمليّات المراجعة والنقد هو تكرّرُ الأخطاء في العمل على مستوى العالم الإسلامي، سواءٌ كان هذا العمل سياسيًّا، أو اقتصاديًّا، أو اجتماعيًّا، أو دعويًّا، أو غير ذلك؛ بل أصبح تكرارُ الخطأ شيئًا لازمًا في المجتمعات الإسلاميّة، ولا تتعدّى المعالجة للمشاكل المعتادة والأخطاء المتكرّرة من الشكوى التي يعتبرها العقلُ المسلمُ في الأغلب هي الحلّ، إنّ غياب العقل المدرّب على النقد والمراجعة أدّى إلى حالةٍ من السلبيّة البغيضة بسببها أصبح العالم الإسلامي يُلدغ من الجحْر نفسه أو من الجحور المماثلة، وتتوالى عليها النكبات المتشابهة[١].

يقول عمر عبيد حسنه: "إنّ المكتبة الإسلامية الحديثة تكاد تكون خاليةً أو شبهَ خاليةٍ من الدراسات النقديّة التقويميّة للمراحل التي مرّت بها الدعوةُ الإسلاميّة والتجارب التي عانتها رغم كثرتها، التي تبصر الجيل بتاريخه، وتعرفه بالأخطاء ... إنّ المكتبة الإسلامية الحديثة غنيّةً بالكثير من الدراسات التي تحملُ طابع الكلام عن الإيجابيّات ووضع المبررات، وكيل المدح بلا حساب، أمّا الدراسات الناقدة والأصوات الناقدة، فتكادُ تكون غائبةً تمامًا"[٢].

---

[١] يُنظر: حسنه، **الأعمال الفكرية الكاملة نظرات في مسيرة العمل الاسلامي**، مج١، ص٥٠-٥١.

[٢] حسنه، **الأعمال الفكرية الكاملة نظرات في مسيرة العمل الاسلامي**، ج١، ص٥٢.

إنّ العقليّة النقديّة المؤهلة والمدربة بالمنهج القرآني هو ما تحتاجه الأمّة، فهذه العقليّة تخرج بعد كلّ إخفاق يحلّ بالأمة، تدرس الأسباب وتحلّل النتائج، لتقف على النتيجة التي تمنع من الوقوع مرّةً أخرى، وتكون عونا وقدوة للأجيال القادمة.

والنتيجة الحتميّة لظاهرةِ تكرار الأخطاء، بسبب غياب منهج النقد والمراجعة، ظهورُ ظاهرة ثانيةٍ لا تقلّ خطورةً عن الأولى، ألا وهي العقليّة التبريريّة.

٤- العقليّة التبريريّة (التبعية):

وقد ظهرت فكرة التبرير وسطَ كثير من المسلمين بسبب غياب النقد فكرةُ التبرير، فالبعضُ يلغي العقل، ويحرم الفكر من أعظم هبات الله له، بأنْ جعله مكلّفًا بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر، والنصح والشورى، فجعل من نفسه إمّعةً يُسلِّم بما يقال له، فلا يحاكم الأفعال والتصرفات، ولا يناقش الآراء والقرارات، وغاب عنه قول رسول الله ﷺ: «لا يكون أحدُكم إمّعةً يقول: أنا مع الناس، إنْ أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطِّنوا أنفسكم إنْ أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألّا تظلموا»[١].

لذلك لا بُدَّ من إعمال العقليّة الناقدة في تحليل الأحداث المعاصرة، ونقد الأشخاص والمواقف، وفحص التراث والتاريخ، مع مراعاة المنهج الإسلامي، دون تجريح أو تشهير، ودون خشية من سلطة أو نظام[٢].

٥- حاجة الأمّة إلى التجديد:

---

(١) رواه الترمذي في **السنن**، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج٣، ص٣٦٤، برقم: (٢٠٠٧)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

[٢] يُنظر: نور، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، ع١١، ص٢٨.

إنّ توقف الاجتهاد والتجديد في فهم النصوص بحسب تغيرات الواقع، والوقوف على الاجتهادات البشريّة السابقة؛ يترتّب عليها خطورةُ الوصول إلى نقل القدسيّة والعصمة من الوحي إلى العقل ومن النصّ الوحي إلى الفهم البشري، ويخشى أن يقودَ هذا الجمود وعدم التجديد إلى ظهور الأرباب ولو بشكلٍ خفيٍّ، ومن ثمّ تعطيل النصوص الإلهيّة ولو بشكل خفي[1]، كما أنّ رفض دعوات التجديد والإصلاح، والإصرار على عباءة التقليد أخرج طائفةً مسلمةً تنظر إلى بعض تعاليم الدين على أنّها موروثٌ قديمٌ لا تصلحُ للحياة الحديثة.

لذلك كانت الحاجةُ للنقد الصادق والأمين لمجريات الأحداث التي مرّت بها الأمّة من خلال التركيز على الدراسة والمراجعة، ومن خلال الاهتمام بإعادة البوصلة المعياريّة إلى موقعها الحقيقي وهو الكتاب والسّنّة وإنزالهما على الواقع.

٦- الحاجة إلى معرفة الآخر:

من النتائج المترتّبة على بناء العقل النقديّ للشخصيّة المسلمة الحاجة إلى معرفة الآخر واتّخاذ المنهج والأسس التي تحدّد العلاقة معه، وكلّما تقدّم الزمن ظهرت الحاجة أشدَّ من قبل لمعرفة المنهج الصحيح لمعرفة الآخر وتحديد أُطر العلاقة معه، ومثال ذلك ما نرى في واقعنا الحالي من نماذج للشعارات والأسماء المرفوعة للعلاقة مع الآخر، سواءٌ بالإفراط أو التفريط، فهناك عملٌ حثيثٌ لإجبار المجتمعات الإسلامية قسرًا للتعايش مع الآخر بدون ضوابط، وهناك أصواتٌ تتعالى في جانب آخر لرفض الآخر تمامًا، كما أنّ الزخمَ الكبير الذي يعيشه العالم الإسلامي من مصطلحات تدورُ حول الآخر، مثل صراع الحضارات أو تعايشها وحوار الحضارات، وكلُّ ما تنطوي عليه العلاقة مع الآخر ما بين خير وشر وحقّ وباطل، كلّ ذلك

---

[1] يُنظر: حسنة، **أعمال عمر عبيد حسنة**، مج٦، ص١٥.

كانت الحاجة إلى معرفة الآخر بالعقل الناقد الذي يستفيد من الأطر التي حدّدها له القرآن في التعامل معه.

إنّ القضايا التي تتعلّق بالآخر وناقشها القرآن الكريم كثيرةٌ ولا يحتمل البحثُ إدراجها رغم أهمّيّتها، إلّا أنّي اخترت بعض القضايا ذات الأهمّيّة البالغة في عصرنا الحالي، وكيف كان البناء للعقل الناقد الذي يفترض من المسلم أن يمتلكه عند التعامل مع الآخر:

أ- العلاقة مع أصحاب الديانات المحرّفة (اليهودية أنموذج):

إنّ المساحة التاريخيّة التي سجلها القرآن الكريم والتي تصوّر تاريخ النبوّة مع بني إسرائيل وحالهم في الجانب العقائدي والعبادة والسلوك تعتبر سبيلًا لبيان الهدى والوقاية للأمّة المحمديّة التي انتقلت لها القيادة للعالم بعد تفريط بني إسرائيل فيها، فقضية اليهود في القرآن الكريم لم تُسرد لمجرد التدوين التاريخي؛ بل لتعطي المسلم آفاقًا للتعامل مع اليهود، كما تمنح المسلم الحذرَ واليقظة من خلال استصحاب الموروث التاريخي لهم، والذي لا يجوز في نفس الوقت أنْ يحمل من موقع ظلمًا أو تعصبًا، فخلود القرآن الكريم بما يعني تجرّده من نطاق الزمن، يعني أنّ القوانين الاجتماعيّة والصفاتِ الأخلاقيّة والطباعَ النفسيّة مستمرةٌ استمرار الحياة على هذا الكون، جاء خطاب القرآن الكريم لليهود وقت البعثة، موضّحًا الخلل لدى من سبقهم من جيل الآباء والأجداد، منتقدًا لنقض العهد مع أنبياءهم، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإشاعتهم للربا، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، ودعواهم أنّهم أبناء الله... إلخ، ثمّ أوضح القرآن أنّ هذه الصفات أصبحت صفاتٍ متوارثةً فيهم، تنتقل من جيلٍ إلى آخر، جبلة مطبوعة في أنفسهم، وذلك لشعورهم الكاذب والمتوارث بأنّهم شعب الله المختار، وهذه الخصالُ المتوارثة فيهم ستبقى خالدةً معهم، والقرآن الكريم شاهدٌ عليها، وستظهر بمفاهيم وأشكال مختلفة: كالصراعات والحروب، والتي تشتدّ

في أوقاتٍ وتخفتُ في أوقاتٍ أخرى، وتتّخذ من التجسّس والتخفّي بين التنظيمات العالمية والتسلل بالأفكار بين المجتمعات، مستمرة حتى قيام الساعة، حتى ينطِقَ الحجرُ والشجرُ على فسادهم[1].

إنّ المنهجَ القرآنيَّ في بناء العقل الناقد –المتفحّص لمجريات الأحداث القرآنيّة المتعلّقة باليهود والسنن الاجتماعية والنفسيّة المنسوجة بأحكام إلهيّة فيما يخصّ أهل هذه الديانة– أعطى الرؤيةَ الصادقةَ للمسلم في كيفيّة التعامل معهم، من خلال ميزان العدل والحقّ والحسنى، لكن تبقى خطوط الحذر والحيطة وعدم الأمان لهم هي المحرك الرئيس في التعامل.

ب– كشف مصطلح العولمة:

ظهر مصطلحُ العولمة بشدّة في القرن الماضي أي منذ أوائل التسعينات، منذ سقوط المعسكر الشيوعي وانهزامه أمامَ النظام الليبرالي، وهذا المصطلحُ وإن تعدّدت تعاريفه أو مفاهيمه إلّا أنّه لا يخرجُ عن فكرة إزالةِ الحدودِ الجغرافيّة بين الدول والحواجز وبين الحضارات بهدف سيطرة الرأسماليّة الغربيّة وأفكارها على العالم، ومن أجل ذلك ولدَتْ مصطلحاتٌ فضفافةٌ، مثل: الإرهاب، حقوق الإنسان، الديمقراطية، الشفافية ... الخ، وصارت مفاهيم العولمة تُفرض قسرًا على دول العالم الثالث من خلال لجان منظّمات دوليّة، مثل: الأمم المتحدة، لجنة حقوق الإنسان، مجلس الأمن، منظّمة التجارة العالميّة وغيرها، وغدت هذه المفاهيم تمثّل ضغطًا على الدول للسيطرة عليها والقضاء على عقائدها وثقافتها الدينيّة، وبالتالي هدم حضارتها لتقوم على أنقاضها[2].

---

[1] يُنظر: حسنة: عمر عبيد، **الشاكلة الثقافية**، (بيروت – دمشق – عمان: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٥٩–١٦٤.

[2] يُنظر: الدويش، "الحوار مع الآخر بين صدام الحضارات وعولمة التشريعات"، **مجلة بحوث ودراسات العالم الإسلامي**، ع٥، ص٢٢-٢٣.

والعولمةُ كما قلنا مصطلحٌ مطاطٌ تدخل تحت مظلّتَه أنواعٌ مختلفةٌ، مثل: العولمة الثقافيّة، الاقتصادية، المعلوماتيّة، السياسيّة، الاجتماعيّة، وغيرها، ويكفي أن نشيرَ إلى آثار إحدى هذه الأنواع، وهي العولمة الاجتماعيّة والتي غايتها في نهاية الأمر إقصاءُ الدين عن واقع المجتمعات وما يسمّى بالعلمانيّة، وتروّج هذه العلمانية إلى أنّ الدين يقيد الحريّات الشخصيّة، وأنّ التديّن لا بُدَّ أن يظلَّ مقصورًا على المساجد ودور العبادة دون أن يكون له رأيٌ في حرية الفرد أو فرض قيود أو قوانين، ومن هنا جاء الترويجُ لمصطلحاتٍ قاتلة للمجتمعات وخاصّةً المجتمعات الإسلاميّة، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب والدمار، فخرجت علينا مسمّيات وقوانين، مثل: حقوق المرأة، حقوق المثليين، النسويات، المساواة بين المرأة والرجل، وهي دعاوى وقوانين تسن وتخفي تحتها الحقيقةَ الخبيثة، وهي دعوى للإباحيّة الجنسيّة والإجهاض للقصر[1]، والخروج عن فلك الحماية الأسرية، أمام هذا المصطلح الخطير الذي يتوغّل بمفاهيمه الخطيرة في جسد الأمّة من خلال أبنائها وأعداءها، فلا بُدَّ من عقول فطنة، عقولٍ تعي المتغيّرات السريعة التي تحدث في المجتمع، فتنتقد الظواهر الدخيلةَ والمصطلحاتِ الخادعةَ؛ من خلال التحليل العلمي والفكر الواعي، فتكشف خطط الأعداء والمتربصين بهذه الأمة.

ج- صراعٌ أم تعايش الحضارات:

شاع في العالم مصطلحاتٌ: صراع الحضارات، تعايشُ الحضارات، حوار الحضارات، وهي مصطلحاتٌ يلفها الغموض والاستفهام من جوانب عديدة، كما لا بُدَّ أن يكون المؤمن حذرًا في قبولها مفروضة عليه ومصنعة له.

ولا بُدَّ أن نبيّنَ موقفَ الإسلام في البدء من هذه المصطلحات، فالتغيّر والتباين سنّةٌ ربانيّةٌ

---

[1] يُنظر: **المرجع السابق**، ص٢٦.

أوجدها الله تعالى في هذا الكون وبهدف استمرار الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [سورة الحج: ٤٠]، ومن أهمّ السنن التي تربط بين الحضارات اتّصال الحضارات ببعضها: إمّا عن طريق ابتغاء الخير والاحترام المتبادل والحوار الصادق، أو عن طريق الشر والصدام والغزو، ومنهج القرآن الكريم هو الحوارُ والالتقاء مع الآخر في نقطةٍ مركزيّةٍ، وهي خدمة الإنسانية بشرط أن لا يتعارض مع الثوابت أو الهوية الأصيلة، ولا يقفز مصطلح تعايش الحضارات على خصوصيّة الحضارة الإسلاميّة فيغيّرها[1]، وهذا الأمر يحتاج إلى العقليّة الواعيّة صاحبة النظر الثاقب، المتفحصة لما يحدث في العالم الدولي وأثره على المجتمع المحلي، فترى الأمور على حقيقتها، مستنده في ذلك على البناء المعرفي للدين الإسلامي، متّخذة من شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقًا لتبين مفهوم هذا المصطلح، ما له وما عليه في دفعه للمجتمع المسلم، مقاصده الحسنة والسيئة، فالعقل الناقد، هو طوق النجاة للسلامة من كلّ الشرور التي تحيط بالمجتمع المسلم، فهي عقليّة قد حباها الله باستشعار الخطر وقادرة على الصدع به من غير خوفٍ أو محاباة.

تواجه الأمّة أخطارًا على مختلف الأصعدة، ومن أشدّ هذه الأخطار محاولة زرع هيمنة الثقافة الغربية على الأمّة، حيث يسعى الغرب جاهدًا بأنْ تكون ثقافته واقعًا في حياة الأمة الإسلاميّة، أو عملةً سهلةَ التداول، وحاضرُ الأمّة ومستقبلها مرهونٌ بقدرتها على مواجهة هذا الخطر على الصعيد الفرديّ والجماعي، وذلك بفرض الثقافة الإسلاميّة، كما كان عليه الجيلُ الأول، وكما أراد الله، ولن يكون ذلك ما لم تقفِ الأمّة على واقعها بالتقييم والنقد، ومعرفةِ عناصر

---

[1] يُنظر: الدويش، "الحوار مع الآخر بين صدام الحضارات وعولمة التشريعات"، **مجلة بحوث ودراسات العالم الإسلامي**، ع٥، ص٢٩-٣١.

القوّة والضعف، والتمييز بين الحقّ والباطل، والانطلاق بعد ذلك في فضاء العالم مكتسين بالحلية الإسلاميّة، التي ترفض العزلة عن العالم، وترحّب بكلّ ما فيه نفعٌ قادمٌ بشرط أن تعرضَه على منصّة التقييم للشرع.

٧- تقرير الشخصية العالمية وفرضها على الأمة الإسلامية.

من أهداف التغريب الأولى تحويل الشخصيّة الإسلاميّة إلى الشخصيّة العالميّة، وهي اليوم شخصيّةٌ مقسّمة إلى تياراتٍ ومذاهبَ وفلسفاتٍ وأيدولوجيّاتٍ لا حدَّ لها، حيث يمكن القول بأنّه لا توجد شخصيّة عالمية واحدة، وإنّما هناك توجّهٌ إلى عالميّة، تحمل لواءها كل المعسكرات، والأمّة الإسلاميّة وقعت تحت النفوذ وما ترتّب من التبعيّة والتقليد[1]، لذلك كانت الحاجة إلى العقليّة الناقدة المسلمة التي تستطيع التمييز بين ما هو صالحٌ يمكن النظر فيه، وبين ما هو خبيثٌ ترفضه؛ فتكشفُ مقاصده وتبرز خطرَه للمجتمع الذي قد لا يرى ما يراه صاحب العقليّة الناقدة.

٨- تقديم المسلم المعاصر للساحة الحضارية وفقَ قيمٍ ومعاييرَ منضبطةٍ تمكّنه من التبادل المعرفيّ، وتحقّق له التوازنَ المنهجيَّ الذي يحميه من طريقي الارتماء والانغلاق، فكلا الطريقين يمثّلان نوعًا من الثقافة المتطرّفة البعيدة عن مصابيح الوحي، والحضورُ الميدانيُّ وممارسةُ الفعل الحضاري يحتاجُ إلى مجاهدةٍ وجهادٍ، والجهاد في جانب الفعل الحضاري يكون: بمعرفة الواقع، ومحاولة تحليله، ومعرفة أسباب سقوطه، وأسباب أمراضه، أو نهوضه وإنجازه، وبالتالي يصل المسلم المعاصر إلى سبل الهداية والفقه والوقاية من الإصابة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ

---

[1] يُنظر: الجندي: أنور، **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص٤٥-٤٧.

سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧-١٣٨]، والنصُّ القرآنيُّ هنا يدعو إلى عدم الاقتصار على التجربة الذاتيّة بالرغم من أنّها مسددة بحراسة الوحي، بل يدعو لدراسة التجارب البشرية بمفهوم الوحي[١]، وهذا السير لن يتحقّق إلّا بمعيار دقيق سليم ومنضبط تقومُ به العقولُ الناقدة التي تربت وتشربت من الوحي ما يجعلها قادرة على ذلك.

٩- الحاجة المستمرة إلى فقه الموازنة وفقه الأولويات:

أ- فقه الموازنات:

هناك حاجة إلى نوعين من فقه الموازنات، وهما:

- الحاجة إلى فقه الشرع:

والمقصودُ به الفهمُ العميق للنصوص القرآنية ومقاصده، ليصل إلى التسليم بصحة (مبدأ الموازنات) مع المعرفة الدقيقة بالأدلة الدالة عليها.

- الحاجة إلى فقه الواقع:

وهو فقهٌ مبنيٌّ على دراسة الواقع الذي تعيشه الأمّة دراسة دقيقة، قادرة على الإحاطة بجميع ما تحتاجه الأمّة أو تمرّ به.

ولا بُدَّ من تكاملٍ بين فقهِ الشرع وفقهِ الواقع حتى يمكن الوصول إلى الموازنة السليمة الخالصة من الإفراط والتفريط. والمصالح إذا تعارضت مع المفاسد لزم أن يُنظرَ إلى حجم المصلحة والمفسدة وأثرها، فتُغفرُ المفسدةُ اليسيرةُ لجلب المصلحة الكبيرة، وتُقبل المفسدةُ وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدّي مفسدةٍ أكبر منها، ففي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ

---

[١] يُنظر: الحسن، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي**، ص١٥.

أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٧]، فنجد القرآن العظيم ينتقد المسلمين بعد غزوة بدر، فيعلّمهم من خلال النقد الموازنةَ بين المصالح الماديّة والمصالح المعنويّة، وأنّ تغليبَ المصلحة المعنويّة والمتمثلة بالآخرة هي التي لا بُدَّ أن تتقدّم[1]، وهكذا نرى أنّ التأسيسَ لفقهِ الموازنة لا يتمّ إلّا خلال تدريب العقل على المفاضلة بين الأمور من خلال عمليّة النقد.

فغيابُ فقه الموازنات التي تصنعه العقليّة النقديّة تظهرُ آثاره واضحةً في فلسفة الرفض لكلّ تعامل، والانغلاق على الذات للفرار من مواجهة المصاعب.

ب- فقه الأولويات:

المقصودُ بفقه الأولويات هو وضعُ كلّ شيء في منزلته، فلا يقدّم ماحقُّه التأخير، ولا يؤخّر ماحقّه التقديم، ولا يُكبَّر الأمر الصغير ولا يُصغّر ما كان كبيرًا.

والقرآن يوضّح هذا الفقهَ في كثيرٍ من الآيات الكريمة التي تشير إلى عمليّة التفاضل، والموازنة التي يطرحها القرآن على العقل بطريقة النقد، كما جاء في سورة التوبة: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ [سورة التوبة: ١٩-٢٠][2].

١٠- الوعي لدى الأمة، قد يضمّ ما سبق كلّه، خاصيّة لا بد للأمّة منها، لن تنهض من عثراتها المستمرة، ولن تعود إلى حالة الرشد الفكري الذي كانت عليه الثلة الأولى ما لم تكن لديها

---

[1] يُنظر: القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية**، ص٢٨-٣٤.

[2] يُنظر: القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية**، ص٣٦-٤١.

الكفاية من الوعي الذي به تستطيع أن تمسك زمام أمرها، والوعي يبنى على قواعد كثيرة، منها العقليّة الناقدة.

المبحث الثاني: البناء المعرفي للعقلية الناقدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد/ الاعتقاد.

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي.

المطلب الثالث: العقل والوحي.

تمهيد:

من مفاصل هذه الرسالة مبحثا البناء المعرفيّ والنفسيّ، فهما المغذّيان والأساسيّان.

في هذا المبحث أتعرّض لثلاثةٍ من مغذّيات البناء المعرفي، والتي أرى أنّها تحتلّ الصدارة في عمليّة البناء للعقل الناقد، فلا صناعةَ قويّة ومتكاملة لهذه الشخصيّة ما لم تتغذّ على منبع التوحيد، وتكتس بحلّة الأخلاق وتمتلئ بخبرات الأمم السابقة لتستطيع التناغمَ مع واقع الحياة التي تعيشه بما فيه من خيرٍ وشرٍّ وحقٍّ وباطلٍ، والمطالب هي:

المطلب الأول: التوحيد/ الاعتقاد.

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي.

المطلب الثالث: العقل والوحي.

لقد قرّر القرآن الكريم من اللّحظة الأولى التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: ١]، الخطّ البنائي للشخصيّة المسلمة، للوصول بالأمّة إلى الخيريّة المنوطة بها في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، فقام ببناء المعرفة وأسّس لها القواعد، منطلقًا من أنّ الإنسان والكون والحياة منظومةٌ واحدةٌ للمعرفة غيرُ قابلة للتجزئة، وجعل من الوحي والوجود المادي المصدرين الأساسيّين للمعرفة الإنسانية[١]، فالوحيُ هو المصدرُ الأولُ للمعرفة، أمّا الوجود فهو المصدرُ الثاني وكتاب الله المنظور، وجعل الله تعالى العقل الوسيلة الأولى لفهم هذين المصدرين مع مصادر أخرى ذكرها القرآن العظيم، تساعده على الفهم والإدراك، وهي الحواس: (السمع والبصر).

ومن الجوانب المهمّة التي قام عليها بناء الإنسان في القرآن الكريم البناءُ المعرفي، بل هو من أوائل ما أسّسه القرآن الكريم، ويشهد على ذلك أمران:

١- قصة سيدنا آدم عليه السلام الذي يمثل الإنسان الأول، فبعد خلق الله له، كان التزويد الأول له كما ذكره العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٣١].

٢- أوّل آيةٍ نزلت على الرسول ﷺ تأمرُ باكتساب العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [سورة العلق: ١-٥][٢]، كما أنّ البناء المعرفيَّ من أهمّ مقاصد القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

---

[١] يُنظر: حوامده: مصطفى محمود، منهج القران الكريم في البناء المعرفي، **المؤتمر العربي الرابع**، المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، ص٣٠٢.

[٢] يُنظر: حسيني، "جوانب البناء القرآني وآلياته"، **مجلة مجمع**، ع٢١، ص٩١.

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]، الآية السابقة تُظهر أنّ الإنسان كان يعيش حالةً من الجهل المعرفي والضلالِ الفكري من جميع الجوانب، سواءٌ على جانب المفاهيم والتصوّر أو جانب التطبيق والممارسة، ولقد أنزل الله تعالى كتابَه العزيز ليكون الخروج إلى نور الإيمان بعد ظلمات الكفر والشرك[١]، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ٩].

وتشكل المعرفةُ دورًا أساسيًّا في بناء العقليّة الناقدة من خلال نقاط مركزيّة:

١- تشكيل الوعي لدى الفرد المسلم:

فبالوعي يتمكّن من صياغة تصورٍ سليمٍ متكاملٍ حول العلاقات والقضايا المصيريّة والمركزيّة المتعلّقة بالإنسان: كعلاقته بخالقه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالكون، وقضاياه ووجوده ومصيره[٢].

وهذا الوعي المعرفي من أهمّ أسباب صحّة بناء العقلية النقديّة، فالخلل في تكوين العقل الناقد، أو الخلل في النقد البناء نفسه قد يكون بسببِ خللٍ في الوعي المعرفي، وخاصّةً في القضايا المركزيّة التي طرحها القرآن الكريم ولم تؤخذ بالشكل الصحيح.

٢- ممارسة الاستخلاف الحضاري:

جعل الله وظيفة الإنسان الأولى في هذا الكون هي الاستخلافُ وعمارةُ الأرض، وقد قرّر القرآن الكريم أنّ الكون هو ساحةُ الاستخلاف الحضاريّ، وجاءت الأخبارُ والسننُ الكونيّة في

---

[١] ينظر: حسيني، "جوانب البناء القرآني وآلياته"، **مجلة مجمع**، ع٢١، ص٩٢.

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**.

القرآن الكريم توجّه العقل[1] والروح في استخدام هذه المعارف لتحقيق مراد الله لعباده في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

ولن يكون الاستخلافُ محققًا كما أراده الله ما لم تتوفّر في الأمّة العقولُ الناقدةُ القادرةُ على التجديد، المدركةُ لسنن التغيّر، متّخذة من المعارف الإسلامية والقرآنية منهجًا للتكوين العقلي والنفسي لها.

أنواع البناء المعرفي:

سيكون الحديث في البناء المعرفي لبعض النماذج من المعارف القرآنيّة التي لها أهمية أكثرُ فيما يتعلّق بالتكوين للعقليّة الناقدة ومن خلال الواقع الحاليّ المعيش، وإن كان هناك كثيرٌ من الجوانب التي تستحقّ بالفعل التعمّق، لكن المجال لا يتّسع لذلك، ومن أهمّ هذه الجوانب:

أولًا: جانب التوحيد/ الاعتقاد.

ثانيًا: الجانب الاجتماعي

ثالثًا: العقل والوحي.

---

[1] يُنظر: حسيني، "جوانب البناء القرآني وآلياته"، **مجلة مجمع**، ع٢١، ص٩٣.

المطلب الأول: التوحيد/ الاعتقاد.

قامت المعرفة القرآنيّة في الأصل على معرفة الله تعالى وتوحيده، فكان ترسيخُ مفاهيم الإيمان بالله أولويّات البناء للعقل الناقد الذي يحتاجُه الإنسان أثناءَ رحلة الاستخلاف وعمارةِ الأرض، لذلك انتقد القرآنُ الكريم إيمانَ الأعراب الذي لم يكن مبنيًّا على المعرفة الحقيقيّة لله ولم يتمكّن الايمان من النزول في قلوبهم، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

لذلك قام البناء العقائديُّ في القرآن الكريم على قاعدتين مهمتين:

١- التخلية (تصحيح التصور عن الله).

٢- التحلية (تكوين مفاهيم إيمانية جديدة – حقائق الإيمان).

١- التخلية: تصحيح التصور الاعتقادي:

ويقوم البناء القرآنيّ للاعتقاد من خلال عمليّات تصحيحيّة وبنائيّة، فالعملياتُ التصحيحيّة كان لا بُدَّ منها لتخلية العقول ممّا قد ترسّب فيها من انحرافات عقديّة، والتي كان مصدرها: إمّا الديانة اليهوديّة والنصرانيّة المحرّفة أو الوثنيّة العربية أو الحضارات الأخرى[1].

أ- تصحيح المفاهيم الخاطئة والعقائد المنحرفة المترسّبة من الديانة اليهوديّة والنصرانيّة:

من أهمّ العقائد الفاسدة التي قام القرآن الكريم بمحاربتها اتّخاذ الشريك مع الله، سواءٌ الولد أو الزوجة أو غير ذلك، لذلك جاءت الآيات الكريمة تنكر هذا الانحراف وتنزّه الله تعالى عمّا يصفون،

---

[1] يُنظر: جابر، **منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي**، رسالة ماجستير، ص١٢٤.

وتهدم هذا الاعتقاد الباطل نهائيًا[1]، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [سورة النساء: ١٧١]، فالآيات الكريمة تنتقد غلوَّ النصارى في المبالغة في رفع شأن عيسى عليه السلام وادّعاء ألوهيّته[2]، والنهي عن وصف الله في حلوله واتّحاده في الأجساد البشرية[3]، والقرآن الكريم عندما يهدم معاقل الانحراف الفكري يبيّن مرتكزات هذا الانحراف، ففي نسبة الابن إلى الله يفضح القرآن أقوالهم، ويبيّن أنّها لا تسند إلى قاعدة، وإنّما هم متّبعون للهوى مقلّدون لمن سبقهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٠-٣٢] فهم المحرّفون الكلمَ عن مواضعه، غايتُهم إطفاءُ نور الله[4].

ب- تصحيح المفاهيم الخاطئة والعقائد المنحرفة من الوثنيّة العربيّة والحضارات الأخرى:

مع بداية نزول الوحي، كان المنهجُ القرآنيُّ واضحًا في تشكيل العقليّة العربيّة، والتي

---

(١) يُنظر: جابر، **منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي**، رسالة ماجستير، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٢، ص٢٥٩.

(٣) يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٥، ص٤٤٧.

(٤) ينُظر: جابر، **منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي**، رسالة ماجستير، ص١٢٧.

كانت تسيطر عليها العقائد المنحرفة من الحضارات المختلفة بالإضافة إلى اليهوديّة والنصرانيّة، فكانت التخلية هي العمليّة الأولى لتطهير العقل من لوثة الشرك، فجاءت الآيات شديدةَ القوّة والصراحةِ في الكشف عن أسماءِ الأوثان التي كانت تُعبد، منتقدةً العقول السقيمةَ التي انقادت بسلاسل التقليد والهوى، متجاهلةً نورَ الوحي الذي بعثه الله لهم، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى﴾ [سورة النجم: ١٩-٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [سورة نوح: ٢٣-٢٤].

وتأتي أهمّيّة التخلية التي قام بها القرآن الكريم للمعتقدات المنحرفة، والتي سيطرت على العقول في عصر التنزيل في أنّها من المنهجيّة القائمة على التفريغ الفكري من الاعتقاد المنحرف[1]، فيتحرّر العقلُ من أيّ مؤثّرٍ خارجيّ قد يؤثّر عليه ويفسد له اختياره.

ج- نفي الشركاء وما يشبههم:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠-١٠١]، وهذه قضيّةٌ خطيرةٌ في واقعِ مجتمعٍ جاهليٍّ منحرفٍ، سعى فيها القرآن الكريم للوصول إلى حقيقة أنّ العقائد والأفكار المنحرفة لا تصمد أمامَ

---

[1] يُنظر: جابر، **منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي**، رسالة ماجستير، ص١٢٩، ١٣١.

النقد الموضوعي، ولا تستقيم مع التفكير الصحيح، بل يشعر الإنسانُ معها بالتفاهة الفكريّة[١].

ويثيرُ القرآنُ الكريمُ في هذه الآيات قضيّة الشركاءِ في العبادة مع الله تعالى متمثلة بالجن والملائكة[٢]، وهذه الإثارة والتساؤل من الآيات الكريمة لها مقصدٌ في تحريك العقل للنظر، في قضايا الدين المنحرف لدى المجتمع الجاهلي، والتي تمثّل عبادة الجن والملائكة جزءً منها، فتأتي الآيات الكريمة تطرح التساؤلات وتدعو العقل للإجابة عليه: كيف بالخالق يتساوى مع من خلق؟ وكيف يملك هؤلاء الشركاء النفع أو الضر بعيدًا عن مصرف الأكوان وهم غير قادرين على دفع الضر أو جلب النفع لأنفسهم؟

ويتواصل التعنّت والاستخفاف بتقوّلهم على الله فنسبوا إليه البنين والبنات: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، واستخدم القرآن الكريم كلمة (خرقوا) لِما لَها من دلالةٍ عميقةِ المعنى تتناسب مع القول المزعوم، "فالخرق هو: القطع والشقّ على سبيل الفساد من غير تدبّر"[٣].

بغير علم: أي أنّ القول يدلّ على جهلٍ وضلالةٍ، الذي لا يتوافق مع العقل والعلم بمعناه الصحيح، وهو حكم الذهن المطابق للواقع عن ضرورة أو برهان[٤]، وفي هذه القضية انعدم البرهان، أو بالأحرى جاء البرهان في غاية الضعف والهشاشة مبينًا درجةَ الضحالة العقليّة ودرجةَ الاستخفاف بالعقول، ولذلك كانت كلمة (خرقوا) تُعطي معنى التقوّلِ غيرِ المقترن بدليلٍ، وإنّما من الجهل الذي هو نقيض العلم الذي نفاه الله عنهم.

وتتوالى الآياتُ الكريمات في ترسيخ عقيدة التوحيد بالحوار العقلي والمحاجة المنطقية،

---

[١] يُنظر: فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج٩، ص٢٤٥-٢٤٦.

[٢] يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢٦٧.

[٣] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٢٣٢.

[٤] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٤٠٨

فتطرح تساؤلًا عادلًا: كيف لمن أبدع من غير سابق ولا مثال في خلق السماوات والأرض، وهو صاحب القدرة المطلقة والغنى المطلق أن يكون له ولد، والذي يمثل الحاجة والضعف، فكيف يتلاقيان الضعف ومطلق والقوة، والحاجة ومطلق الغنى؟

وفي هذه الآية الكريمة إبطالٌ لأنْ يكون لله ولدٌ من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّ مبدع السماوات والأرض – وهي أجسام عظيمة – لا يستقيم أن يوصف بالولادة؛ لأنّ الولادة من صفات الأجسام، ومخترعُ الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون والدًا.

والثاني: أنّ الولادة لا تكون إلّا لمن له صاحبة، والله تعالى لا صاحبة له، فلم تصحّ الولادة.

والثالث: أنّه ما من شيء إلّا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيًّا عن كلّ شيء، والولد إنّما يطلبه المحتاج.

وهو بكلّ شيء عليم: أي لو كان لله عز وجل ولدٌ لكان هو أعلم بذلك من خلقه ومهد العقول بإقامة بآيات الوحي دلائل العلم لقبول ذلك [1].

وجاء الأسلوب القرآني منسجمًا مع الفكرة المطروحة ليصل بالعقل إلى النقد الصحيح والمنطقي في بطلان اتّخاذ الشركاء:

١– "فسّر هؤلاء الشركاء بالجنّ عن طريق البدل النحوي، ولم يقل: وجعلوا شركاء لله، بل قدّم وأخّر في النظم لإفادة أنّ محلَّ الغرابة والنكارة أنْ يكون لله شركاء لا مطلق الشركاء، ثمّ كون الشركاء من الجنّ، فقدم الأهمّ فالمهمّ، ولو قال: الجنّ شركاء لله؛ لأفاد موضوع الإنكار أنْ يكون

---

[1] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٧، ص٥٤٢.

الجنّ شركاءَ لله لكونهم جنًّا"[1].

٢- "فقوله: الجنّ مفعولٌ أولٌ لجعلوا، وشركاء مفعول ثانٍ، لأنّ الجنّ المقصودُ من السياق لا مطلقَ الشركاء، لأنّ جعل الشركاء لله قد تقرّر من قبل، ولله متعلق بـ (شركاء)، وقدّم المفعول الثاني على الأول لأنّه محلّ تعجيب وإنكار، فصار لذلك أهمّ، وذكره أسبق،

وتقديم المجرور على المفعول في قوله: لله شركاء؛ للاهتمام والتعجيب من خطل عقولهم؛ إذ يجعلون لله شركاء من مخلوقاته لأنّ المشركين يعترفون بأنّ الله هو خالق الجنّ، فهذا التقديم جرى على خلاف مقتضى الظاهر لأجل ما اقتضى خلافه"[2].

٢- التحلية (تكوين مفاهيم إيمانية جديدة-حقائق الإيمان):

أ- ترسيخ حقائق:

حقيقة وحدانية الله، أن لا إله إلّا الله، وأنّه الصمد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤]، فالصمدُ يعني نفي الشركاء والأضداد[3]، ولقد تكرّر هذا المفهوم كثيرًا في القرآن الكريم بأكثر من أسلوب ليتقرّر في عقل المؤمن أنّ الوحدانية هي المبدأُ والغاية النهائيّة، للتمييز بين الحقّ، وهو وجود إلهٍ واحدٍ تصمد له الخلائقُ جميعًا، وبين الباطل باتّخاذ إلهٍ من دون الله، لذلك كانت هي دعوة الأنبياء الأولى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩]، وقال: ﴿وَإِلَى

---

[1] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٧، ص٥٣٨.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٤٠٥-٤٠٦.

[3] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٣، ص٣٦٣.

عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣]، لذلك انتقد القرآن الكريم سؤال فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣]، الذي كان سؤاله سؤال المكابر، لأنه يعلم يقينًا بأنّه عبد مربوب لله تعالى، وكان البناء القرآني للعقليّة الناقدة واضحًا في ردّ موسى المتتالي على فرعون، فالآيات كلّها تؤكّد الحقيقة الأولى في استحقاق الربوبيّة والإلهيّة لله وحده، يقول تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣-٢٨]، فالحوار يشير إلى مقصد موسى في أنّ الكون لم يزد فيه شيء بولادة فرعون، ولم يتغيّر شيء في الوجود بادّعائه الألوهيّة[١]، وهكذا يربي القرآن الكريم العقل الناقد على أنّ التوحيد أولُ درجات التكوين المعرفيّ، وأنّ العلمَ الحقيقيَّ عن الله هو النظرُ في الأدلّة الكونيّة، ثمّ الانتقال من ذكر أدلّة العموم: وهي السموات والأرض، إلى أدلّة الخصوص: وهي الأنفس، وأنّ الله هو ربُّهم وربُّ آبائهم[٢]، فموسى عليه السلام في حواره مع فرعون لم يثنه ما كان يصفه فرعون من الجنون أو غيرها من التّهم التي تدلّ على ضعف في الحجّة، بل أكمل مسيرته في كشف الحقيقة للملأ في وجود الله واستحقاقه للعبادة.

---

[١] يُنظر: الشعراوي: محمد متولي، **خواطر الشعراوي**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت)، ج١٧، ص١٠٥٥٧.

[٢] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١١٧-١١٩.

ب- الإقناع العقلي:

ومن أساسيّات التحلية الطرحُ العقليُّ الذي تقوم به الآيات للوصول إلى حقيقة المعبود، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة النمل: ٦٠-٦٤].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٦-٤٧].

المطلب الثاني: الجانب الاجتماعي.

تتوجّه المعرفة القرآنيّة إلى ترسيخ مفهوم التكامل في مظاهر العبادة: (الدينية، والاجتماعية، والكونية)، هذا التكامل في العبادة لا بُدَّ أن يدخل في دائرة الوجوب عند التطبيق العملي، فقرّر القرآن الكريم أنّ العبادة الحقيقيّة ليست مقتصرةً على نصبِ الأجساد وتوجّه الوجوه نحو القبلة لأداء العبادة الدينية، بل لا بُدَّ من تمازج المظهر الاجتماعي والكوني مع المظهر الديني، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] [١] ويمكن القول: إنّ هذه الآية تشير إلى أنّ القرآن الكريم عندما أعاد تشكيل الإنسان لم يسقِهِ المعرفةَ الخالصةَ فقط؛ بل جعل السياق الاجتماعي الذي يعيشه: (السياسي، الثقافي، العاطفي) جزءً مهمًّا وأساسيًّا في البناء العقلي الناقد[٢].

[١] الجانب الاخلاقي:

يعتبر التكوين الأخلاقي من أهمّ الركائز التي تؤسّس لعقليّةٍ ناقدةٍ، لذلك كان لها الحضورُ البارز في سورِ القرآن الكريم، وهو جزءٌ من منظومة الاعتقادات والتصورات المعرفيّة التي يستقيها المؤمن من كتاب الله، لذلك كان جوابُ السيدة عائشة ؓ لمّا سُئلتْ عن خُلُقِ النبي ﷺ،

---

[١] يُنظر: الكيلاني: ماجد عرسان الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٨٧-٨٨.

[٢] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص١٦.

قالت: «كان خُلُقُه القرآن»[1].

وتتمّ عمليّات ترسيخ مفهوم الاخلاق بطريقتي التخلية والتحلية:

التخلية: نقدُ الأخلاق المذمومة:

انتقد القرآن العظيم كلَّ خُلقٍ ذميمٍ يفسد البناء الأخلاقي والسلوكي: كالسخرية والاستهزاء بالآخرين أو التنابز بالألقاب، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١]، وجعله من الفسوق المتبدل بعد الإيمان[2]، لأنّ هذا الفعل من المعاصي التي يتّصف بها أهلُ الشرك، الذي لا يردَعُهم عن استحقار الناس رادعٌ، فكيف يقوم به أهل الإيمان[3]، وفي هذه الآية نقدٌ قويٌّ لخُلقٍ ذميمٍ تلبَّسه أهل الإيمان بعد إيمانهم، لذلك أمرهم بالتوبة الفوريّة، والمراجعة لسلوكيّاتهم والرجوع إلى صفة الايمان.

كما انتقد سلوكيّات خاطئة أخرى: كسوء الظن والتجسس، وتتبع عورات الناس والغيبة، وهي من الأمور التي لها خطر جسيم على علاقات أفراد المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢]، وجاءت سورٌ كثيرةٌ تُفصّل في قواعد التخلية من الأخلاق السيئة، فقد جاء في سورة الحجرات نقدُ الأعراب الذين لم

---

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، ج١، ص٥١٢ برقم (٧٤٦).

(٢) يُنظر: حسيني، "جوانب البناء القرآني وآلياته"، **مجلة مجمع**، ع٢١، ص١٠٧.

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٠.

يقوموا بعمليّة التخلية، فهم لم يطرحوا الشك من قلوبهم، واستعار القرآن الكريم لفظ(لمّا يدخل) لمّا له من دلالةٌ من عدم تمكّن الإيمان في قلوبهم[١]، فالدخول إلى المكان فيه معنى التمكن والاستقرار، أمّا الخروج ففيه دلالةٌ على سرعة المفارقة والرحيل[٢]، لذلك جاءت الآية التي تليها توضّحُ سبب وصفهم بعدم الايمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥]، فقد كان وصف أهل الإيمان بأنّهم لم يرتابوا؛ أي أنّ (الشكّ والريبةَ لم يدخل قلوبهم)[٣]، وهو ما كان صفةً للأعراب لم يتخلّوا عنها، لذلك دعاهم القرآن في نفس الآية للتخلية من هذه الصفة الذميمة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

ومن الأخلاق التي نهى عنها القرآن الكريم ودعا المؤمنين لتركها سوءُ الظنّ والإثم والتجسس والغيبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢]، يفسر أبو السعود التقوى هنا على أنّها ترك ما نهي عن اجتنابه، والندم على ذلك[٤]. والله يختم الآية باسمه التوّاب، وفيه دلالةٌ على حض القرآن الكريم المؤمن على المراجعة والمحاسبة لأعماله، والاستغفار والتوبة من أخطائه.

حادثة الإفك:

عندما يكون الحديثُ عن الشك وسوءِ الظنّ لا بُدَّ أنْ نتعرّض لحادثة الإفك، والتي

---

[١] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٦٥

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**.

[٣] يُنظر: **المرجع السابق**، ج٢٦، ص٢٦٧.

[٤] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٨، ص١٢٢.

أسست لمفهوم معرفيّ شديد الأهمّيّة لتكوين العقليّة الناقدة، وهو خُلقُ التثبّت وعدمُ الانجراف وراءَ الشكّ الظنّيّ غيرِ القائم على الأدلّة، حيث يكون المؤمن أسير التلقي السلبي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١]، لقد عاب القرآن الكريم على أولئك الأشخاص الذين تلقَّوْا الخبرَ تلقيًّا سلبيًّا، دون أدنى تثبتٍ أو إعمالٍ للعقل، فهذه الآية تضمّنت تأنيبًا للمؤمنين وتوبيخًا لهم، لأنّهم لم يتّخذوا الموقف المعرفيّ (العقليّ) النقديّ العادل والصحيح من الخبر، أو لأنّهم لم يحسنوا الفهم وقراءةَ ما قيل في أمِّ المؤمنين ﻉ، ولا قراءةَ أنفسهم في ضوئه على نحوٍ دقيق يمكّنهم من الوقوف على الحقيقة كاملةً وبشكلٍ موضوعيٍّ دون الحاجة إلى ترقب الوحي للنزول فيبين لهم صدق الخبر، وكان انتقاد القرآن الكريم للمؤمنين المخاطبين في الآية، لأنّهم لم يقوموا بدور المتسائل الباحث عن الحقّ، فهم لم يتساءلوا: ممّن قيل؟ وفيمن قيل؟ ولماذا كان القول بهذه الكيفيّة؟ وكيف كان القيل؟ ولم يتساءلوا عن أهمّ وأخطر سؤالٍ: من نحن؟ هل تنطبق علينا شروط الإيمان؟ هل يمكننا القبول والرضا بأن نكون في نفس موقف السيدة عائشة ﻉ، ولماذا يتمّ قبول دعوى لم يتحقّق من صحتها؟ ولقد جاءت المخاطبة للمؤمنين بصيغة الغائب لتذكيرهم بحقيقتهم، فهم محصنون بحقائق الإيمان، التي تلزمهم إلى عدم الشك في إخوانهم أو غيرهم إلّا بدليل، كما أنّ حقائق الإيمان في الأصل ترفضُ الوقوع في الفاحشة فهي ترفض كلّ ما يتعلّق بها، سواءٌ إشاعتها أو الترويج لها[1].

---

[1] يُنظر: الحميري: عبد الواسع، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٠٣-٢٠٥.

التحلية: الأمر بالأخلاق الحميدة:

حضّ القرآن الكريم على الآدب والأخلاق الفاضلة، وجعلها من روافد التكوين الفعلي للمعرفة، التي يسقى بها المؤمن، فتعلو نفسه عن الذمائم، وتتعلّق بالمكارم، فقد قرّر القرآن الكريم مفاهيم معرفيّة كثيرة، مثل: مفهوم الالتزام بالحق، قال تعالى: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩]، ومفهوم التراحم، قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، وقيم العفو وكظم الغيظ، قال سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]، كما أسس معاني الحسن في القول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وتعتبر وصايا لقمان لابنه من المفاهيم الجامعة التي حوتها سورة لقمان، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان: ١٧-١٩].

قضايا ناقشها القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي:

من المفاهيم المعرفيّة الأخلاقيّة والتي ناقشها القرآن الكريم قضيّة الانحراف الأخلاقي.

أولُ قضيّةٍ يطرحها الأنبياء على أقوامهم هي عبادة الله وحده، فقضيّة التوحيد هي مبتدأ حديث الرسل مع أقوامهم، بينما مع قوم لوط جاءت الدعوة أخلاقيّةً في المقام الأول، وإن كانت قضيّة التوحيد من القضايا التي ذكرت في قصة سيدنا لوط مع القوم الذين بعث فيهم، فالانحراف عند الأقوام الآخرين كان انحرافًا فكريًّا عقليًّا، بينما كان انحراف قوم لوط انحرافًا سلوكيًّا

أخلاقيًّا[1]، فقد انتشر في مجتمعهم الشذوذ الجنسيّ (اللواط)، وعطّلوا سنّة التناسل والبقاء التي هيئها الله وجعل لها مصارفها السليمة في التزاوج بين الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٢١].

وقضيّة قوم لوط من القضايا الخطيرة التي تحدّث عنها القرآن الكريم بكلّ صراحة، حديثُ الناقد الناكر لهذا السلوك الفاسد، وقد جاء الحديث عن هذه القضية في إحدى عشرة سورة.

سيكون الحديث عن هذا الخلق الفاسد خلال دراسة نموذجين من السور الكريمة، الأولى سورة الأعراف؛ حيث كانت بداية الحديث التفصيلي عن شذوذ قوم لوط، والسورة الثانية هي سورة العنكبوت؛ حيث كانت آخر السور التي أيضًا جاء فيها تفاصيلٌ قصة الشذوذ.

يقول الله تعالى، في سورة الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠-٨٤].

يبدأ سيدنا لوطٌ باستفهامٍ إنكاريٍّ توبيخيّ تقريعيّ[2]، فهو لم يأمرهم بترك الفاحشة في بداية حديثه؛ بل خاطبهم خطابَ المستنكر للفعل القبيح، فكان إنكارُ الله تعالى لهم أوّلًا إتيانُ الفاحشة ثمّ توبيخ على أنّهم أولُ من قام بهذا العمل، ونرى انسجام الألفاظ القرآنيّة مع فكرة النقد

---

[1] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص١٦.

[2] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٣، ص٢٤٤، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٢٣٠.

لصناعتهم البغيضة، فتأتي الزيادةُ في (إنّ واللام) لمزيد من الإنكار[١]، وجاء وصف الإسراف بصيغة الجملة الاسمية لتدلّ على ثبوت حالهم على الفاحشة، ثم حدّد نوعَ المنكر بأنّهم يتركون النساء التي خلقهنّ الله لهم ويقبلون على أدبار الرجال مخالفين الفطرةَ والشهوةَ التي استودعها الله في الأنفس، متجاوزين بذلك حدود الله، متجرئين على محارمه، وعندما عجزوا عن تبرير سوء فعلهم والمجادلة فيه بادروا بالتآمر على إخراج لوطٍ وأهلِه من القرية، ليستريحوا من إنكاره عليهم، فالمنغمسون في الهوى يُضايقهم وجودُ المتطهرين بينهم، ويعدّون الكمال الذي يأتي من التطهر والتزكية منافيًا لطباعهم الفاسدة، لذلك وصفوا تنزّه لوط عن أفعالهم تطهرًّا على سبيل التكلّف والتهكم، وفي ذلك قلب الحقائق لأجل إشاعه العوائد الذميمة، وهذا حال أهل الخلاعة والمجون يسمّون أصحاب الاستقامة والعفّة المخالف لمنهجهم أنّهم أناسٌ يتطهّرون[٢].

فما أعجب العقول عندما تنتكس، والأخلاق عندما ترتكس، إنّها تستنكف أن يبقى معها الطهور الرافض للفحش، فتجتهد في إخراجه، ليبقى معها الملوثون أصحاب الفطر المنتكسة[٣]، ويُظهر لنا القرآن الكريم صور انحراف هؤلاء القوم بصورتين منطقيّتين متتابعتين:

١- انحراف الفطرة والعقل في فعل فاحشة الشذوذ الجنسي.

٢- انحراف الفطرة والعقل في إخراج المتطهرين المنكرين[٤].

سورة العنكبوت:

يقول تعالى:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ

---

[١] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٣، ص٢٤٥.

[٢] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨، ص٢٣٢-٢٣٥.

[٣] يُنظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج٥، ص٣١٧.

[٤] ينظر: التويجري: محمد بن إبراهيم، **موسوعة فقه القلوب**، (د.م: بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت)، ص٢١٨٠.

(٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨-٣٥]، تأتي سورة العنكبوت والتي نزلت في آواخر العهد المكي، لتذكرَ صفاتِهم التي لم تُذكر في السور السابقة، وإن كانت الصفاتُ مجملةً إلّا أنّ معانيها في غاية العمق، فذكرت أنّهم مع إتيانهم للرجال إلّا أنّ هذه الشهوةَ المحرمةَ غيّرت من حقائق الفطرة، وطمست البصائر، فتولّدت لديهم سلسلة من الخبائث التي أصبحت لا تنفكّ عنهم.

ويبدو أنّ لوطًا كان يريد من إنكاره لأعمالهم أن يقودَهم إلى الحوار الذي يؤدّي إلى تحليل الأمور بصورة عقليّة من جهةٍ، وإلى تخويفهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة من جهةٍ أخرى، فتحريك العقلِ والمشاعرِ أمرٌ ضروريٌّ لتوازن شخصيّة الإنسان، لكن القوم كانوا منغمسين بصورةٍ فاسدةٍ في الغرائز حتى إنّها أغلقت منافذ التفكير، وهيمنت الشهوةُ الشاذةُ على العقل[1]، حتى ألغى حواجزَ التميزِ بين الحقّ والباطل، ورفضَ نَقْدِ لوطٍ البنّاء الذي يهدف للرجوع بهم إلى الطبيعة البشريّة التي جعلها الله لهم، فما كان منهم إلّا أن تبجّحوا بطلب عذاب الله، كما جاء على لسانهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وفي

---

[1] يُنظر: فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج١٨، ص٤٥.

إشارة رائعة في هذا المعنى يذكر القاسمي: (ت١٣٣٢هـ)، أن صفة هؤلاء القوم هي إفساد كلّ دليل يقوم على العقل والنقل، وإفساد كلّ حكمة إلهيّة[١].

هل الطهارة والعفة جريمة تستحقّ العقاب؟

عندما يجتمع السَّفَهُ والجهلُ في مجتمعٍ – مع الطغيان في التحرر – يصبح انغماسُ هؤلاء القوم في الرذيلة نمطَ حياةٍ، لا يستطيعون التخلّي عنه، بل تنقلب الحقائق الأخلاقيّة لتصبح الطهارةُ والعفةُ ورفضُ الواقع الشاذ جريمةً يستحقّون عليها الطرد من المجتمع: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِين﴾ [سورة الشعراء: ١٦٧]، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون﴾ [سورة الأعراف: ٨٢]، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٦].

صفاتُ قوم لوط كما ذكرها القرآن الكريم:

يلاحظ أنّ الصياغة القرآنيّة في اختيار صفات قوم لوط جاءت متطابقةً مع ممارستهم الفعليّة على الواقع، وهذا ما يؤسّس للعقل الناقد الذي يجمع ما بين "مهارة الاستنباط مع مهارات تقويم الحجج والأدلة[٢]".

من أهمّ أوصافِ القرآن الكريم لقوم لوط[٣]:

١- **الإسراف**، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

---

[١] يُنظر: القاسمي: **محمد جمال الدين، محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٧، ص٥٥٨.

[٢] الأصفر، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، ع١١، ص٢١٢.

[٣] يُنظر: القيسي، "جوانب الإصلاح في قصة لوط في القرآن الكريم"، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، م١٣، ع٢، ص٨.

يَفْسُقُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٤].

وهو تجاوز الحد في كل شيء، كما ذكر سابقًا.

٢- **الإجرام**، قال تعالى: ﴿قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الحجر: ٥٨].

٣- **العدوان**، قال تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُون﴾ [سورة الشعراء: ١٦٦]، والعادي هو من تجاوز الحقّ، وهؤلاء القوم وصفهم القرآن بالعدوان لخروجهم عن الحدّ الموضوع بوضع الفطرة إلى ما هو مخالفٌ لها، وذلك بالتغير الفاسد للطبع بمفاسد التغيير[١].

٤- **الفسق**، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤]، والفسق هو الخروج عن الشرع، والفسق أعتمُ من الكفر؛ لأنّه أخلَّ بحكم العقل وماقتضته الفطرة[٢].

٥- **الجهل**، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لتأتون الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٥]، وقد وصف الجهل بأنّه يحمل معنيين، فيأتي بمعنى فقدان العلم ويأتي بمعنى السَّفَه، وقد تحقّق هذان المعنيان في قوم لوط[٣].

٦- **الظلم**، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣١].

والقرآن العظيم عندما ذكر هذه الصفات التي وصف بها القوم أضاف لهذه الصفات

---

[١] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٨٠.
[٢] يُنظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٥٠٧.
[٣] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص١٥٣.

سمَةً، وهي مجيؤها بصيغة الاسم الذي يفيد الثبوت، وتشير على معنى الخروج عن الحقّ، وتجاوز الحدّ[1]، أي أنّ من كانت لديه نزعةُ أخلاقِ قومِ لوطٍ واتّخذها مسارًا له؛ فإنّ القانون الإلهيَّ يقرّر أنّ الصفات السيّئة السابقة لا بُدَّ أن تستقيمَ فيه، كما يمكن اعتبار هذه الصفات سنّة إلهيّة يتميّز بها من أهلّ الشذوذ، وفي هذا التوصيف القرآني لأخلاق القوم مما يعزّز القوة البنائيّة للعقليّة الناقدة من جهتين:

أ- حدّد لها الصفات التي يتميّز بها أهلُ هذا الفعل على مرّ العصور، بالتالي ستكون هناك قدرةٌ على كشف مَنْ كان على شاكلتهم، مهما حاولوا التخفّي بصورٍ وأسماءٍ خادعة.

ب- كانت طريقة لوط في النقد هي المصارحة والمكاشفة، وطلب العودة إلى الطبيعة البشرية التي خلقهم الله عليها قبل أن ينزل عذاب الله وسخطه عليهم.

إشارات مهمة من قصة قوم لوط:

١- دور زوجة لوط:

في قصة زوجة لوط إشارةٌ إلى النقد القرآنيّ للفكر الذي كانت تتبنّاه زوجةُ لوط، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٠].

فالخيانة هنا هي: "خيانةُ كفرٍ ونفاقٍ"[2]، فقد كانت إمراةُ لوطٍ تدلّ قومَها على الضيف،

---

[1] يُنظر: القيسي، "جوانب الإصلاح في قصة لوط في القرآن الكريم"، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، م١٣، ع٢، ص٩.

[2] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٨، ص٢٧٠.

وشاركت القومَ في تبنّي فكرِ الانحراف الأخلاقيّ، لذلك جاء القرآن منتقدًا ومشيرًا إلى الخلل في البناء العقليّ لزوجة لوط، والتي اتّبعت منهجيّة قومها، رغمَ وجودها في بيت نبوّة.

٢- قضية المرأة والعقل الناقد:

المقامُ الذي وضعه الإسلام للمرأة قد كفل لها ما هي أهلٌ له بصفةِ أنّها شقيقةُ الرجل وشريكةُ في الاستخلاف، لذلك جعل لها من الحقوق والواجبات مثلَ الرجل، وقرّر أنّ الايمانَ والعملَ الصالحَ هو ميزانُ التفاضل بين الناس لا ميزانُ الجنس، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، وأمر بإعداد نواة الاستخلاف والمتمثّلة بالأسرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

ومَنْ يقرأ معاني القرآن الكريم في جانب الأُسرة يجدُ التوزيعَ العادلَ للمرأة والرجل في أدوار الحياة، وذلك حسب التكوين الجسدي والنفسي. كما أنّه مَنْ يقرأ القرآنَ يجدُ التناغم بين توزيع الأدوار في الحياة، فهو توزيعُ تكافلٍ وتكاملٍ بين الذكر والأنثى، وليس توزيعَ تنافسٍ وتناحرٍ أو تفضيلٍ، وتفاصيلُ تشريعات الأسرة كثيرةٌ: كالقوامةِ والإنفاقِ، والتعدّدِ، وتوزيعِ الميراث، والعدّةِ والطلاقِ وغيرها، من شؤون الأسرة التي زخر بها الكتاب العزيز والتي لا يتّسع المقام أو المقال لذكرها، لكنّ الشاهد من هذا الحديث أنْ أوضّحَ فكرة أنّ التشريعات القرآنيّة والتي اعتبرها من ضمن معارف الوحي التي تصنع العقلَ الناقدَ، فعندما تدرس الأجيالُ المسلمة قوانين الأسرة والتشريعاتِ القرآنيّةِ – مع إبراز الحكمة التي مِن وراء هذا التشريع في بيئة تناقش العقل وتضع بين يديه الحجّة والبرهان وتوضّح له المقصد والحكمة ومن ثَمَّ تربطه بالواقع الذي يعيشه – هنا

تبدأ المعارف التشريعيّة قوّة حقيقيّة في تكوين العقليّة الناقدة، فمن هذا البناء يستطيع المسلم أن ينتقد ما يمسّ دينه وعقيدته، ويردّ عن نفسه الوقوعَ في مصائد القوانين الماديّة والوضعيّة، فيقف العقلُ أمامَ الهجمات الشرسة على المجتمع المسلم، والتي جاءت تحت مظلّة مسمّيات دوليّةٍ ولجانِ حقوقٍ، والتي في ظاهرها الرحمةُ وفي باطنها العذابُ والدمارُ للمجتمع: كمسمّى النسوية، وحقوق المرأة والدعوة إلى تحريرها، والمطالبة بحذف الفروق بين الرجل والمرأة في العمل والقوامة، ورفع يد الأبوين عن الأبناء القُصَّر والمراهقين وتوسيع مساحة الممارسة الجنسية لهم...الخ، فلن يصمد المجتمع المسلم أمامَ هذا الغزو الفكريّ العالميّ إلّا بعقليّة ناقدةٍ، قد بُنيت على معارف تشريعيّة وبطريقة صحيحة، تظهر فيها حكمةُ الله في أفعاله وأوامره ونواهيه.

[٢] الجانب الاقتصادي:

تقوم المعرفيّة القرآنيّة على بناء مفهومِ المجتمع المتوازن، وذلك بفرض ميزان العدل الاقتصادي في توزيع ثروات الأمّة، ومحاربة الترف الطاغي والتضخم المادي، ويبيّن أنّ الترفَ علامةٌ بارزةٌ في سنّة هلاك الأمم قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ١١٦]، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ١٦]، وجعل من مفاهيم الصدقة والبر والإحسان والتكافل الاجتماعي المواثيقَ الإسلاميّةً، التي لا بُدَّ للمجتمع المسلم مِنْ أنْ يتعلَّمها ويعملَ بها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]، وجعل من مصارف الزكاة سدًّا منيعًا يحمي الأمّة من التفاوت الطبقي في الثروة قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، كما جعلها من أسباب التمكين في الأرض قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١].

وأفاض في تعريف مفهوم الرّبا وفرّق بين البيع الربا، وانتقد الذين يحاولون أن يلبسوه ثوب البيع فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا (٢٧٥) خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

ومن المعارف الاقتصاديّة التي قرّرها القرآنُ وجعلها قاعدةً تقومُ عليها سُنَّةُ العدل في توزيع الثروات؛ عدمُ جعلِ الأموال فقط متداولةً في يد الأغنياء: من مواقعِ سلطةٍ أو مركزٍ أو رئاسةٍ، فيُحْرَمُ منها الفقيرُ بسبب فقره ووضعِه الاجتماعي، قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ [سورة الحشر: ٧].

وانتقد حال أهل الكتاب الظالم؛ بأخذهم الربا وقد نهاهم الله عنه، وأكلِهم أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٠-١٦١].

كما قرّر سُننًا يقف عندها المؤمن ليكبح في نفسه الشهوةَ المفرطة لحبّ المال، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

ومن المعارف الاقتصادية التي بناها القرآن في التكوين المعرفيّ للعقليّة الناقدة أنّ المال لا بُدَّ من حفظه من السَّفَه وسوءِ التدبير، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء: ٥]، وانتقد المبذّرين، ووصفَهم بأنّهم إخوانٌ للشياطين: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٧].

قضية: الفساد الاقتصادي (قصة قوم شعيب نموذجاً):

تُخلقُ النفوسُ سليمةَ الفطرة، بما فطرها الله عليه، ثمّ لا تلبث أن تدنِّسها عللُ البيئات والأهواء، وهذا التدنيسُ في الفطرة يختلف في الدرجات، بحسب البيئات والحضارات، وبحسب درجات قبول النفس البشرية له، والعللُ تبدأ بالدخول في النفس البشريّة، حتى إذا ما تمكّنت من الاستقرار في النفس، وأصبحت ديدنًا لها، تحوّلت إلى قناعات وأفكار تُشرع لها القوانينُ وتضع لها المناهج، وتتحوّل إلى عُرف دوليّ، لذلك كان ارتباطُ القرآن الكريم بالواقع البشري في غاية الحساسية والدقة[1]، وكانت قصةُ سيدنا شعيب مع قومه نموذجًا للفساد الاقتصادي الذي انتقده القرآن الكريم، مبينًا علله وأسبابه، ووضع الخطوط الرئيسة في مواجهة أيّ ظهور مشابهٍ له.

وحين نطالع قصةَ سيدنا شعيب في السور الكريمة التي ذكرتها: (سورة الأعراف، سورة هود، سورة الشعراء، سورة العنكبوت)، نجد أنّ القضيةَ التي عالجها شعيب مع قضية التوحيد قضيةُ المال، وهي من أخطر القضايا التي مرّت بها البشرية، حوّلت المجتمعَ إلى مجتمعٍ ماديٍّ

---

[1] يُنظر: العدناني، **جوانب الفساد في قصة شعيب مع قومه وإصلاحها**، رسالة دكتوراه، ص٦٣.

شديد الشراسة في الطبقيّة، فكانت إحدى خطابات القرآن الكريم للبشرية ترسيخ العدلِ وميزانِ الحقّ في المال، ونقد المفاهيم الاقتصاديّة الخاطئة القائمة على التطفيف والبخس بمعناهم الشمولي، وتقرير مفاهيم الاقتصاد الربانيّة القائمة على قيمِ التقوى والعدل، وطرح نماذجَ بشريّة انحرفت عن ميزان العدل في التعامل الاقتصادي، وكيف كان أسلوبُ القرآن النقديّ في قصة الفساد المالي، وكيف كان التوجيه الأمثل للنقد من خلال نموذج نبي الله شعيب.

النقد القرآني للفساد الاقتصادي:

كانت بدايةُ التقويم الرباني هي ربط القوم بعبادة الله وحدَه، وتجريد التوحيد من كلّ متعلّق غير الله، فمركزيّةُ الصلاحِ واستقامة الأمور تمكّن في المحور العقائدي[1]، الذي هو صلاحٌ خاصٌّ بالعقل والفكر[2]، فكان الخطاب الأول لشعيب: ربطهم بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

والخطاب الثاني: نقد الفساد والبخس في الكيل، قال تعالى على لسان نبيه: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥]، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨١-١٨٣].

الخطاب الثالث: نقد الضلالات والشبهات التي كانوا عليها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا

---

[1] يُنظر: العدناني، **جوانب الفساد في قصة شعيب عليه السلام مع قومه واصلاحها**، رسالة دكتوراه، ص٦٤.

[2] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٣٦.

عِوَجًا﴾ [سورة الأعراف: ٨٦]، وذلك بتصوير سبل الله المستقيمة بأنّها معوجّة من خلال إلقاء الشبهات والشكوك عليها،[١].

ولابن عاشور تعليقٌ متميّزٌ على قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [سورة هود: ٨٨].

يقول: "فمعنى قوله: (وما أريد أن أُخالفكم) أنّه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتقعرين؛ ولكن يُخالفهم لمقصدٍ سامٍ، وهو إرادة إصلاحهم. ومن هذا الاستعمال ما ورد في الحديث: لمَّا جاء وفدُ فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الصديق: (أمِّرِ الأقرعَ بن حابس، وقال عمر: أمِّرْ فلانًا، فقال أبوبكر لعمر: ما أردتُ إلى خلافِكِ)، فهذا التفسير له وجهٌ وجيه في هذه الآية، وفي هذا ما يدلّ على أنّ المنتقدين قسمان: قسم ينتقد الشيء ويقف عنده دون ارتقاء إلى بيان ما يُصلحُ المنقود، وقسم ينتقد لبيان وجه الخطأ، ثمّ يعقب ببيان ما يصلح خطأه"[٢].

وفي تفسير ابن عاشور دلالةٌ قويّةٌ على أنّ سيدنا شعيبًا كان يمارس النقد الإصلاحيّ مع قومه، وأرى أنّ في قصص الأنبياء منهجًا متكاملًا لصناعة العقليّة الناقدة، ومدرسةً قرآنيّةً تحتاجُ مَنْ يستخرج المعاييرَ والقواعدَ التي يتشكّل منه المنهجُ النقديّ.

قضيّة فصْل الدين عن الدنيا (العلمانيّة):

هناك قضيّةٌ خطيرةٌ ترتبطُ بقصّة فساد قوم شعيب، وهي قضيّة العلمانيّة، وما قصةُ قوم شعيب إلّا نموذجًا لنمطٍ عالميّ، فقد كشف لنا فيها القرآنُ عن حقيقة المبتغى والغاية من رفض

---

[١] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٧٥.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٤٥.

القوم لدعوة شعيب، وهي فصل الدين عن الحياة: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [سورة هود: ٨٧].

العلاقة بين الصلاة والمعاملات الاقتصادية وبين النقد:

على قارئ القرآن الكريم أن يتساءل لماذا أقحم قومُ شعيبٍ موضوعَ الصلاة في محاورتهم لسيدنا شعيب أثناءَ نصحه لهم: بعدم البخس والغش في الكيل؛ ذلك لأنّهم يعلمون أنّ الصلاة تمثّلُ الركنَ الأساس للدين، وهي الشعيرة التي كُلِّفت بها الأمّةُ أثناءَ معراج الرسول ﷺ إلى السماء، كما أنّ الحقيقة المهمّة، أنّ المسلم ملتصقٌ بهذه الشعيرة، تتكرّر عليه خمسَ مرات في اليوم، وهذا هو المقصود من تساؤلهم، فقومُ شعيب يدركون مدى تداخل العقيدة بالجانب الاقتصادي، فالعقيدةُ لا تنفصل عن الممارسة الحياتيّة للفرد والمجتمع، بل العكس، فالعقيدةُ تقرّرُ للمسلم طريقةَ المعاملات وأساليبَ البيع والشراء والحلال والحرام فيها، وتضبطُ الأمورَ الماليّة في التعاملات الاقتصادية، فالقومُ يعلمون أنّ العقيدةَ سوف تقفُ أمامَ معاملاتهم التجاريّة الخاطئة، وبالتالي سيتأثر النموُّ الماليّ والثراءُ الاقتصاديّ لهم، فهم يطالبون بفصل الدين عن الحياة، وهذا ما تقوم عليه العلمانيّة العالميّة، تختلف الأشكالُ والمسمّيات وتختلفُ الطرقُ وتظلّ القاعدةُ واحدةً، كما أنّهم يدركون أنّ وجودَ العقيدة اليوميّة والدائمة في حياة المسلم تسبّب صعوبةً في نزع فتيلة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعقيدةُ الأمرِ بالمعروف، والنهيِ عن المنكر، والنقدِ لما هو مخالفٌ لأمر الله مرتبطٌ بالصلاة، وهذا ما قرّره القرآن، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١].

القرآنُ الكريم كتابٌ معجزٌ خالدٌ، ليس كلامًا يُسَطَّرُ ليُمْلَئَ به أوراقُ بحثٍ أو رسالة، بل هي حقيقةٌ ساطعةٌ، فبناءُ العقليّة الناقدة من خلال قصة سيدنا شعيب واضحةٌ في مجمل القصة بصفة عامّة من خلال رفض الفساد الاقتصادي، وهناك إشاراتٌ ودلائلُ لنقد مركزيّةٍ خاصّة في موضوع الفساد المالي، وهو فصل الدين عن الدنيا من معاملات وشؤون حياة، وهو ما يطالب به العالم الدولي الآن من فرض العلمانيّة على العالم، يقول سيد قطب "إنّ بيننا اليوم ممن يقولون إنّهم مسلمون، من يستنكر وجود الصلة بين العقيدة والأخلاق، وبخاصّة أخلاق المعاملات المادية ... ويتساءلون أولًا في استنكار: ما للإسلام وسلوكنا الشخصي؟ ما للإسلام والعريّ في الشواطئ؟ وما للإسلام وزيّ المرأة في الطريق؟ ما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسيّة بأي سبيل؟ ما للإسلام وتناول كاس من الخمر لإصلاح المزاج؟ ما للإسلام وهذا الذي يفعله المتحضّرون؟ فأيُّ فرق بين هذا وبين سؤال أهل مدين: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود: ٨٧]"[1].

[٣] الجانب السياسي:

أول جوانب المعرفة السياسيّة في القرآن إقرارُ مفهوم الحكم لله، لذلك انتقد القرآنُ الكريم أهل الكتاب، وعابَ عليهم إعراضَهم عن الاحتكام لكتاب الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٣]، والإنسان عندما جعله الله خليفةً في الأرض، أمرَه بالحكم بالحقّ، وليس حسب مصالحه السياسيّة ورغباته الشخصية، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١٢، ص١١٩.

شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٨]، كما أمر الله تعالى بالعدل بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٣٩-٤٠].

قضية الاستبداد السياسي:

وردت قصةُ فرعون في القرآن الكريم في عددٍ كثيرٍ من السور، وفصّلت الآياتُ الكريمة تفصيلًا كبيرًا في أحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل، فالقصّةُ بحجمها الكبير في القرآن الكريم لها مقاصدُ، من أهمّها: أن هناك نماذجَ من فرعون على مرّ الأزمنة، يتّخذ منها المسلم معرفةً يبني عليها قواعدَ رفضِ الاستعباد ومواجهةِ الفساد السياسي قبل أنْ يصبحَ بحجم فرعون، فتكون المهمّة أمامه صعبةً، وهذا ما حدث في أزمنةٍ من العصور الإسلاميّة.

سمات الطاغية:

ادّعاء الخير لقومه، إلّا أنّه في الحقيقة الظاهرة هو مَنْ يتحكّم بهم ويشرعُ لهم ما يتّفق مع أهوائه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: ٣٨]، كما كانت من سماته التكبرُ وحبُّ التملك، والنظرُ إلى الآخرين بتعالٍ واحتقارٍ، يقول الله تعالى واصفًا حديثه مع قومه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [سورة الزخرف: ٥١-٥٢]، وفي المقابل ما كان لفرعونَ أنْ يصلَ إلى هذه المرحلة الطاغية من التجبّر إلّا بسبب الغرور الذي تمكّن منه؛ بما يمتلكُ من المال الذي رزقه الله إيّاه، وبسبب تزيين الاتباع لأعماله، وخنوع الناس وخوفهم من تجبره وسطوته، وانكبابهم على الأمور المادية والمنافع الدنيوية، وعندما أراد أن يبعد الناس عن دعوة موسى عليه السلام اتّخذ أسلوب الاستحقار قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٣].

لقد أظهر القرآنُ الكريم الصورةَ النمطيّةَ للجبابرة والطواغيت في رفض دعوة المصلحين، فالتكذيبُ وخَلْقُ صورةٍ مسيئةٍ للمصلح هي السّمة البارزة في شخصياتهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [سورة يونس: ٧٥-٧٧]، ففرعون عندما لم يستطع مواجهةَ الحجج والبراهين العقليّة التي جاء بها سيدنا موسى، استخدمَ أسلوب التهديد بالسجن، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٤-٢٩]، كما لجأ إلى التهديد والتنكيل وقتل الأبناء واستحياء النساء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر: ٢٣-٢٦]، ولكلّ طاغيةٍ

أعوانٌ تدفعه للشرّ وتزيّنه له، وهامان كان نموذجَ الوزير الفاسد، فاستحقَّ أنْ يذكرَ باعتباره مصدرا للشرّ واستحقّ العذاب مع فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٨][1].

وفي رأيي أنّ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون تمثّل نموذجًا معرفيًّا، فيه كثيرٌ من الجوانب السياسية والاجتماعية التي تصنع مناعةً فكريّةً قادرةً على مواجهة الاستبداد السياسي والاجتماعي، وقادرةً على نقدها.

---

[1] يُنظر: بريغش: محمد حسن، "الطغيان والطاغية من خلال قصة فرعون"، **المنتدى الإسلامي**، ص١-٧.

المطلب الثالث: العقل والوحي.

قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]، وقال أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ) في مقدمة كتاب (أدب الدنيا والدين): "اعلم أنّ لكلِّ شيء أُسًّا، ولكلّ أدب ينبوعًا، وأسُّ الفضائل وينبوع الآدب هو العقلُ الذي جعله الله تعالى أصلًا، وللدنيا عمادًا، فأوجبَ التكليفَ بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه، وألَّف بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبَّدَهم به قسمان: قسمًا وجبَ بالعقل به فأكّده الشرع، وقسمًا جاز في العقل فأوجب الشرع ... فكان العقلُ عمادًا لهما"[1].

والخطابُ القرآنيّ للعقل لا يأتي بمعنى واحد، بل يشمل وظائف العقل الإنساني بكلّ أشكاله واختصاصه، والقرآن الكريم يخاطب العقلَ الغريزيّ المميّز والمقابلَ للجنون، والذي هو مناط التكليف، كما يخاطب العقل المكتسب المقابل للجهل والذي هو مناط التكريم.

ومن خطاب القرآن العظيم للعقل الغريزي قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، وقولُه تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وقولُه سبحانه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٨].

أمّا الخطاب للعقل المكتسب فإنّ القرآنَ الكريمَ يتدرّج معه تدرجًا علميًّا، يقول الله تعالى:

---

[1] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **أدب الدنيا والدين**، (بيروت: دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٤١.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، فيطلقُ على أهل التمييز صفةَ (أولي الألباب)، فالعقلُ المكتسب الذي يخاطبه القرآن الكريم (اللب) عقلٌ وظيفتُه بالعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، وهي عقولٌ تتّعظ بالذكرى وتكتسبُ الحكمةَ وتتحصّن بالذكر، لتصلَ إلى مرحلة التمييز الواعي بين الخير والشرّ والحقّ المضطهد والباطل الغالب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٠]، وهم خبراءُ الكلمة والفكرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ١٨][(١)].

وهؤلاء أصحابُ الفكرة والكلمة، كانت لهم خاصيّةٌ تميّزهم عن غيرهم، تشيرُ إليها الآيات التي سبقت وصفهم، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [سورة الزمر: ١٧]، فهم موصوفون (بالتوبة والإنابة والمراجعة)[(٢)]، وما هذه المراجعة والإنابة إلّا صفة الناقد، وهذا دليلٌ على منزلة العقل الناقد في القرآن الكريم.

---

(١) يُنظر: الكبيسي، العقل والقرآن حميمان فرق بينهما الجهل، **الندوة الفكرية: مكانة العقل في الفكر العربي**، ص٤٣-٤٥.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٣، ص٣٦٥.

حماية القرآن الكريم للعقل من المصادرة:

حمى القرآن الكريم العقلَ من عوامل المصادرة، وهي:

١- سلطة رجال الدين والكهنة، قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة التوبة: ٣١].

٢- سلطة الموروثات القبليّة والمجتمعيّة، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣].

٣- سلطة النفوذ العلوي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٧].

٤- سلطة الصحبة الفاسدة [1]،قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[الفرقان: ٢٧-٢٨]

ارتباط العقل بالحواس في البناء المعرفي:

أبرز القرآن الكريم دورَ العقل في ارتباطه بالحواس في تلقي المعرفة، فجعل العقل معطّلًا بتعطل الحواس، ومن هنا تبرز أهمية الحواس في تلقي المعرفة، قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢]، وتظهر في آيات أخرى أن الحواس لا قيمة لها بغير عقل، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة يونس: ٤٢]، وفي آية أخرى:

---

[1] يُنظر: الكبيسي، العقل والقرآن حميمان فرق بينهما الجهل، **الندوة الفكرية: مكانة العقل في الفكر العربي**، ص٤٩-٥٠.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: ٤٦][1].

العقل والحقائق التاريخية:

القرآنُ الكريم يجعل من الحقيقة التاريخيّة طريقًا عقليًّا للعلم، كما أنّه يجعلها مقدّمةً من مقدّمات الدليل واليقين إذا كانت ثابتة، مهما حاول الخصم المعاندة والكذب، ومن ذلك ادّعاء النصارى أنّ إبراهيم كان نصرانيًّا، وادّعاء اليهود أنّه كان يهوديًّا، وذلك للوصول لمبتغى لهم وهو أحقّيّة كلّ منهم بالدين والخلود، فقد اعتمدوا على حقائق تاريخيّة مزوّرة، فقدّموا أدلةً كاذبة ثمّ كانت نتيجة استنتاجهم باطلة[2]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤-٦٨].

حدود العقل من الوحي:

العقلُ طاقةٌ كأيّ طاقةٍ لا بُدَّ لها من وعاءٍ يحتويها ويحكم انطلاقتها في الكون والوجود، وإلّا شطح في ما يدّمره، لذلك حدّد له القرآن الكريم حدودًا لا يخرج عنها في تعامله مع الوحي، فقرّر أنّ من الآيات مَنْ لا يعلم تأويلَها إلّا الله، وهي الأمور الغيبيّة: كخبر

---

[1] يُنظر: زين، **المعرفة في القرآن الكريم: وسائلها وفضائلها وغايتها**، رسالة ماجستير، ص١١٩.

[2] يُنظر: **المرجع السابق**، ص١٢٠.

الآجال، وأوقات الساعة، والبعث والنفخ في الصور، وأشباه ذلك، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧]، وأنّ هناك من الآيات التي لا يُدْرَكُ علمُها إلّا ببيانٍ من الرسول ﷺ، وهناك تأويلُ الراسخين في العلم لكلّ زمان[١]، أمّا أغلب الوحي فهو تفاعلٌ وتدبّر واستنتاجٌ بينه وبين العقل.

السير والنظر في القرآن الكريم ونظامه المعرفيّ:

يلاحظُ القارئُ للقرآن الكريم والمتدبّرُ لآياته التوجيهَ القرآنيَّ المتكرّرَ للسيرِ والنظرِ في آيات الله في الكون والخلق، واكتشافِ المقصود من هذا التوجيه، في فهم سنن التدافع والتداول، وسنن الصعود والهبوط، والمقصودُ القرآني هو السيرُ الجادُّ والنظرُ المتأملُ المتدبّرُ، وليس سيرَ المكبّ على وجهه، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك: ٢٢]، حتى يصل إلى المقصود القرآني من هذا التوجيه للنظر والسير، ويصبح لبنةً أساسيّة في البناء المعرفي للمسلم[٢]، فالعقلُ الناقدُ يحتاجُ إلى النظر في النفس والكون وأحوال الأمم، فينظر في أمر النفس كيف كان صنع الله في شأنه، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [سورة عبس: ٢٤-٣٢]، وينظر في أمر السماء والأرض وكيف سيّرها الله له ويسّرها، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

---

[١] ينظر: الكبيسي، العقل والقرآن حميمان فرق بينهما الجهل، **الندوة الفكرية: مكانة العقل في الفكر العربي**، ص٥٠-٥١.

[٢] يُنظر: الرشدان، "حول النظام المعرفي في القرآن الكريم"، **مجلة إسلامية المعرفة**، مج٣، ع١٠، ص٣١.

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق: ٦-٧]، ثمّ يأتي النظر والاعتبار في أحوال الأمم وفي السنن التاريخية، يقول تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ١٠١]، ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧].

وقفة مع آيات سورة الفجر:

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢) وَجِيءَيَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة الفجر: ١-٢٣].

سورة الفجر من السور المكّيّة التي نجد فيها تفاعلًا عجيبًا بين مكوّنات المعرفة وصناعة العقل الناقد، فقسم الله تعالى بالفجر، وهو مكوّنات الكون التي في اختيارها دلالةٌ على الكون، كما أقسم في المقابل بالليل، وأقسم بالوتر والتي تمسّ الجانب النفسي والروحي للإنسان، وأقسم بالليالي العشر، والممثّلة للتشريع، فالقَسَمُ الإلهيّ شمل أنواعا من المعرفة الكونيّة والتشريعية

والروحيّة.

والذي يلفت الانتباه أنّ العقل جاء ليتوسط المعارف الكونيّة والتشريعيّة من جهةٍ، والمعارف التاريخيّة والسنن الإلهيّة من جهةٍ أخرى، والحِجْرُ من أسماء العقل؛ وسمّي بذلك؛ لأنّه قاهر لنفسه ضابطٌ لها وحاجزٌ عليها من التهافت فيما لا ينبغي[1]، ليدلّ على أنّ صاحب العقلِ المنضبطِ هو القادرُ على أن يميّز الحقّ من الباطل، مستفيدًا من المعارف الإلهيّة التي منحها الله إياها.

والرؤية هي بمعنى (العلم)[2]، وهي مجموع المعارف المكتسبة للإنسان في ضوء المعرفة القرآنيّة.

ثمّ تشير الآياتُ الكريمة لخبرِ أكبرِ قوًى عرفتْها البشريّةُ، تمثّلت فيها أعلى مستويات الطغيان في الحضارة المادية: طغيان في القوّة الجسدية، وطغيان في القوّة الاقتصادية.

وفي قمّة الطغيان الفرعوني يقول سيد قطب: "هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)﴾ وليس وراء الطغيان إلّا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواءً، كما يفسد العلاقات والارتباطات في كلّ جوانب الحياة، ويحوّل الحياة عن خطّها السليم النظيف المعمّر الباني، إلى خطٍّ آخر لا تستقيم معه خلافةُ الإنسان في الأرض بحال ... إنّه يجعل الطاغية أسيرَ هواه، لأنّه لا يفيء إلى ميزانٍ ثابتٍ ولا يقف عند حدٍّ ظاهر"[3].

ومثلث الطغيان: (عاد، ثمود، فرعون)، يمثّل الحضارة الماديّة التي خلتْ من الضابط الرّادع: (الإيمان، ومعارف الوحي) الذي يوقف تجاوز الحدّ في الفساد وظلم العباد، "فهم لم

---

[1] يُنظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص١٨٦.

[2] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣١، ص١٥٢.

[3] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣٠، ص٩٢١.

ينطلقوا من قانون عادل يخضع له الجميع ينضم لهم حياتهم ... لإرجاع المتجاوزين إلى الحدود المرسومة والضوابط المعلومة، بل انطلقوا في علاقتهم من خلال تألّيه الذات المتحركة من شريعة الاستكبار القائمة على القوّة والمنطلقة من الهوى"[1].

كما أنّ هذه القصص جزءٌ من سنن الله: أنّ طغيان القوى الحاكمة في واقع الأمم يوجب الفساد[2]، وأنّ الفساد إذا انتشر لا بُدَّ من العقاب الإلهي؛ لأنّ المصلحين لم يكن لهم دورٌ في التغيير، ثمّ تعودُ الآيات لتتحدّثَ عن الجانب النفسيّ وارتباط الإنسان بمفاهيم الاختبار والابتلاء الإلهيّ، وهي تندرجُ تحتَ المعارف النفسيّة، ويليها الحديثُ عن اليتيم والمساكين، وهي من المعارف التشريعيّة والاجتماعية ومعاني التكافل المجتمعي، ليكون حديث نهاية السورة الكريمة عن حقائق الآخرة حيثُ يكون الجزاءُ ونهاية العمل الفاسد.

أليست هذه المعارف والمفاهيم الإيمانية قادرةً على تشكيل عقل ناقد؟

أليس في الخطاب القرآني وألفاظه (ذات العماد، جابوا الصخر، الأوتاد، طغوا، فأكثروا، الفساد، فصب، سوط عذاب ... الخ) ما يوقظ العقل والنفس للمراجعة والمحاسبة فردية أو ومجتمعية؟

نموذجٌ لبناء عقليّةٍ ناقدةٍ من خلال القراءة الكونيّة:

يضربُ الله تعالى إبراهيمَ عليه السلام نموذجًا لمن نظر في الظواهر والموجودات الكونية، مستعينًا بها للوصول إلى الحقيقة الإلهيّة، والتي أنكر أن تكون في ديانة قومه.

كان سيدنا إبراهيم في حالة نظر واستدلال على وجود الإله، وزاد لديه الشعور بأهمية هذا الأمر عندما وجد قومَه يعبدون ما يصنعون، فتوجّه إلى أبيه آزر في حوارٍ عقليٍّ نقله لنا القرآن

---

[1] فضل الله، **من وحي القرآن**، ج٢٤، ص٢٤٣.

[2] يُنظر: فضل الله، **من وحي القرآن**، ج٢٤، ص٢٤٣.

الكريم، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٦٩-٧٤]، لقد كانت حجّة القوم في هذه العبادة حجّةً ضعيفةً، لم تُقنع إبراهيم عليه السلام، وهنا توجّه بتوفيق الله إلى الأدلّة الكونيّة، فالنظرُ في ملكوت السماوات والأرض يقودُه للوصول للحقيقة الكبرى، وهي معرفة الله، يصف القرآن الكريم موقف إبراهيم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦-٧٩]، لقد جزّء إبراهيم سؤالَ الشكّ إلى أجزاء كثيرة وأسئلة فرعيّة، ففي القراءة الكونيّة، نظر في ظاهرتي الأُفُول والبُزوغ للكواكب، ووصل بالربط المنطقيّ أنّ الأُفُولَ فيه صفةُ النقص والغياب، ولا يمكن للإله أنْ يعتريَه صفة نقص أو غياب، فكان هذا موقفه من ملكوت السماء، حتى إذا التفت إلى ملكوت الأرض واجه قومه، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٦٩-٨١][1].

---

[1] يُنظر: العلواني: طه جابر، **الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون**، (القاهرة: مكتبة الشروق

خاتمة:

تتّضح أهمّيّة المعرفة في البناء المعرفي للعقليّة الناقدة من خلال دورها في تشكيل البنيّة الثقافيّة والحضاريّة، وإعطاء الفرد والأمّة الصبغة والرائحة والشكل الذي يتوافق مع جوهرها الذي أراده الله لها، كما أنّ المنهجيّة المعرفيّة القرآنيّة ، وهي جزء من المعرفة الإسلاميّة بما تملكه من مخزون تاريخي وتشريعي، قادرة على بناءِ عقلٍ واعٍ يرصُد الظواهرَ ويقيمُ الدليل، يميّز بين الحقّ والباطل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٩].

الدولية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٥٠-٥٢.

المبحث الثالث: البناء النفسي للعقلية الناقدة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى النفس وأهمية البناء النفسي للعقليّة الناقدة.

المطلب الثاني: أنواع النفس وحالاتها.

المطلب الثالث: مركزيات البناء النفسي للعقلية الناقدة.

المطلب الرابع: بناء المناعة النفسية وتعزيزها.

تمهيد:

لا تقلّ أهمّيّة البناء النفسيّ للعقليّة الناقدة، عن البناء المعرفي، بل لا أبالغ أن يكون هو المتقدّم، فالبناءُ الروحيّ والنفسي مكوّنٌ مفصلي في بناء شخصيّة عقليّة ناقدةٍ متزنةٍ، والأمُر شديدُ الحساسيّة والتفرّع، ومن خلال النظر والتدبّر يمكن أن نلاحظَ أنّ القرآنَ قد غذّى هذه النفس من خلال أودية كثيرة ومتشعّبة من المفاهيم والمعاني القرآنيّة، فأينما وجّهت نفسك في سور القرآن الكريم تخرّج لك معاني المعالجة الربانيّة للروح والذات، ولا يمكن أن تضعَ يدك على مفاهيم وقيم مخصوصة لهذا البناء، حاولت جاهدةً أن أتأمّل حاجةَ البناء النفسي للعقليّة في هذا العصر الذي نعيشه، متنقّلة بين صفحات القرآن الكريم، وأيقنت أنّ هذا الكتاب الكريم معالجٌ للنفس بطرق لا يمكن حصرها، فهو المعجز الذي لا تنقضي عجائبُه ولا يَخْلَقُ من كثرة الردّ.

جاء هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى النفس وأهمية البناء النفسي للعقليّة الناقدة.

المطلب الثاني: أنواع النفس وحالاتها.

المطلب الثالث: مركزيات البناء النفسي للعقلية الناقدة.

المطلب الرابع: بناء المناعة النفسية وتعزيزها.

المطلب الأول: معنى النفس وأهمية البناء النفسي للعقليّة الناقدة.

لا بُدَّ من العروج على معنى النفس في اللغة والاصطلاح والقرآن حتى نستطيع فهم هذه النفس، ثمّ بيان أهمّيّة البناء النفسي للعقليّة الناقدة، وكيف كانت دعوة القرآن الكريم لبناء النفس منذ النشأة الأولى.

أولًا: معنى النفس:

١- معنى النفس في اللغة:

"قال أهل اللغة: النفس في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: قولك: خرجت نفس فلان، أي روحه. ويُقال: في نفس فلان يفعل كذا وكذا، أي: في روعه.

والضرب الآخر: معنى النفس حقيقة الشيء وجملته، يُقال: قتل فلان نفسه، والمعنى: أنّه أوقع الهلاك بذاته كلها"[١].

ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ): "النَّفْس وجمعها النفوس، لها معان: النفس الروح الذي بها حياة الجسد، وكلّ إنسان نفس، حتى آدم عليه السلام، الذكر والأنثى سواء. وكل شيء بعينه نفس، ورجل له نفْس؛ أي خُلُقٌ وجلادة وسخاء"[٢]، فالنفس في اللغة قد تأخذ معانيَ مختلفةً: ومنها الذات.

---

[١] الأزهري: محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض، (بيروت: دار الأحياء، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج١٣، ص٨.

[٢] الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص٢٧٠-٢٧١.

٢- معنى النفس في الاصطلاح:

اختلفت عباراتُ الباحثين في معنى النفس، إلّا أنّ أغلب التعاريف تشير في مجملها إلى الخفايا الكامنة في النفس وما يجول في الخواطر وما يترتب عليها من سلوك وانفعالات[١]، وفي علم الاجتماع تمّ تعريفها بأنّها: "المركب من الجسد والروح الذي يطلق عليه الذات أو الأنا، ويحمل سمات الروح والجسد"[٢].

وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن النفس بمعنى الذات وبما تحمل من خواطر وسلوك وانفعالات.

٣- معاني النفس في القرآن:

وردت كلمة النفس في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، فقد بلغ عدد ورودها وبصيغها المختلفة (٢٩٥) مرّةً، في ثلاث وستين من سور القرآن الكريم[٣]، وقد حملت معاني النفس في القرآن الكريم عدة معاني، انتقيت منها ما يتناسب مع موضوع البحث:

أ- النفس بمعنى ذات الإنسان:

والمقصود به: "الكل المتكامل عن تفاعل الجسد والروح".

ب- النفس بمعنى الروح، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

---

[١] يُنظر: أبو السعود، **الإعجاز النفسي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، ص١٩.

[٢] **المرجع السابق.**

[٣] يُنظر: العلواني، **بناء النفس وأثره في تقويم السلوك البشري**، رسالة دكتوراه، ص٢٨.

ج- **النفس بمعنى القلب وما يرتبط به،** كما يتّضح من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

د- **النفس بمعنى القوّة المفكرة في الإنسان،** يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة النمل: ١٠].

هـ- **النفس بمعنى نيّة الإنسان،** والجوهر الداخلي له من قوى الخير وقوى الشرّ فيه، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦][1].

٤- العلاقة بين العقل والنفس:

جعل الله لكلٍّ من العقل والنفس خصائصَ يختصّ بها عن الآخر، بينهما قدرٌ مشتركٌ من الاتصال، يتوافقان مرّةً، وقد يتعارضان مرّةً أخرى، لكلٍّ منهما حدودٌ وحقوقٌ، مواطن ضعف وقوة، وبمقدار ذلك يسيطر أحدهما على الآخر[2].

مدح العقل وذم النفس في القرآن الكريم:

ممّا يدل على قوّة تأثير النفس على العقل، ما جاء في كتاب الله العزيز، فقد ذمّ القرآن الكريم النفس لذاتها، ولم يأت ذم العقل لذاته؛ بل ذمّ عدم استعمال العقل في التأمل والتفقه، فقال

---

[1] يُنظر: التل: شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي،** (أربد: دار الكتاب الثقافي، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص١٦-١٧.

[2] يُنظر: الطريفي: عبد العزيز بن مرزوق، **الفصل بين النفس والعقل،** (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣٩هـ)، ص١٥.

تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩]، وقوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٣]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٦]، وعندما ذكر النفس، جاء الذمّ لذاتها، لأنَّها المؤثرة في العقل، فالنفس هي التي تأمر بالخير والشر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، فالأصلُ في النفس هو الأمر بالسوء والخطأ، لذلك دخل الاستثناء عليها، فكان التحذيرُ من النفس كثيرًا في القرآن الكريم، في المقابل لم يأتِ التحذيرُ من العقل ولو مرّةً واحدةً[١].

ثانيًا: أهمية البناء النفسي للعقلية الناقدة:

١- حاجةً الإنسان الفطريّة الى ملاذٍ يتوجّه إليه في حالات الفرح والحزن، في أوقات السعة والرخاء كما في أوقات الضيق والشدة، ففي حالة الضغوط النفسيّة التي يتعرّض لها الإنسان بصفةٍ عامّةٍ، والمؤمنُ صاحبُ العقليّة الناقدة يحتاجُ إلى مرشدٍ يرشده إلى ما يثبت به فؤاده ويقوّي به عزيمته، فجاء الخطابُ القرآنيّ نافذًا إلى أعماق النفس البشريّة مخاطبًا إيّاها في كلّ حالاتها العاطفية، فأرشدها للدليل الذي يتثبت به القلب عند الحاجة، فعلقها به وجعله سببًا، قال تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٢]، ومعنى التثبيت هو حصولُ اليقين والاطمئنان للنفس[٢]، كما تجد النفس التسلية واللّطف، فجاءت الآيات القرآنية غزيرةَ بالعطف الإلهي، قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩]، والحفظ من الهزيمة النفسيّة التي قد تصيب النفسَ المؤمنة أثناءَ جهادها في

---

[١] يُنظر: الطريفي، **الفصل بين النفس والعقل**، ص٢١.

[٢] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٩.

الحياة، بمعنى تحقيق الصّحة النفسيّة[١] المطلوبة لشخصيّة العقليّة الناقدة.

٢- تكوين الشخصيّة المتزنة في إصدار الاحكام[٢]، فيقضي على النوازع النفسيّة والمشاعر المنحرفة، والتي قد تحول بينه وبين الانسجام مع خطّ سيره المستقيم[٣]، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨]، بل يربيّها في أجواء إيمانيّةٍ عاليةٍ، لتنتقل من حالة العدل إلى حالة الإحسان المطلوب أيضًا للاتزان، يقول الله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢]، فالاتّزان النفسيّ يؤثّر بشدّة في نمط العقليّة النقديّة.

٣- تقوية جانب اللين والرحمة في شخصيّة العقليّة الناقدة، والتي تعتبر من الفوارق الرئيسة في تمييز المؤمن ذي العقليّة الناقدة عن غيره (غير المسلم)، فاللين والرحمة من الجوانب النفسيّة التي قرّرها القرآن الكريم، قال تعالى مخاطبًا لرسوله الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، كما أمر الله تعالى موسى بالقول اللين عند مخاطبة أعظم طواغيت الأرض، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ

---

[١] تعريف الصحة النفسية: عرف بعض العلماء الصحة النفسية بأنّها التوافق الداخلي بين مكونات النفس كجزء فطري، وهي الغرائز (الهو)، وجزء مكتسب من البيئة الخارجية وهي الأنا الأعلى، وهذا التعريف له أصول إسلامية"، ص٥، "حيث إنّ الأنسان الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة يستعمل مهارات حل المشكلة، ويستعمل أساليب معرفية مناسبة في مواجهة الضغوطات النفسية". أبو وردة: منى حامد، **الصحة النفسية**، ص١٤.

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**، ص١٧.

[٣] يُنظر: فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج٨، ص٧٤.

يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤].

٤- مساعدة العقل على فهم الأنماط الشخصيّة التي يتعامل معها، فعرض كثيرًا من الأنماط الشخصيّة ذات السلوكيّات والطباع المختلفة كنماذج حيّة وارشاديّة في كيفيّة التعامل المنضبط معها، وقدم العلاجَ الناجحَ، كشخصيّة الهمّاز كما جاء في سورة الهمزة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [سورة الهمزة: ١-٣]، فعرض شخصيّةً من واقع الحياة، لها دوافعٌ سيّئةٌ من تكبّرٍ واحتقارٍ للناس بالغمز واللمز، كما أنّها تتحلّى بصفة الأنانيّة مبتغاها جمعُ المال والخلود[١].

٥- المساعدة على غرس القيم، التي تبني شخصيّة المؤمن ذي العقليّة الناقدة.

٦- تقويةُ الجانب الإيمانيّ الروحيّ في العقليّة الناقدة سببٌ رئيسيٌّ للمناعة من الهزائم النفسيّة التي قد يتعرّض لها الناقدُ المصلحُ لمجتمعه، ومصدرُ أمان في حالات المواجهة، كما أنّها مصدرُ وقايةٍ للعقليّة الناقدةِ من التجاوزِ الأخلاقيّ: كالظّلمِ، وعدمِ العدلِ، والانتصارِ للنفس، وغيرها.

رابعًا: دعوة القرآن الكريم للبناء النفسي:

مع أوّل سورة قرآنيّة في تنزّلها يظهرُ اهتمامُ القران الكريم البالغ بالنفس البشريّة، في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: ١-٢]، فدعا الإنسانَ لقراءة نفسه التي بين جنبيه، من لحظة التكوين، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [سورة النجم: ٣٢]، كما حثّ القرآن الكريم على

---

[١] يُنظر: الهاشمي، "لمحات نفسية في القرآن الكريم"، **مجلة دعوة الحق**، ع١١، ص٣٢.

التبصر في النفس ومعرفته أسرارها معرفه أولية، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢١]، ومن ثَمَّ انتقل إلى تهذيبها فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء﴾ [سورة النساء: ١]، ثم جعلها مناط المسؤولية والإرادة، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢-٣]، وقال تعالى في مواضع أخرى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة﴾ [سورة المدثر: ٣٨]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد: ١٠]، لتكون بعد ذلك مؤهّلةً ومكلّفة بالمحاسبة والمراجعة، فالتغيّر لن يحدث ما لم تقفِ النفسُ وقفةَ محاسبةٍ من خلال النقد الذاتي والمجتمعي لمواطن الخلل والزلل، كما قرّره القرآن، وجعله من السنن الإلهيّة في النفس، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١]. والله سبحانه يأمر الفرد والمجتمع المسلمَ بتلمّس الأخطاء والوقوف على أسباب المصيبة، كما جاء: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، حتى لا تتراكم الأخطاء، وتكون سببًا لنزع الإيمان بعد الرشد والهدى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [سورة النحل: ٩٢].

وعند الحديث عن البناء النفسي، لا بُدَّ في أول الأمر أنْ نعرّجَ على التكوين الإنساني نفسه وكيف كانت البداية، يقول محمد قطب: "إنّ المعرفة الأوليّة بالإنسان، ووظيفته، ودوره في الحياة، وحدود طاقاته، ليست من صميم الدراسة النفسية فحسب؛ بل إنّها كذلك هي الضمان الوحيد لعدم الوقوع في العيوب المنهجية التي وقعت فيها أبحاث الغرب ... وفيها الضمان للتميز

بين السويّ والمنحرف من أنماط النفوس"[1].

الاستخلاف (النشأة التاريخية):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠-٣٨].

من هذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات التي جاءت في القرآن الكريم إشارةٌ إلى وظيفة الإنسان الأساسيّة في الأرض وهي الخلافة، كما قرّرها الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، والخلافة يظهر فيها معاني الإبداع والتعمير والتكوين والتحليل والتغير والتبديل[2].

---

[1] محمد قطب، **دراسات في النفس الإنسانية**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٠، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٢٧-٢٨.

[2] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٦٦، محمد قطب، **دراسات في النفس الإنسانية**، ص٣٠.

وتُقرّرُ القصّة الأولى في الترتيب القرآنيّ مجموعةً من المفاهيم التي تلازمُ الإنسانَ في وجوده على الأرض ما بين خيرٍ وشرٍّ وقوّةٍ وضعفٍ، نستعرض بعضًا منها للوصول إلى كيفية النشأة الأولى للإنسان، وكيف كان التوجيهُ الربانيّ والقرارُ الإنساني، وما تقرر من هذا الموقف من تكوينٍ نفسيٍّ للإنسان بصفةٍ عامّة وللمؤمن ذي العقليّة الناقدة بصفة خاصّة:

١- الفساد معولُ هدمٍ للاستخلاف.

٢- العلم.

٣- حبّ الشهوات واختبار الإرادة.

٤- الصراع بين الإنسان والشيطان.

٥- الغواية.

٦- صناعة الشبهات.

٧- التفكير التبريري.

٨- التوبة النتيجة الفعلية للمراجعة والإنابة.

٩- الأنا.

١- الفساد معول هدم للخلافة:

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

يقول سيد قطب: "لقد خفيت عليهم حكمةُ المشيئة العليا، في بناءِ هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها، على يد خليفة الله في أرضه. هذا الذي قد يفسد أحيانًا، وقد يسفك الدماء أحيانًا، ليتمّ

من وراء هذا الشرّ الجزئي الظاهرِ خيرٌ أكبر وأشمل، خيرُ النمو الدائم، والرقيُّ الدائم، خيرُ الحركة الهادمة البانية. خيرُ المحاولة التي لا تكف، والتطلع الذي لا يقف، والتغيير والتطوير في هذا الملك الكبير"[1]،

٢- العلم:

إن أحد الإمكانيّات الكبيرة التي أعطاها الله للإنسان، هو العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، وبالعلم حصلَ الإنسانُ على شهادة التميّز عن غيره من الكائنات التي خلقها الله، بما في ذلك الملائكة[2]، وهذا وإن كان تشريفًا عقليًا، إلّا أنّ النفسَ لترقى في الدرجات: (اللوامة، المطمئنّة) بحسب ما تكتسب من الحقائق الإيمانيّة والعلوم الشرعيّة.

٣- حبّ الشهوات واختبار الإرادة:

استحقاق الخلافة والتميّز في العلم لا يمنعُ أنّ للنفس البشرية نقاطَ ضعفٍ نفسيّة أصيلة، ومن أهمّها حبُّ الشهوات، وكانت الشهوة الأولى التي استحقّ عليها آدمُ العقاب من الله الأكلَ من الشجرة المنهيّ عنها، فالشجرةُ تمثّل الشهوةَ التي لم تستطع إرادتُه أنْ تقاومها[3]، يقول صاحب الظلال (ت١٩٦٦م): "لقد أبيحت لهما كلّ ثمار الجنة ... إلّا شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بُدَّ منه في حياة الأرض، فبغير محظورٍ لا تنبت الإرادة، ولا يتميّز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبرُ الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط، فالإرادةُ

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٦٦-٦٧.

[2] يُنظر: محمد قطب، **دراسات في النفس الإنسانية**، ص٣٠-٣١.

[3] يُنظر: **المرجع السابق**.

مفرقُ الطريق، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالمِ البهيمة، ولو بدوا في شكل الآدميين"[1].

يشير صاحب الظلال في حديثه عن قصة الاستخلاف والصراع بين المكلّف بالخلافة وعدوه المركزي (الشيطان)، إلى علامة جوهريّة في التكوين النفسي للإنسان، وكيف أنّ القرآن الكريم طرحها بصورةٍ واضحةٍ، ألا وهي اختبارُ الإرادة، المرتبط بعاملين وهما: الصبر، وفي وجود المحظور (الشهوة الممنوعة).

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٦٩.

الشهوات فطرةٌ وحاجةٌ بشريّة:

لا بُدَّ من التفريق بين الشهوة التي جاءت في سورة البقرة، والمتمثّلة بالشهوة المحرمة أو المنهيّ عنها، والشهوةُ الفطريّة والتي لا غنى للإنسان عنها، لكن بغير غلوٍّ ولا طغيانٍ، كما جاء هذا التوضيح في سورة آل عمران، يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤]، يذكر صاحب الظلال في تفسير هذه الآية أنّ القرآن الكريم يعلّم أنّ للنفس رغائبَ وشهواتٍ فطريّةً أساسيّةً في تكوينه البشري، وأنّ لها دورًا أساسيًّا في حفظ الكون وامتداد الحياة فيه، فالقرآنُ الكريمُ لا يشيرُ إلى كبحها أو قتلها، ولكن يدعو إلى ضبطها وتنظيمها، ولا تكونُ هي المسيطرة على الإنسان: تقوده ولا يقودها. ثمّ ذكر نماذج لشهوات النفوس التي تمثّل شهوات كلّ نفس على مدار الزمان، فيعرضها ليقرّر قيمتها الحقيقية، فلا تتعدّى مكانها ولا تطغى على سواها، فيقول الله تعالى مبينًا تلك الحقيقة: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

٤- الصراع بين الإنسان والشيطان:

في القصةِ الكريمةِ دلالاتٌ لمفهومِ الصراع الإنسانيّ والإبليسيّ منها:

أ- الاستكبار والإباء الشيطاني:

فالشيطانُ لم يمْتَثِلْ لأمر الله بالسجود لآدم، بسبب الاستكبار والغرور، وقد جعل البعضُ مناطَ كفره هو الاعتراض على أمر الله تعالى، فالمعصيةُ وحدَها لا تقضي الكفر كما تدلّ عليه

---

[1] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥١٢-٥١٥.

الآيات، فالمسلمُ إذا غلب عليه أمرٌ يخالف أمر ربه استغفر وأناب، فيتوب عليه، بينما عصيان إبليس ورفضه ابتداءً[1].

ب- الترصد الشيطاني المستمر للإنسان:

فأزلهما: قيل بمعنى حملهم على الزلة[2]، وفي سورة الأعراف جاء الترصدُ الشيطانيّ للإنسان بمعنى الوسوسة، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠].

٥- الغواية:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦-١٧]، إنّ عمليّةَ الإغواء الشيطانيّ لها أذرعٌ تتحرّك من خلالها، ونقاطُ الضعف الإنسانيّة تساعدُ التحرّك الشيطانيّ في عمليتي الوسواس الخناس والزلل المدبّر، فيدخل من هذا الباب كلّ عدو للإنسان، سواءٌ إبليس أو جنوده من البشر، بأشكالٍ مختلفة وتحتَ مسمّيات خداعة، والضعف البشري ثلاثة أنواع:

أ- ضعف لا بُدَّ من تهذيبه، والحدّ من هيمنته على النفس البشرية، مثل شهوة حبّ المال والرئاسة وغيرها.

ب- ضعف لا بُدَّ على الإنسان من تعزيزه في نفسه، والمعاهدة عليه كفعل المأمورات

---

[1] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص٢٢٢.

[2] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص٩١.

وترك المحظورات والنواهي، والتزكية، ومراتب الإحسان.

ج- ضعف الذكاء الاجتماعي، وهذا الضعف ليس مرتبطًا بضعف بالعقل أو قلّة الحيلة؛ بل هو ضعفٌ متولّد من قلّة الخبرة والمخالطة، المؤدّي في أحيانٍ كثيرة إلى حالة من السذاجة تسمح بتصديق المبطلين وسهولة الانخداع[1].

٦- صناعة الشبهات:

كانت البداية الأولى لظهور الشبهات هي فكرةُ الخلود التي زيّنها إبليسُ لآدم؛ ليوقعَه في المحظور بالأكل من الشجرة المحرمة.

وفيها أيضًا نقدٌ للنظريّات التي تُصِرّ أنّ تلبّس حقيقة الوجود الإنساني هو الصدفة، أو الطبيعة، أو التطور كما في نظرية دارون، فقصّة خلق آدم وزوجته، هي حقائقُ يغذي بها المؤمن قلبَه وعقلَه، ويفنِّدُ بها رياحَ عبثِ نظريّات حقيقة خلق الإنسان.

٧- التفكير التبريري:

يقرّر القرآنُ الكريمُ في قصة آدم وإبليس، قاعدةً أساسيّةً في البناء النفسي للشخصيّة ذات العقل الناقد، وهي الوقوفُ الجادُّ والحقيقيُّ أمامَ المشكلة والبحث بعمق عن أسباب المشكلة وطرق الحلّ والتوجّه إلى نقدِ الذات، كما حدث مع آدم في اعترافه بالخطأ، ومع أنّ أحداث القصة تشيرُ إلى دور إبليس الأساس في الغواية، إلّا أنّ ذلك لم يبرّر لآدم عدمَ تحمّل مسؤوليّة الذنب، ولم ينسبْ للشيطان الخطأَ، بل كان صادقَ العزيمة في تحرّي أسباب التوبة، فنسب الظلمَ إلى نفسه، كما جاء على لسانه في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا

---

[1] يُنظر: الحميد، "تربية الإنسان في القرآن الكريم: قصة آدم وحواء نموذجًا"، **مجلة القلم**، ع٢، ص٨٢-٨٣.

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢-٢٣]، يمكن أن نتلمَّسَ إشارةً: أنّ النفس البشرية قد فُطرت على الاعتراف بالذنب ونقد الذات، كما اعترف آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، إلّا أنّ المؤثرات الخارجيّة تحاولُ أن تطمسَ هذه الخاصيّةَ التي منحها الله تعالى للإنسان.

كما تشيرُ القصةُ إلى التفكير التبريريّ، والذي تميلُ له النفسُ البشريّةُ للهروب من الاعتراف بالخطأ أو الوقوف على السبب الحقيقي للمشكلة، كما حدث مع إبليس في نسبة الغواية إلى الله تعالى، ولم يعترف أنّ سبب معصيته هو الحسدُ من آدم والتفاخرُ بالمنشأ، يقول كما يذكر القرآن: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٢]. ويقصد بالتفكير التبريري: هو التفكير الذي يفترض الكمالَ للشخص، وإذا أخطأ بَحَثَ له عن أسبابٍ ومبرراتٍ خارجيّة ليجدَ له العذرَ والتبرئة من المسؤوليّة، فلا عجب أن ينسب القصور والفشل للآخرين[١]، والفكر التبريري هو منهجُ إبليس، فقد نسب الإغواء إلى الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم على لسانه[٢]، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر: ٣٩].

٨- التوبة هي النتيجة الفعلية للمراجعة والإنابة:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٣٧].

---

[١] الكيلاني، **مقومات الشخصية المسلمة أو الرجل الصالح**، ص٥٧.

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**.

والتوبةُ هي العطاءُ النفسيّ الكبير الذي يمنحه الله لعباده التائبين الواقفين على عتبة بابه، وبالتوبة يعبُرُ المؤمنُ إلى برِّ الأمان النفسي، فالذنبُ ثقلٌ على النفس يشعرُ بها صاحبها، قد تسبّب اضطرابًا وقلقًا نفسيًّا، لذلك عالج القرآن هذا الجانب، فجاءت الآيات الكريمة تخاطب المذنب، لا تدعوه إلى التوبة فقط؛ بل تدعوه إلى عدم القنوط من رحمة الله مهما كانت سَعَةُ ذنوبه[1]، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٩]، والتوبةُ عادةً تفتحُ بابَ إصلاح الذات وتقويمها، بحيثُ لا يقعُ في الخطأ مرةً أُخرى، ومن ثَمَّ تتعزّز ثقةَ الإنسان بنفسه والرضا عن ذاته، وبثّ روح الأمن بالطمأنينة في القلب[2].

٩- الأنا:

من أهمّ الجوانب النفسيّة التي عالجها القرآن الكريم من خلال قصة آدم وإبليس؛ قضيّةُ تفخيم الذات، والنمو المفرط (الأنا) في النفس، كما كان قول الشيطان في رفضه لأمر الله بالسجود لآدم، فتعالت الأنا في نفسه، حتى أنّها انحرفت عن المقبول والمعقول، فرفض أوامرَ الله عندما طلب منه السجود لآدم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٢].

كما تصيغ هذه الآيات التكوينَ العقليَّ والنفسيَّ لحقيقة الإنسان، موضّحةً أنّه خليفةُ الله في الارض، مكرّمة إيّاه في أعلى درجات التكريم والشرف، وبهذه الحقيقة المعرفيّة كانت المناعة العقليّة والنفسيّة للعقليّة الناقدة في رفضِ نظرية ماركس، والتي تجعل من الإنسان (تبعًا للمادة التي هي

---

[1] يُنظر: البياتي، "دور القرآن الكريم في البناء النفسي للمسلم"، **مجلة الآداب**، ملحق، ص٥٤١.

[2] يُنظر: **المرجع السابق**، ص٥٤٠.

منوطةٌ بتدبير الكون، فهي صاحبةُ القدرة والتأثير)[1]، فبالرغم من تفنيد القرآن الكريم لهذه النظريّة بجميع مفاصلها، إلّا أنّ التطرقَ لهذه النظريّة من زاوية أثر الآيات السابقة في تكوين العقليّة الناقدة "لنظرية ماركس التي أصرّتْ على إلغاء دور الإنسان في هذه المعمورة، وجعله شيئًا صغيرًا في الآلة القادرة المتحكّمة به وفي مصيره، وهو بذلك للعوامل المادية وللحدث التاريخي، وهذا قلب للموازين الحقائق وتنكيس لدور الإنسان الفعال الذي حباه الله التي بصفات والتي هي غيض من فيض حيث وهبه القدرة والقوة والحكمة والعلم، وسخر له الكون ... بل جعله خليفة في أرضه"[2].

فالقرآنُ الكريم بحقائق الاستخلاف والتشريف أحاط العقليّة الناقدة بسورٍ مناعيٍّ لا تقبل معه أن تكون هي الثانويةَ في معولِ التغير والاستخلاف في الأرض، ولا أن تُستعبد بالنظريّات المادّيّة، ولا ترضخ إلّا للحقائق الإلهيّة.

وبالتالي تشيرُ القصة الأولى في ترتيب المصحف الكريم إلى أنّ هناك مسلماتٍ لا بُدَّ للنفس المؤمنة أن توقن بها، وحقائقَ كبرى لا بُدَّ أن تعيش في ظلّها، وهي تتلو كتاب الله، تستطيع مع هذه المسلمات اليقينية والحقائق الكبرى أن تسيرَ في مهمّة الاستخلاف على هدى وبصيرة.

---

[1] يُنظر: القادري، "منهج معرفة الإنسان في القرآن"، **نادي المدينة الأدبي الثقافي**، مج٢٨، ع٥٥، ع٥٦، ص٢٨-٢٧.

[2] القادري: "منهج معرفة الإنسان في القرآن"، **نادي المدينة الأدبي الثقافي**، مج٢٨، ع٥٥، ع٥٦، ص٢٨.

المطلب الثاني: أنواع النفس وحالاتها.

لا بُدَّ من الحديث عن أنواع النفس التي وردت في القرآن لنرى أيَّ منزلةٍ من هذه النفوس تسكنُ فيها العقليّةُ الناقدةُ، وهل هي ثابتةٌ، أم أنّها قد تتنقل في المنازل: صعودًا وهبوطًا، وطرقُ تزكيتها، والتوازنُ النفسي في المشاعر، والعواطفُ التي أوجدها القرآن الكريم لهذه الشخصيّة لتعيش حالةً من الاستقرار والثبات.

أولًا: أنواع النفس.

تصنف النفس إلى ثلاث مراتب:

١- النفسُ اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على فعل الشر، وعند فوات الخير.

٢- النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تأمر صاحبها بالسوء.

٣- النفس المطمئنة، وهي التي تأمر صاحبها بالخير.

١- النفس اللوامة:

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة: ١-٢]، والنفسُ اللومةُ: هي الدرجة الوسطى بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، وقد اختُلِفَ فيها:

فقالت طائفة: هي التي النفس التي لا تثبت على حالة واحدة، فهي كثيرةُ التلون، فساعةً تجدها تذكر، وساعةً تغفل، وساعةً تنيب، وساعةً تجفو، وتراها تحبُّ وتراها تكره، وفي مواضع تطيعُ وفي أخرى تفجر[١]. وقالت طائفة أخرى: هي نفس المؤمن توقعُه في الذنب ثمّ تلومه، وهذا

---

[١] يُنظر: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د.ت)، ص٢٢٥.

من الإيمان. وقالت فرقةٌ أخرى: بل هذا لومٌ يوم القيامة، فالنفسُ المسيئة تلوم نفسها على إساءتها، والمحسنة تلوم نفسها على تقصيرها. ثمّ يعلق ابن قيم الجوزية أنّه لا خلاف بين الأقوال، وأنّ أشرف النفوس من لامت نفسها في مرضاة الله[١].

والنفسُ اللوامةُ هي المحور الحقيقيّ للتطور والارتقاء، كما أنّها المحور الحقيقيّ لثبات المؤمن ومحافظته على القيم العليا، وهي السبيلُ لاستقامة البشريّة على الصراط المستقيم[٢]، وهي النفس التقيّة المتوجّسة الخائفة، المحاسِبة لنفسها، المتيقّظة لحقيقة هواها، حذرةً من خداع نفسها[٣]، تقوم بعمليّة المراجعة والتقويم، والقرآنُ الكريمُ أَقْسَمَ بالنفس اللوامة تعظيمًا لشأنها، فهي لا تفتأ من نقدِ ذاتها، مهما بلغت من الطاعات، والجمعُ بين النفس اللوامة وبين يوم القيامة، إشارةٌ لإيمانها بيوم الدين، وخوفها من أهواله، وانفعالُ النفس اللوامة يتولّد أكثر ما يتولّد من حرارة الإيمان الذي يزن ويتّزن بمعايير الدين[٤]، ومن رحمة الله تعالى، ضمانُه لأُمّة محمد صلى الله عليه وسلم أن تكون فيهم النفسُ اللوامةُ التي تحافظُ على المجتمع، أمّارةً بالمعروف ناهيةً عن المنكر، فالمناعةُ موجودة في النفس أولًا، ثمّ في المجتمع ثانيًا[٥]، فهي صمام الأمان للنفس والمجتمعات من الهلاك والانحراف، وبكثرة ما يكون للنفس من النقد والمحاسبة تكون درجة الترقّي للوصول إلى النفس المطمئنة.

والتكاملُ في الجانب الروحي بالنفس اللوامة والجانب العقلي بالقدرة على النقد، تتكون

---

(١) يُنظر: ابن قيم الجوزية، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) يُنظر: إبراهيم: محمد قطب، **ركائز الإيمان**، تحقيق وتخريج: علي بن نايف الشحود، (د.م، د.ن، ط١، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م)، ص١٥٦.

(٣) يُنظر: سيد قطب، **في ظلال الفرآن**، ج٢٩، ص٣٠٧.

(٤) يُنظر: عبده، "نفحات قرآن، (وما أبرى نفسي)"، **مجلة التوحيد**، مج٥، ع٩، ص٨٣.

(٥) يُنظر: الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، ج١٧، ص١٠٣٧٩-١٠٣٨٠.

الشخصيّة المسلمة الناقدة، ولا يمكن للعقل أن ينتقد إذا لم يكن الجانب الروحي والنفسي على درجة عالية من الإيمان: يردّه عن المعاصي والذنوب، ويحثّه على الخير، راجيًا ثواب الله خائفًا من عذابه، وهذا الفرق بين المؤمن والكافر، فالكافرُ قد يملك العقل الناقد لكنه لا يملك النفس اللوامة، المرتبطة بيوم القيامة (البعث)، التي لا يؤمن بها، فنقده ومراجعته مرتبطان بمفاهيم أخرى، مثل المصالح المشتركة وغيرها، لذلك فغير المؤمن قد يتخلّى عن ممارسة النقد والمحاسبة عندما لا يوجد ما يلزمه بذلك من مصلحة أو رقابة مجتمع أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، فهو غيرُ معلّق بهدف أخروي، يجعل مفهومَ النقد والمحاسبة مرتبطًا بالجزاء من ثواب وعقاب في الآخرة.

٢- النفس الأمّارة بالسوء:

وهي النفس المذمومة، التي تأمر صاحبها بالسوء، إلّا من وفّقه الله وأعانه في التخلّص من شرور نفسه، كما قالت امرأة العزيز، عندما حكى الله عنها[١]: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، والقرآن لم يذكر النفس الأمّارة بالسوء والنفس اللوامة إلّا مرةً واحدةً، وذكر الشيطان كثيرًا بصور مختلفة، وذلك ليحذّر الإنسان منه، والشيطانُ ينتهز فرصة ضعف الإنسان ليهجم عليه بالأمراض التي تعتبر من النقائص للنفس والمعيبة لها: كالظلم والبطر والطيش والشك والريبة والجهل والكذب والبغي والتمرد والعناد وتجاوز الحدود وغيرها، ومن خلال هذه النقائص يدخل الشيطانُ على النفس فيدمّرها، ولا سبيل إلى طرده إلّا بالرجوع لله عن طريق مجاهدة النفس[٢].

وقد اختبر الله تعالى الإنسان بهاتين النفسين: الأمّارة واللوامة، فهي تأمره بالسوء، ثم

---

[١] يُنظر: ابن قيم الجوزية، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، ص٢٢٦.

[٢] ينظر سابق: سيد، **العقائد الإسلامية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ص١٤٥.

تلومه، ثمّ يكرمه الله بالنفس المطمئنة.

٣- النفس المطمئنة:

قال تعالى في وصف هذه النفس العليا: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر: ٢٧-٣٠].

فالنفس المطمئنة هي أرقى درجات الرفعة والشرف التي تنالها النفسُ، فهي غايةُ كمالها وصلاحها، ولم تذكر النفس بهذه الصفة في القرآن الكريم إلّا في هذه الآية، والنفسُ المطمئنة هي تفاعلٌ إيجابيٌّ، فالروحُ التي أرد الله لها أن تكونَ صافيةً نقيّة مؤمنةً تتفاعلُ مع العقل الذي آمن بالله من خلال دلائل الوحي والوجود، ومن أهمّ صفاتها صدقُها مع الله ومع نفسها والبشر، متجردةً من المعاصي والأمراض النفسية البغيضة التي تؤدّي إلى هلاك النفس، متسلّحة بالإيمان بالله[1]، ولن يصل الإنسان للنفس المطمئنة إلّا إذا مرّ بمرحلة النفس اللوامة، حيثُ المجاهدة الحقيقية للنفس، التي تنتجُ عنها ولادةُ شخصية المؤمن (ذي العقليّة الناقدة)، حيثُ التناغم الحميم بين الروح والجسد، والذي يظهرُ فيه الإعجازُ القرآنيّ في صناعة هذه الشخصية، فالعقلُ قد يخطىءُ في تقديراته، والنفسُ قد تتخلّى في لحظاتِ الضعف البشري عن أخلاقها أو قيمها، لكن تكاملُ العقل والنفس يجعلُ كلًّا منهما منبّهًا للآخر، يدقّ في ساعات الخطر، يرسل إليه التحذيرات والإنذارات للرجوع والوقوف على الخطأ والمراجعة.

ثانيًا: تزكية النفس:

إنّ طريق البداية في بناء الشخصيّة المنوطة بالاستخلاف، والتي هي من أهمّ مميزاتها

---

[1] يُنظر: رحمة: "المنهج الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية"، **المركز الإسلامي الإفريقي**، ع٢٨، ص٢٠.

أن تكون صاحبة عقليّة ناقدة، هو التزكية، حيث تتابع فيه عمليّات التخلية والتحلية، فطريق التكوين والبناء للعقل الناقد لا بُدَّ أن يعرّج على أسرار النفس ومكنونتها، والنفس البشرية لا تستطيع أن تصلَ لنتيجة التغير الإيجابي بسبب المحاسبة والنقد، ما لم تتحلّى بالتزكية التي قرّرها القرآن الكريم.

وأشيرُ أنّ القرآنَ الكريمَ عندما أمرَ بالتزكية جعل القرار في يد الإنسان (دون الخوض في قضية المشيئة لله تعالى؛ لأنّ هذا سيخرجنا عن حدود البحث)، فله الخيرةُ أن يستقيم فيأخذ بها فيكون له الفلاح، أو يعرض عنها فتكون عاقبة أمره خُسرًا، كما جاء سورة الشمس والتي فيها الآيات التي ستكون محور الحديث عن التزكية، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠].

معاني التزكية:

من معاني التزكية اللغوية: الطهر والنماء والإصلاح[1]،

ونستطيع أن نتلمس هذه المعاني اللغوية في الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، وقوله تعالى في سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٩-١٠].

ولو نظرنا إلى المعاني اللغويّة للتزكية لوجدنا فيها جانبًا من البناء النقدي، فالتزكية تبدأ

---

[1] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٣٥٨.

بالتخلية، والتخلية تأتي بمحاسبة النفس ونقدها والوقوف على الخطأ، معرفةً وإقرارًا، ثمّ يأتي العامل الآخر في عملية النقد بتصحيح الأخطاء، والرجوع عنها (التقييم)، ثمّ معاودة خوض الحياة وقد تولّدت له الحصانة النفسيّة والعقليّة من الوقوع في الأخطاء التي قد مرّ بها.

كما يرى سعيد حوى أنّ الفطرةَ البشريّة قابلةٌ لأنْ تخالطَ النجاسات المعنويّة كالشرك، وتقعَ في الشهوات المحرمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة: ٢٨]، وتتخلق بأنواع من الأخلاق الفاسدة التي تصل إلى درجة إلى الأنعام، كما وصفها القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [سورة الفرقان: ٤٤]، كما أنّ النفس لديها قابليّة لأنْ تنازعَ الربوبيّة مقامات العظمة والكبر، وقد يغشى النفسَ ظلماتُ الجهل، فلا ترى الحقائق كما هي، لذلك كانت التزكية القرآنيّة لتتخلص النفسُ من نجاسات الشرك ومن شهواتها المنحرفة ومن منازعتها للربوبية، ومن كل مظاهر الظلمات[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة عبس: ٣-٤]، فتقدّمت التزكية على التذكر، لتقدم التخلية على التحلية، من باب التخلية عن الآثام، ثمّ التحلية بالطاعات[2].

ومن وسائل التزكية الربانية:

١- فعل المأمورات والطاعات:

ومن أعظم الوسائل في تزكية النفس الصلاة؛ بل هي ميزانٌ على تزكية النفس في الوقت ذاته، ويمكن القول إنّها الغاية والوسيلة في آنٍ واحدٍ، ولها الدورُ الأعظم في تعزيز معاني

---

[1] يُنظر: حوى: سعيد، **المستخلص في تزكية الأنفس**، (مصر: دار السلام، ط١١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص٢٨.

[2] يُنظر: الهرري الشافعي: محمد الأمين بن عبد الله العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٣١، ص١٤٩.

العبوديّة والتوحيد. وبمظاهر إقامة الصلاة ظاهرًا وباطنًا، ترتقي النفس في درجات العبودية، ويقطع دوابر كلّ منكر وفحش قد تقع فيه النفس[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، وقال أيضًا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢].

وباقي العبادات كالزكاة التي تطهر النفس من الشح والبخل، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [سورة الليل: ١٨].

والصومُ لما فيه من تعويد النفس على ضبط الشهوات فهو وسيلةٌ من وسائل التزكية، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

والحجّ الذي يروّض النفس على الترفع عن الجدال والرفث والفسوق، قال سبحانه في ذلك: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧].

وتلاوة القرآن الذي يهذب النفس ويزيد من رصيدها الإيماني، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وغيرها من العبادات[2].

٢- المراقبة والمحاسبة:

يقول سعيد حوى (ت١٩٨٩م): "والمحاسبة اليوميّة للنفس، ومراقبة الله فيها تجعل الفيئة سريعةً والترقي متزايدًا متجدّدًا، لذلك كانت المحاسبة من وسائل التزكية"[3]، يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [سورة الحشر: ١٨]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ

---

[1] يُنظر: حوى، **المستخلص في تزكية الأنفس**، ص٣٣.

[2] ينُظر: **المرجع السابق**، ص٢٩-٣٠.

[3] **المرجع السابق**، ص٣٠.

كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نلاحظ الصّلة بين قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾ [سورة المائدة: ٣٥]، فالفلاحُ المذكورُ في آية آل عمران والمائدة مرتبطٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقوى والعمل الصالح والجهاد، ممّا يدل على أنّ الفلاح المتعلّق بتزكية النفس ينطوي تحته هذا كلّه[١]، لذلك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وسائل التزكية المهمّة في بناء النفسي للعقليّة الناقدة، وكان هذا الغذاء الروحي جزءًا مهمًّا تحدث عنه القرآن الكريم بصور مختلفة، يستطيع فيها المقبلُ على القرآن الكريم التقاطَ هذه المعاني لهذه الشعيرة؛ كما حدث في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون﴾ [سورة المائدة: ٧٨-٧٩]، وفي حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله: «أنّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنّه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنّه لا يحلّ لك، ثمّ يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه»[٢].

---

[١] حوى، **المستخلص في تزكية الأنفس**، ص١٣٣.

[٢] **تقدّم تخريجه**، ص٣٦.

ذم القرآن الكريم تزكية النفس:

ذم القرآن الكريم تزكية النفس ودعا إلى التخلي عن هذا الصفة، قال تعالى﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[النجم: ٣٢].

كما جاء في الكتاب العزيز صورٌ لذم التزكية الكاذبة، ومن أشهر مَنِ اتّخذوا من التزكية وصفًا لهم اليهود والنصارى، وقد أنكرها الله عليهم، قال تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة: ١٨][1]، وكان نقد القرآن لهذه التزكية: بأنّهم أبناء الله وأحباؤه؛ بالسؤال: لِمَ يتمُّ تعذيبكم بفعل ذنوبكم، بل أنتم بشر كغيركم، فكان النقد لهم بتوضيح حقيقتهم البشرية كغيرهم من البشر، وقال فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[النساء: ٤٩]،

ثالثًا: التوازن في النفس:

من عجائب التكوين النفسي التي أودعها الله في النفس البشرية؛ الخطوطُ النفسيّةُ المتوازية، فكلُّ نفس بشرية تمتلك خطّين متجاورين إلّا أنّهما في ذات الوقت مختلفان في الاتجاه، فمشاعرُ الخوف والرجاء خطّان متجاوران؛ إلّا أنّهما مختلفين في الاتجاه، وكذلك الحبّ والكره، السلبية والإيجابية ... الخ، وكلُّ هذه الخطوط النفسيّة المتوازية، خلقها الله لتؤدّي وظيفتها في ربط الإنسان بالكون والحياة، ومن معجزات القرآن الكريم في مسايرته للفطرة، أنّه لم يترك وترًا من الأوتار النفسيّة إلّا بيَّنها وتوغّل في أعماقها، مستخرجًا أسرارها وأدقّ تفاصيلها، فلم يحملها أكثرَ من طاقتها في النفس، أو يبخس من قدرها، وبذلك تصل النفس إلى حالة الاتّزان؛ فتتعاضد مع الوحي والكون للوصول بالمؤمن إلى حالة من الثبات والارتقاء، يستطيع به بناءَ عقليّةٍ قادرة

---

[1] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، ج٢، ص٦٦.

على تبصر الحقَّ فتسير في ركبه، وتبصر الباطل فترتدَّ عنه، وسنتعرض لنماذج من هذه الخطوط المتقابلة كما جاءت في كتاب الله، وكيف عالجها[1].

الخوف والرجاء:

من الخطوط الحسّاسة والدقيقة التي تناولها القرآن الكريم بصورةٍ متكاملةٍ، فالإنسانُ رُكّب في فطرته أنّه يخاف الموت، ويخاف الفقر، يخاف الألمَ الحسيَّ والمعنوي، يخاف المعلومَ ويخاف المجهول ...، في المقابل يرجو الأمن والاستقرار، ويرجو الجاه والغنى، يرجو التوفيق والسعادة، ويرجو آمالًا لا تُعدُّ ولا تنقضي، وهذا التشابك والتداخل للخوف والرجاء في النفس البشرية، لهما أعظمُ الأثر في تحديد المنهجيّة التي يتّخذها الإنسان في حياته[2].

والقرآن الكريم يعمدُ إلى الخوف والرجاء فيهدمُ كلَّ خوف فاسد ورجاء منحرف، ثمّ يقرر المنهجَ السليمَ الذي تسلكه النفس السويّة في الخوف والرجاء، ينفض من الخوف معانيه الزائفة والتي ترهق النفس وتنحرف بها عن مسارها، فينفض عن النفس المؤمنة الخوف من الموت، إذْ إنّ الخوف من الموت لن يغيّر المكتوب ولن يؤخّر الآجل، وما دام لن يغير هذا الخوف من الواقع شيئًا فلا داعي له لأنّه تبديدٌ للطاقة وتدميرٌ للكيان والنفس، لذلك يكرر القرآن الكريم هذه الحقيقة، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِير﴾ [سورة ق: ٤٣]، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾ [سورة المنافقون: ١١]، ويبين الله تعالى في كتابه أنّ الموت سنّةٌ ربانية لا مفرَّ منها، فيتعايش الإنسان مع هذه الحقيقة بنفس مطمئنةٍ، بعيدةٍ عن وسوسة الموت والخوف منه، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى

---

[1] يُنظر: محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص١٢٦-١٢٧.

[2] يُنظر: **المرجع السابق**، ج١، ص١٢٨.

يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٨٧]، أو الخوف على الرزق، فتأتي الآياتُ تقوّي من إيمان العبد وترسّخ اليقين لديه بأنّ الرزق بيد الله، فتستريح النفس فلا تجزع لفقرٍ ولا تخاف من شُحٍّ، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٢٤]، ﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ [سورة العنكبوت: ٦٠]، وكذلك المخاوف التي قد يتعرض لها الإنسان من أذًى يقع عليه أو على شأن يهمّه، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين (٦٣) قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُون﴾ [سورة الأنعام: ٦٣-٦٤].

وهكذا، فالقرآنُ الكريمُ يتعاملُ مع كلّ المخاوف الزائفة والتي تمرّ على الإنسان فيخرج زيفها، ويحرّرُ النفس من قيود هذه المخاوف لتنطلقَ هذه النفسُ المؤمنةَ تواجِهُ الحياةَ بتمكّنٍ واطمئنان لقضاء الله وأقداره[1].

وكذاك كان الرجاء في القرآن الكريم يحوّل الآمالَ الكاذبةَ والقيمَ الزائفةَ إلى قيمٍ حقيقيّة، فيدعو إلى التمتع بالحياة الدنيا من غير رهبنة، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾ [سورة الأعراف: ٣٢].

وفي نفس الوقت رفضَ الغلوَّ في الشهوات التي قد تنحرف بالنفس عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ

---

[1] يُنظر: محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، ج١، ص١٢٨-١٣١.

بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤-١٥].

كذلك يوجّه القرآن القلب البشري إلى وجود نعيم الآخرة الذي هو أشدّ تأثيرًا على النفس، ونرى هذه التباشير المحببة إلى القلب في قوله سبحانه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)وَحُور عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الواقعة: ١٥-٢٤]، لتصل الآيات إلى ذروة الرجاء في قوله تعالى ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر: ٢٧-٣٠]، أنها الطمأنينة الخالصة التي تعيشها النفس في رحاب الرجاء، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦].

وهكذا القرآنُ الكريمُ في صناعة النفس فهو يربطُ بين هذين الوترين كما يطلق عليه العلماء الترغيب والترهيب، ويكرّر هذا الربط تكررًا حتى تتلازم في النفس البشرية، حتى تصل النفس إلى التهذيب الذي تحبّ فيه الخير وتكره الشرّ مخافةً من الله مطمئنة إلى حماية وحفظه لها[1].

---

[1] يُنظر: محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، ج١، ص١٣٥-١٣٧-١٣٨-١٤٠.

المطلب الثالث: مركزيات البناء النفسي للعقلية الناقدة.

في طريق البناء النفسي للمؤمن ذي العقليّة الناقدة، يظهر أنّ هناك مركزياتٍ لها الدورُ الأساسُ في عمليّة البناء النفسي، لا بُدَّ منها، فهي المصنع الحقيقي لتمكين النفس وتأهيلها من القيام بدورها في صناعة شخصيّة العقليّة الناقدة، وهي: القدوات، القيم، الأمن النفسي.

أولًا: القدوات:

خلق الله عز وجل الإنسانَ، وفيه نقصٌ لا يمكن ملؤُه إلّا بالقرآن، وخلق النفس البشرية ويعلم أنّه لا بُدَّ لها من نموذجٍ تسير على هديه، ومرشدٍ يسوقها إلى طريق النور، يريها منافذ الحق إن احتارت، ويُسكن ألمها إذ انجرحت، وينير عتمتها إذ زاغت، فجاء القرآن ليسد النقص والحاجة الفطرية في النفس البشرية، وجعل في قرآنه هدايات تسمّى القدوات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، كما قرر الله تعالى منهجَ الاقتداء بين الناس سنّةً متوارثةً، ينقلها جيلٌ إلى جيل، فقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

من العوامل التي تبني العقليّة الناقدة وجودُ القدوات الصالحة[1]، ومن أعظم القدوات للبناء النفسي للشخصية ذات العقليّة الناقدة الإسلاميّة، هم الأنبياءُ عليهم أفضل الصلوات

---

[1] ينظر: شرقي: أعمر نادية امال، **التفكير الناقد وأهميته للعملية الإبداعيّة**، https://ila.io/f9NS، تاريخ آخر تحديث: ٢٠١٨/٠٥/١٩م.

والتسليم،، وفي قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم نجدُ تأسيس النقد الحقيقي[1]، بل إنّني أجزم أنّ خلال دراسة قصص الأنبياء والبحث في أسرارها سنخرج بتأسيس منهجيّة للنقد تُربّى عليها الأجيال، وتُنار بها عقولُهم وأرواحُهم، وتُضبط قضيّة النقد (منهج، وسائل، أهداف) التي تدار في أوساط المجتمع المسلم بالمعايير الإسلامية بدلًا من المعايير الغربية التي تصطدم مع حقائق الإيمان والقرآن، كما أنّ تغطيةَ القرآن الكريم للجانب الروحي من الإنسان والغور في أعماق النفس البشرية ليس له ندٌّ ولا شبيهٌ، خاصّةً في القدوات، وهذا ما يمكن ملامسته في جانب التكوين النفسي للعقل الناقد، ومنها:

١- موقف الرسول مع ابن أمّ مكتوم:

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [سورة عبس: ١-١٠]، لقد كان الخطاب القرآني واضحًا، في توجيه النقد للرسول ﷺ، وهو سيد الخلق وأفضل الرسل، كما أنّ المراعاة النفسية لابن أم مكتوم حاضرةٌ بشدّة في هذا الموقف، حيث وقف القرآن الكريم مع ابن أم مكتوم الذي جاء طالبًا التفقّه في دينه، وعاتب نبيه (النقد قد يكون بصورة عتب) على التفاته عنه، والتوجه بوجهه نحو "صناديد قريش: عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبي جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأميّة بن خلف، والوليد بن المغيرة"[2].

وفي رأيي تمثل هذه القصّة مفصلًا حقيقيًّا في التكوين النفسي للعقليّة الناقدة؛ لما فيها من

---

[1] بشور، "التنشئة على مهارات البحث والتفكير النقدي"، **المجلة العربية للثقافة**، مج٢٦، ع٥١، ص١١٦.

[2] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣١، ص٥٢.

مفاهيمَ وعبرٍ تلامس الروح، ومنها:

أ- الأهمّ مقدّمٌ على المهمّ، فالتزكية التي أرادها ابن أم مكتوم المؤمن مقدَّمةٌ على محاولة عرض الدعوة على غير المؤمن[1]، وهنا نجد أنّ الجانب النفسيَّ غُلِّب على الجانب العقلي المجرد، وأصبحت النفس بما تحتوي من عواطف وقيم إيمانيّة هي صاحبة التوجيه في الخطاب القرآني في هذا الموقف.

ب- المراعاةُ الإنسانيّة والأخلاقيّة لأصحاب الضعف الجسدي، وتقديمهم على غيرهم من الأصحاء، وقد كانت هناك إشارتٌ قيّمةٌ لبعض المفسرين في هذا الشأن، يقول الرازي في سبب ذكر القرآن الكريم لفظ الأعمى: "أنّ ذكرَه بلفظ (الأعمى) ليس لتحقير شأنه، بل كأنّه قيل: إنّه بسبب عماه استحقَّ مزيدَ الرفق والرأفة"[2].

ج- إخراج الفرد من ضغط العُرف الاجتماعي، والذي قد يكون له تأثيرٌ خفيٌّ على النفس وبطريقة غير مباشرة[3]، كضغط النفوذ والمناصب والسلطان والجاه والغنى الذي له تأثيرٌ بالغٌ على النفس من رهبةٍ ورغبةٍ وإن كان خفيًّا، لذلك جاء القرآن بأعلى القدوات مكانه، ليكون نبراسًا تقتدي به الأمّة إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها.

د- يقول ابن عاشور: "وأن ليس الإصلاح بسلوك طريقة واحدة للتدبير؛ بأخذ قواعد كليّة منضبطة تشبه قواعد العلوم، يطبّقها في الحوادث ويُغضي عمّا يعارضها، بأن يُسرع إلى ترجيح القوي على الضعيف ممّا فيه صفة الصلاح، بل شأن مقوّم الأخلاق أن يكون بمثابة الطبيب بالنسبة إلى الطبائع والأمزجة، فلا يجعل لجميع الأمزجة علاجًا واحدًا؛ بل الأمر يختلف

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣١، ص٥٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١١٠.

[2] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣١، ص٥٣.

[3] فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج٢٤، ص٦٥.

باختلاف الناس"[1].

لقد ذكر ابن عاشور قواعد مهمّة في تعليقه على قصة ابن مكتوم، أجد أنّ العقل الناقد لا بُدَّ أن يتحلّى بها، فالاستقراءُ للمواقف وعدمُ إهماله لذلك، وفقهُ تقديم الأولويات، وأنّ الأسلوب في الإصلاح والعلاج ليس له طرق معينة، بل العلاج يختلف باختلاف الطباع والأمزجة البشرية.

٢- دعوة موسى عليه السلام:

في قصة سيدنا موسى عليه السلام ودعوته لأعصى الطغاة؛ نرى أنّ الآيات تصور بدقة متناهية المشاعرَ النفسيّة التي دارت في صدر موسى عندما أمره الله بتبليغ الدعوة لفرعون، يقول الله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى (٤٥) قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٥-٤٦]، والألفاظُ القرآنية: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾ [سورة طه: ٤٥] تصوّرُ بدقةٍ ما يعترى القلب من قلقٍ وخوفٍ من آثارِ المواجهة والخوفِ، وأنّ ما كان من المشاعر النفسيّة الفطريّة "مركوز في جبلة الإنسان، حتى أنه لو بلغ مرتبة النبوة والرسالة"،[2]، إلّا أنّه نابعٌ من استقراء الماضي، والتطلع للحاضر، والتوقّع للمستقبل[3]، وهذه من مقوّمات المفكر الناقد[4]، لتأتي الاستجابة الإلهيّة، ويظهر التطبيب القرآني لمشاعر الضعف بقوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٦]، فكانت هذه الآيات وعدًا بالمعيّة الإلهيّة "بالحراسة والحفظ"[5]، ومصدرًا "للطمأنينة"[1] الراسخة، وزرعًا للثّقة

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١٠٩.

[2] الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج١٧، ص١١٣.

[3] يُنظر: المحنك، المضامين النفسية في القرآن الكريم (سورة طه) أنموذجًا، **المؤتمر العالمي الثالث (القرآن وقضايا العصر)**، ص٦٠.

[4] يُنظر: الأصفر، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، ع١١، ص٢٠٧.

[5] فخر الدين الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٢، ص٥٤.

بالنفس، ورباطة الجأش[٢] لكلّ من تصدّر للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وترجع أهمّيّة القدوات وسببُ جعلها من مركزيّات التكوين النفسي للعقلية الناقدة ما يلي:

أ- القدوةُ لها أثرٌ كبيرٌ في تحمل المشاق والصعاب التي قد تصاب بها النفس، فمن مقاصد القرآن في ذكر قصص الأنبياء تثبيتُ قلب النبي وأصحابه من ورائه[٣]، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين﴾ [سورة هود: ١٢٠]، "فإنّ النفوس تأنسُ بالاقتداء، وتَنْشطُ على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيّد الحقّ بذكر شواهده، وكثرة من قام به"[٤]، وهذا ما يحتاجه العقل الناقد حسيًّا ومعنويًّا في مسيرة الإصلاح الذاتي والمجتمعي.

ب- التطبيق العملي والتنظيري، (كما في القصص القرآني الذي يعتبر من العوامل المؤثرة على النفس البشرية، وتظهر فيها معالمُ التطبيق عمليًّا)[٥]، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ﴾ [سورة يوسف: ٣]، فالقرآن الكريم يصوّر المشاعر الإنسانيّة التي قد تعتري المؤمن أثناء القيام بعملية النقد، وما قد يتعرّض له من ضغوطات نفسيّة مختلفة، وكيف كان العلاجُ النفسيُّ القرآني، كما صوّر القرآنُ الكريمُ مشاعرَ سيدنا يونس: ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم﴾ [سورة القلم: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

---

[١] الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، ج١٥، ص٩٢٨٠.

[٢] المحنك، المضامين النفسية في القرآن الكريم (سورة طه) أنموذجًا، **المؤتمر العالمي الثالث (القرآن وقضايا العصر)**، ص٦١.

[٣] يُنظر: الماجد، "القدوة الحسنة في ضوء لقرآن الكريم"، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، ع٨، ص١٢٦.

[٤] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٩٢.

[٥] يُنظر: الراشد: صناعة القدوات بالتربية بالقرآن ودورها في إصلاح المجتمع، **بحوث ملتقى التربية بالقرآن**، مج٤، ص١٩٤.

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨]، وقدّم له السبيل للخروج من الآلام النفسيّة التي يضيق بها صدره، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم (٤٨) لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُوم (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين﴾ [سورة القلم: ٤٨-٥٠].

ومن جانب آخر أظهر القرآن الكريم مشاعرَ المذنب بعدما نقده القرآن الكريم والمجتمع المسلم على ذنبه، وكيف رسمت الآيات مشاعر الضيق التي تعصف بقلب المؤمن من آثر هذا الذنب والمواجهة المجتمعية له، حتى غدت الأرض تضيق بقلبه الحزين، كما قرّر القرآن الكريم أنّ الرجوع الى الله في هذه الحالات هي العلاجُ الحقيقي لألم النفس، وبلسمُ الشفاء ليصل إلى النتيجة المرجوة من هذه العملية، وهي قبول الله تعالى التوبة بعد صدق الإنابة والعزم على تصحيح المسار، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾ [سورة التوبة: ١١٨].

ج- وجودُ القدوات القرآنيّة يمنحُ يقينًا قلبيًّا أنّ الموقف الذي في دائرة القدوة - في أغلب المواقف - هو أمرٌ في دائرة القدرة البشرية، وأنّه ليس أمرًا غيرَ قابل للتطبيق أو في دائرة المستحيلات[1].

د- هناك ميل شديد في فطرة الإنسان للتقليد والمحاكاة، ممّا يسهل عليه تعلم الأعمال

---

[1] يُنظر: حبنكة: عبد الرحمن حسن الميداني، **الحضارة الإسلامية**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٨٤.

الراقية التي لم تصل إلى معرفتها الأجيال السابقة إلّا بعد تطوير كبير[١].

وفي المقابل ذكر القرآن الكريم مثالًا للقدوات السيئة؛ محذّرًا من سلك طريقهم[٢]، والاعتبار من منهجيّة الانحراف التي اتبعوها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ [سورة الجمعة: ٥]، كفرعون، وقارون، وغيرهم في القرآن كثير.

ثانيًا: القيم:

عند الحديث عن النقد بمنظورٍ إسلاميٍّ وبالأخصّ القرآني؛ لا بُدَّ أن يكون الأساسُ لهذا النقد قائمًا على القيم الإسلامية، واعتباره قيمة جوهريّة لها دورٌ مركزيٌّ في إعادة بعث روح الأمّة، واستنفار طاقتها الأخلاقيّة والعلميّة، وتبصير الأمّة والعالم بقيمة القيم العظمى التي يمتلكها الإسلام، وليس خافيًا على من يفهم الإسلام ومقاصده أنّ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يمثّل أساس المسؤوليّة الاجتماعية في الإسلام، ما هو إلّا عمليّة نقديّة تقع على عاتق كلّ مسلم بمبلغ علمه وقدرته وحدود مسؤوليته[٣].

١- التوحيد قاعدة قيم النقد القرآنية:

لا يمكن أنْ أتجاوز قاعدة التوحيد، باعتباره قيمة في البناء المعرفي، فالحديثُ عن القيم لا يتمّ إلا من خلال بوابة التوحيد، لأنّ التوحيد يعني بكلّ وضوح إسلام النفس التام لله تعالى،

---

(١) يُنظر: حبنكة، **الحضارة الإسلامية**، ص٨٤.

(٢) يُنظر: الراشد: صناعة القدوات بالتربية بالقرآن ودورها في إصلاح المجتمع، **بحوث ملتقى التربية بالقرآن**، مج٤، ص٢١٤.

(٣) يُنظر: عبد العال، "قيم النقد في الثقافة الإسلامية"، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، مج٦، ع١٥، ج٦، ص٢١٥.

كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِين﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فالآية الكريمة تظهرُ التسليم المطلق لله، ثمّ الإقرار المطلق بحقيقة البعث، وأنّ الله هو المتفرد بالعبادة، ثمّ إنّ هذا التسليمَ التامَّ يورثُ القلبَ البصيرةَ بحقائق الإيمان، فتتشبّع النفس بحبّ الخير والجمال.

يرى الباحثون أنه إذا كان النقدُ يمثّل العمليّة الدافعة نحو الإتقان في العلم والعمل، فإنّ التوحيدَ روحُ هذه العملية وقوّتُها، فالتوحيدُ هو الذي يمنحُ الناقدَ اليقين العقليّ والنفسيّ بصحة معتقده، كما يشكل قاعدة القيم والتي على ضوئها تظهر له الحقائق، ويتمكّن من التمييز بين الحقّ والباطل والقبح والجمال، وهذا ما تتميّز به قيم النقد في الحضارة الإسلامية عن قيم النقد في باقي الحضارات الأخرى[1]، فالنقد في الحضارة الإسلامية هو تفاعلٌ بين الروح والعقل والوحي المتمثل هنا بالقيم، التي أعلى سنامها ومالكُ زمام أمورها التوحيدُ، وقد تمّ التطرقُ في الحديث عن التوحيد في مبحث البناء المعرفي للعقليّة الناقدة.

٢- أهمّيّة القيم في البناء النفسي للعقليّة الناقدة:

أ- هي صمّام الأمن في مرحلة النقد، من خلال مواجهة ضعف النفس في قبولها للمراجعة والمحاسبة.

ب- معيار للتمييز بين الخطأ والصواب الحقّ والباطل أثناء عمليّة النقد.

ج- تساعد في مرحلة التغير (ما بعد النقد) على اتّخاذ الاختيارات الصحيحة، وفق معايير القيم الإسلامية التي يؤمن بها الفرد والمجتمع المسلم.

---

[1] يُنظر: عبد العال، "قيم النقد في الثقافة الإسلامية"، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، مج٦، ع١٥، ج٦، ص٢٢٥-٢٢٦.

د- كما أنّها تمثل قوّةً دافعة للنفس والعقل للسير في عملية النقد والتغير، بما يستحضره الفرد من القيم النبيلة التي غرسها القرآن الكريم في ذاته: كاحتساب الأجر والثواب من الله، وإقامة العدل، والصبر، وغيرها.

هـ- تضبط للنفس سلوكها وانفعالاتها، فتضع نصب عينها أنّها مريدةٌ للحقّ، فلا تحزن على عدم التقبل للنقد، ولا تيأس من ممارسة الإصلاح، ولا تغضب من التهكم والسخرية، ولا تقدم هوى النفس في مواقف الحقّ.

و- الفارق الرئيس في التميز بين العقليّة الناقدة للمؤمن وبين العقل الناقد لغير المؤمن، فقيم النزاهة والأمانة والعدل والصبر وغيرها من القيم الأخلاقيّة مرتبطة مع المؤمن بقيم روحيّة عليّة: وهي المثوبة والأجر، الجزء والعقاب الإلهي، الخوف والخشية من الله، وهذه القيم يفتقر لها الناقد غير المؤمن الذي لا بُدَّ أن نجد عنده نقطة ضعف أو سقطة في احدى زوايا النقد.

ثالثًا: الأمن النفسي:

يُعرّف الأمن النفسي بأنّه الشعورُ بالطمأنينة والسكينة بعيدًا عن القلق أو الخوف، ويأتي هذا الشعورُ من اطمئنان المرء على ماله ونفسه وأسرته، وضمان حصوله على الحاجات والرغبات وعدم توقّعه الفقد أو الحرمان[١]، ويُعدُّ الأمنُ من الحاجات النفسيّة[٢] الأساسيّة التي يحتاجها الفرد في حياته، للنمو والنشأة بطريقة سويةٍ بعيدةٍ عن القلق والاضطراب النفسي، ونجده متمثّلًا في الشريعة[٣] في قول رسول الله صلي الله عليه وسلم: «من بات آمنًا في سربه، معافًى

---

[١] يُنظر: القريوتي، **الأمن النفسي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، ص٢٧.

[٢] الحاجات النفسية: هي حاجات غير عضوية ذات صبغة نفسية هدفها حماية الذات وتنمية قدراتها ومهاراتها وأثبات كفاءتها وقدراتها واستقلاليتها، القريوتي، **الأمن النفسي في القرآن الكريم**، ص٣٠.

[٣] يُنظر: **المرجع السابق**.

في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1]، كما أكّدها القرآن الكريم في كثير من المواضع، قال تعالى في تذكيره لقريش بنعمة عليهم: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف﴾ [سورة قريش: ٤].

كما جعلها من سنن الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾ [سورة البقرة: ١٥٥]، كما أنّها قد تنزع من المجتمع عندما يطغى على القوانين الإلهية: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ [سورة النحل: ١١٢].

وقد قدّم القرآن الكريم الأمنَ على الاطمئنان؛ لأنّ الطمأنينة لا تحصل بدون الأمن[2]، وأنكر الله على أهل مكّة خاصّةً والمشركين عامّةً تلبُّسَهم بالباطل وتركَهم لدين الله، وقد رزقهم بالأمن في مكة بينما ما حولها من الضواحي تعاني من النهب والسلب[3]، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُون﴾ [سورة العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

والأمن النفسي من أهمّ المتطلبات لبناء عقليّة ناقدة ذات شخصيّة متّزنة قادرةٍ على النقد وتطبيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لم يتوفّر الأمن فلنْ يؤتى ثمار البناء،

---

[1] رواه الترمذي في **السنن**، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، ج٤، ص٣٤٦، برقم: (٢٣٤٦)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

[2] يُنظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٣٠٥.

[3] يُنظر: **المرجع السابق**، ج٢١، ص٣٤.

فالشعورُ بالخوف والقلق على النفس عاملُ هدمٍ خطير على النضج الفكريّ والنفسي للعقليّة الناقدة، ويظهر ذلك في قصة أصحاب الأخدود؛ فعندما أُلقيَ المؤمنون في النار لم يستطع أحدٌ – بسبب انعدام الأمن – الإنكارَ أو نقدَ ما يحدث، وقد سجل القرآن الكريم موقفَهم البغيض، يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُود (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُود﴾ [سورة البروج: ٤-٧]، يقول السعدي في وصف ووقوفهم على تعذيب المؤمنين والبلادة التي حلّت بهم: "وهذا من أعظم ما يكون من التجبّر وقساوة القلب؛ لأنّهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إيّاهم عند إلقائهم فيها"[1]، لذلك جاء الخطاب القرآني لهؤلاء الذين وقفوا شهودًا على قتل وحرق المؤمنين، بأنّ عليهم التوبة من الاشتراك في الجرائم البشريّة؛ سواء بالشهود أو الصمت على أفعال الملك، وتعريض أنفسهم للنقد والمحاسبة على الإجرام في حقّ المؤمنين، وإنّ الجزاءَ الأخرويَّ (جهنم، والتعذيب بالحريق، بنفس الأداة التي عذبوا بها المؤمنين) هو النتيجة العادلة لهم، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق﴾ [سورة البروج: ١٠]، وما هذا الصمت؛ بل التجرؤ على شهود التحريق، إلا نتيجة حتميّة للخوف وانعدام الأمن الذي يقتل الضمير الحيَّ في الرفض، فكيف بالنقد.

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٩١٨.

أنواع الأمن الذي وعده الله:

١- في الدنيا:

الوعد بالاستخلاف والتمكين، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾ [سورة النور: ٥٥]، يعلق الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) على هذه الآية فيقول: "ذكر الله تعالى في هذه الآية أنّه وعدَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة ليستخلفنهم في الأرض؛ أي ليجعلنّهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة والآيات تدلُّ على أنّ طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة .... كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور﴾ [سورة الحج: ٤٠-٤١]"[(١)].

نرى أنّ الشنقيطي قد علّق وجوب الايمان والعمل الصالح لحصول الاستخلاف والتمكين، ومن أسباب التمكين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونصل إلى نتيجة يتبين فيها أنّ الآمرَ بالمعروف والناهي عن المنكر، المتّخذَ من النقد سبيلًا لإصلاح نفسه والمجتمع؛ وعدَه الله بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف الذي قد يمرّ به إلى أمنٍ واطمئنانٍ نفسي، قال تعالى:

[(١)] الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج٦، ص١٥٨.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

٢- في الآخرة:

استشعارُ أنّ الأمن ليس مقصورًا على الدنيا، بل هناك أمنٌ آخرُ أعظمُ مِنْ أمن الدنيا، أمنٌ خالدٌ لا ينقطع ولا يتغيّر، أمنُ الآخرة، والذي يعتبر جزءً من نعيم الجنة، يقول تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين﴾ [سورة الحجر: ٤٦]، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِين﴾ [سورة الدخان: ٥٥]، فهذه الآيات وغيرها عندما يُربَّى عليها المؤمن؛ فإنّها تبني في النفس قوّةً إيمانيّة تحفظُ له قلبَه وعقله من الاضطراب والانكسار أمام أيّة مخاوف قد تواجهه.

المطلب الرابع: بناء المناعة النفسية وتعزيزها.

في مرحلة البناء المعرفي والنفسي للعقليّة الناقدة، يحتاجُ المؤمن إلى ما يعزّز المناعة النفسية أثناء السير، ويعطيه القوّة والقدرة على المواجهة، ومن الأمور المعينة على اكتساب المناعة النفسية ما يلي:

١- الأمل:

عندما أمر الله تعالى بالمراجعة والمحاسبة والوقوف على الأخطاء، سواءٌ على المستوى الفردي أو المجتمعي، جعلَ المغفرة والأجر الكبير جزاءً لهم، قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾ [سورة البقرة: ١٦٠]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة طه: ٨٢]، ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ [سورة التوبة: ١٠٢].

٢- استحضار الأجر:

يقينًا الشخصيةُ ذات العقليّة الناقدة ستواجه عقباتٍ وتحدياتٍ أثناء سيرها الإصلاحي، وقد تتعرض لهجومٍ وتنكيلٍ وذلك على قدرِ حجم النقد الذي تمارسه أو الأخطاء التي تدعو إلى تصحيحها، والقرآن الكريم يقف داعمًا لأصحاب الإصلاح والتغير، يذكرهم بالغاية من هذا النقد، وأنّ الثواب والأجر على قدر المشقة والتعب، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين﴾ [سورة التوبة: ١٢٠]، ويقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [سورة النحل: ٩٧]، ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ

يَرْجُونَ﴾ [سورة النساء: ١٠٤].

٣- الإيمان بالقضاء والقدر:

من فوائد الإيمان بالقضاء والقدر أنّه يورث الرضا والسكينة في النفس، واليقين العميق بأن هناك عوضًا من الله، يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [سورة التغابن: ١١].

٤- الصبر:

من أهمّ السمات التي لا بُدّ للعقليّة الناقدة من التحلّي بها الصبر، فطريقُ تصحيح المسار وتغيرُ الدّفة ليس بالأمر السهل؛ لأنّ النفس قد يصعب عليها الاعترافُ بالخطأ، أو قد تضجر من التغير والرجوع خطوات إلى الخلف، هذا على سبيل تغير ونقد الذات، أمّا على مستوى المجتمعات؛ فإنّ الناقد يحتاج أيضًا للصبر لِما قد يتعرّض له من أذًى لنقده الأخطاء والمظاهر السلبية في المجتمع، لذلك كان القرآن الكريم حريصًا على تقوية المناعة الإيمانية من خلال ترسيخ مفهوم الصبر علمًا وتعلّمًا، وقد جاء ذلك في وصية لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾ [سورة لقمان: ١٧]، والآية تؤكد أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو طريق المحاسبة والمراجعة، فطريق النقادين المصلحين يحتاج إلى تحلٍّ بالصبر، ويرى ابنً عاشور في تفسير هذه الآية: أنّ وجه التعقيب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ القائمَ بهما قد يتعرّض لأذى الناس أو المعادة منهم، فإذا لم يصبر ويحمل ما قد يصيبه في سبيل هذه الشعيرة فإنّه معرّضٌ لتركها[1]،

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص١٦٥.

وقد أمر الله رسوله الكريم بالصبر على أذى المشركين ورفض الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُون (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِين﴾ [سورة الأنعام: ٣٣-٣٤]، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم (٤٨) لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُوم (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين﴾ [سورة القلم: ٤٨-٥٠]، وفي قصة قوم ثمود قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِر﴾ [سورة القمر: ٢٧]، أمر الله نبيّه صالح بالاصطبار، وهو أعظمُ وأقوى من الصبر، وهو الصبر الذي لا مللَ فيه ولا تضجّرَ[1]، وهذا حال المصلح الذي يواجه المجتمع بأخطائه، لا بُدَّ أن يتحلّى بالصبر والتحمّل.

وهناك نوعٌ آخر من الصبر الذي أمر به الله هو الصبر على ملازمة أهل الإيمان، والذي بهم ومعهم ترتقي العقول، ويجد المؤمن مَنْ يتناقش معه الظواهرَ والقضايا، ويتدارس معهم واقعَ حياة المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وأرى أنّ الصبر مع الفئات المصلحة والتي تنتهج النقدَ ضروري جدًّا للعملية النقديّة، وخاصّة على مستوى المجتمعات، فالعقليّة الناقدةُ تحتاجُ هذه الفئةَ للتعاون والتناصر في الأهداف، والتطور في الأفكار، والتجديد في المتغيرات، وإلّا أصابها الجمود، كما تحتاجها في المساندة والمعاونة في القدرة على النقد وطلب المراجعة والمحاسبة، خاصّةً في المجتمعات التي

---

[1] يُنظر: **ابن عاشور، التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص٢٠٠.

ترفض النقد أو لا تقبل التغير.

٥- الصبر طريق الفوز:

يقرّر القرآن الكريم أنّ الصبرَ بابُ الفلاح وتحقيق الغايات، كما أنّه سبيل الإمامة والرفعة، وهذا وعد الله في كتابه العزيز، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون﴾ [سورة السجدة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦].

٦- النهي عن الحزن:

أ- الحزن بسبب عدم الاستجابة من المجتمع لطلب التغير والإصلاح:

وليس هناك أعظم من الرسول ﷺ كمثلٍ لذلك، وقد قال الله تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُون (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِين﴾ [سورة الأنعام: ٣٣-٣٤]، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين﴾ [سورة الحجر: ٩٧-٩٩].

ب- الحزنُ من عدم وجودِ نتائجَ وأثرٍ في المجتمع من النقد الإصلاحي:

قال تعالى مخاطبًا نوحًا عليه السلام: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُون﴾ [سورة هود: ٣٦]، وقال تعالى مخاطبًا محمّدًا عليه أفضل الصلوات والسلام: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُون﴾ [سورة فاطر: ٨].

والعقليّة الناقدة لهي أشدُّ العقليّات التي تحتاج أن تغمسَ روحَها وعقلَها في مفاهيم القرآن، وتجعلَ من منهج الأنبياء نورًا ونبراسًا تقتدي به في طريق الاستخلاف، فاللهُ أمَرَ بعدم الحزن أو الحسرة إذا لم يتقبّل الآخر التغيّرَ، أولم ينظر إلى النقد كطريق إصلاح وتعديل المسار.

وأجد في قول جنود طالوت المؤمنين، ما يقوى به العزم والصبر في مواقف الحقّ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٠]، وُتظهر الآيةُ الفطنةَ التي يمتلكها هؤلاء الجنود، فهم يعلمون أنّ المواجهة مع الأضداد تحتاجُ إلى الصبر الشديد، لذلك طلبوا الصبر بطريقة الإفراغ، فقالوا (رَبَّنَا أَفْرِغْ) أي "أتمّ الصبر وأبلغه"[1]، حيثُ إنّ الصبر مدعاةٌ للثبوت على الحقّ وقتَ المواجهة والتي تكون أحيانًا كثيرة صعبة، فساحة الحرب واحدةٌ؛ ولكن قد تكون ساحةَ حرب تقاتل فيها لأجل تصحيح أفكارٍ ضالّةٍ أو عقائدَ دخيلةٍ، أو سطوةٍ ظالمةٍ، وليست محصورةً في ساحة القتال العسكرية.

ووظيفةُ العقل الناقد هي ساحةُ الحياة، يسيرُ في طريق الخلافة، وهو يقوّم الاعوجاج، ويصحّح المسار، ويبارك الاستقامة ويحتفي بها، لذلك هو في أمس الحاجة إلى ما تقوى به عزائمه، وقد جاءت هذه الآية كعلاجٍ ودرسٍ روحيٍّ يستقي منه المؤمنُ قوّتَه.

٧- تعزيز مشاعر العزة والتمكين:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [سورة فاطر: ١٠].

---

[1] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٦، ص٥١٤.

تفسير الشوكاني للآية:

"العزة جميعًا له، ليس لغيره منها شيء، فتشمل الآيةُ كلَّ من طلب العزة، ويكون المقصودُ بها التنبيهَ لذوي الأقدار والهمم من أين تُنال العزّة ومن أي جهة تُطلب؟ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه؛ أي إلى الله يصعد لا إلى غيره، ومعنى صعوده إليه: قبوله له، أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف، وخصّ الكلمَ الطيّب بالذكر لبيان الثواب عليه، وهو يتناولُ كلَّ كلامٍ يتّصف بكونه طيّبًا: من ذكر الله، وأمرٍ بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوةٍ وغير ذلك"[1].

تعليق على تفسير الشوكاني:

أرى أنّ في قول الشوكاني "ويكون المقصود بها التنبيه لذوي الأقدار والهمم من أين تُنال العزة ومن أي جهة تُطلب"، يدخل فيه أصحاب العقولُ الواعية الذين يتحمّلون مسؤوليّة اصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم، ومنهم أصحابُ العقول الناقدة، وممّا يساند هذا الرأي قوله في أنّ الكلام الطيب يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من صميم عمل العقل الناقد، فالنقدُ الإيجابيّ في الدين الإسلامي صادرٌ عن نيّةٍ طيّبةٍ صالحةٍ، راجيًا صاحبُها الخيرَ والصلاحَ في أقول وأعماله.

وأخيرًا في ختام هذا المبحث أقول:

القرآنُ الكريمُ ليس كتابَ علمِ نفسٍ أو كتابَ قضاءٍ، أو كتابَ أحوالٍ شخصيّة، أو معارفَ إنسانيّة، أو غيرَ ذلك من العلوم؛ إنّما هو كتابُ هدايةٍ وتربيةٍ وتوجيهٍ للإنسان، كتابَ إيمانٍ

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، ج٤، ص٣٩١.

وعبوديّة الله وإرشادِ للعمل الصالح[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٩]، ولا يمكن الفصل بين الجانب المعرفيّ والجانب النفسي، فبينهما تداخلٌ معجزٌ وتناغمٌ باهر، حيث إنّ ما يمكن الحديث عنه في الجانب المعرفي قد نجده يدخلُ وبقوّة في الجانب النفسي، والعكسُ صحيحٌ.

[1] يُنظر: الهاشمي، "لمحات نفسية في القرآن الكريم"، **مجلة دعوة الحق**، ع١١، ص٢٨.

الفصل الثاني: وسائل القرآن الكريم ومنهجيّته في بناء العقليّة الناقدة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل القرآن الكريم في بناء العقلية النقدية.

المبحث الثاني: المنهجيّة في بناء العقليّة الناقدة.

المبحث الثالث: معوقات بناء العقلية الناقدة.

المبحث الأول: وسائل القرآن الكريم في بناء العقلية النقدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصص القرآني وبناء العقلية الناقدة

المطلب الثاني: الحوار وبناء العقلية الناقدة

المطلب الثالث: الأمثال وبناء العقلية الناقدة

تمهيد:

القرآنُ الكريم عندما وضع المنهجيّة في بناء العقل الناقد صاغ هذا المنهج بوسائل كثيرة، ولا بُدّ أن تكون كثيرةً ومتنوعةً حتى يظهر الفارق في بناء العقول، فعلى قدر استيعاب هذه الوسائل والصعود في الفهم القرآني لها على قدر ما يكونُ البناءُ صلبًا مرنًا متجدّدًا، ومن أجَلِّ الوسائل وأعظمها في قوّة التأثير القصص القرآني والحوار والأمثال، ولا يمكن لأيّ بناء فيه صفةُ التطور والارتقاء الحضاري –سواءً للفرد أو للمجتمع المسلم– أن يتخطّى هذه الوسائل الثلاث، فهي تشكّل مساحةً كبيرةً من القرآن الكريم، ومواضيعها تخاطب العقل والنفس، وتحاورهم في قضايا أمميّة سابقة، وحاضر متجدّد، ومستقبل آمن، لذلك كان اختياري لهذه العناصر الثلاث لما لها من أهمّيّة بارزة في مساحة التكوين والبناء للعقل الناقد.

وهذا المبحث مقسم إلى:

المطلب الأول: القصص القرآني وبناء العقلية الناقدة

المطلب الثاني: الحوار القرآني وبناء العقلية الناقدة

المطلب الثالث: الأمثال القرآنية وبناء العقلية الناقدة

المطلب الأول: القصص القرآني وبناء العقلية الناقدة

من الوسائل التي اتّبعها القرآن الكريم في ترسيخ النقد في الأذهان هي القصة القرآنيّة، يقول تعالى في أول سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣]، ولعلّ في هذه الآيات إشارةً إلى المقصود الذي أبحث عنه، وهو قيمة القصة القرآنيّة ومقدار مساهمتها في خلق الجو النقدي للعقل المسلم، فكلمة أحسن – كما يراها صاحب التحرير والتنوير – ترشد إلى مقدار النفع الحاصل الذي يتغذّى بها العقلُ ويترقّى فيها ذوقُ النفس، والذي لا يمكن أن يأتيَ به أحدٌ من البشر[١]، و يمكن أن يندرجَ تحت هذا الحسن مفهومٌ أوسعُ في الإحاطة والكمال[٢]، فمن أهداف القصص القرآني السموُّ والارتقاءُ بالنفس البشرية من خلال التركيز على مدح الفضائل، وذمّ الرذائل، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]، وهو ما يمثل النواة الأساسية لبناء العقليّة الناقدة، التي تستلهم من القصص القرآني الزاد في البناء والتطور الفكري، لذلك قال سبحانه في نهاية السورة أيضًا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [سورة يوسف: ١١١].

ولنتساءل لماذا كانت هذه العناية العظيمة من القصص القرآني، التي تصوّر حقيقة المعركة بين الحقّ والباطل في قصص الأنبياء ومن كان على دربهم، أليس لذلك حكم وهذه الحكم من المولى عز وجل؟ وهذه الأهدافُ والأغراض متجددةٌ متطورةٌ بحسب الواقع والزمن الذي

---

[١] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٢٠٤.

[٢] يُنظر: الحجازي: محمد محمود، **التفسير الواضح**، (بيروت: دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص١٥٩.

[٣] يُنظر: السباعي، **القصة في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، ص٧٧.

يعيشه المؤمن، ولا ينكره القرآن بصفته المعجز الخالد.

المثال الأول: قصة الذي انسلخ من آيات الله:

يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

تتحدّث الآياتُ عن قصة إنسان آتاه الله الآيات العقليّة والكونيّة، وتفضّل عليه بالعلم وأعطاه الفرصة الكاملة للهدى والاتصال والارتفاع، لكنّه انسلخ من ذلك كله[١]، والانسلاخ يحمل معاني عميقة، فقد كان عالمًا بآيات الله متمكنًا من القواعد والاحكام قادرًا على بيانها والجدل بها، ولكنّه لم يربط العمل مع العلم؛ بل كان مخالفًا لعمله تمامَ المخالفة[٢]، ولذلك كانت المتابعة الشيطانية له بسبب جرأته على الانسلاخ، وكما كان من مقتضى وجود الآيات أن يرفعه الله الى منازل الصالحين والأبرار، ولكن بسبب شهواته واتّباع الهوى مُنع من هذه الرّفعة وظلَّ حبيس الأرض مركونًا فيها[٣].

وعندما قدّم القرآنُ الكريم هذه الشخصيّة صاغها للعقل بصورة نقديّة، مستخدمًا أدوات التأثير والتساؤل من ألفاظٍ ذاتِ قوّة إيحائيّة تدلّ على معانٍ عميقة، مثل لفظ الانسلاخ الذي يدلّ على الإحاطة القويّة التي كانت تعيشها هذه الشخصيّة إلى درجة أنّها تحتاج إلى جبروت من المعصية، وتصوير الاتباع للشيطان أو الهوى وهو أمرٌ نفسي، إلّا أنّه جعله شيئًا محسوسًا،

---

[١] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٩، ص٣١٦.

[٢] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٣٤٠.

[٣] يُنظر: طنطاوي، **تفسير الوسيط**، ج٥، ص٤٣٧.

فحيثما سارت هذه الشخصية سار خلفها الشيطان فوسوس له وتمكّن منه، فليس لديه رصيد من الإيمان، ولا بصيرة من العلم الذي انسلخ عنه ما يحفظه من قبول الوسوسة[١]، وسار هو خلف أهوائه وشهواته.

كما كان للتشبيه بالكلب أثر عظيم في التربية النقديّة، فقد أهبط القرآن الكريم عملَ هذا الإنسان إلى درجة الحيوان الذي له صفةٌ ملازمة له، وهي اللهث الدالُّ على التعب والإعياء، وهو حال هذه الشخصية فهي دائمةُ اللهث والجري وراءَ الأهواء وحطام الدنيا.

إذن، فالقرآن الكريم يقدّم لنا نموذجًا لشخصيّةٍ تتكرّر على مرّ العصور والأزمنة، شخصيّةِ الذي يؤتَى العلم والحقّ؛ ولكنّه ينسلخ من الفطرة والصبغة التي منحها الله إياها، وليس أخطر على المجتمع من هذه الشخصيّة ذاتِ التأثير القوي، والتي قد تقوده بسبب هذا التأثير إلى دروب خطرة أو مضلّلة، فكم من عالمِ دين يعلم حقيقةَ دين الله ثمّ يزيغ عنها ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل[٢]، وكم من حملةِ شهاداتٍ علميّة وأصحاب مناصب سامية حملةِ ألقابٍ ورموز، ينطبق عليهم هذا المثل[٣].

هذه الشخصيّة وإنْ أمرَ القرآن الكريم النفسَ الإنسانيةَ بالحذرِ من التلبُّسِ بها؛ إلّا أنّه في الجانب المقابل يُظهر لنا شيئًا آخر وهو القدرةُ على كشف هذه الشخصيّة الخادعة التي تلبِسُ ثوبَ الحقَّ وتدعو إلى الباطل والقدرة على نقدها، من خلال إبراز أخطائها المتدثرة عن الناس بهالة الإيمان والإصلاح الكاذب، معتمدين في ذلك على الخصائص التي ميز بها القرآن الكريم

---

[١] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٣٤٠.

[٢] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٩، ص٣١٧.

[٣] يُنظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن الكريم**، (دمشق: دار القلم، ط٦، ١٤٠٣هـ/٢٠١٥م)، ص٢٧٢.

هذه الشخصية، وطريقة التعامل معها.

المثال الثاني: قصة هود وقومه:

سنتناول في قصة هود جزئية النقدَ القرآنيَّ للزيغ الذي وصل له الإنسان بسبب الحضارة المادّيّة، فكان النقد لهدف إظهار مآلات التضخم في الحضارة المادّيّة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين﴾ [سورة الشعراء: ١٢٨-١٣٠]، فقد كانوا يبنون في الأماكن المرتفعة ليعرف به غناهم وقوتهم[١]، وهذا ما يرفضه القرآن الكريم، لذلك سمّاه عبثًا، فالمسألة تخرج عن حدود المعقول، وتدخل في باب الاستعراض واللهو الناشئ من المزاج الذاتي الذي يبحث عن الزهو[٢]، ولابن عاشور كلامٌ ثمينٌ يفسّر الآيات الكريمة بصورةٍ أرى أنّها قريبةٌ من معنى الآيات مع واقع هذا الصنف من البشر، يقول ابن عاشور" بأنّ الأمّةَ في حال انحطاطها حوّلت ما كان موضوعًا للمصالح إلى مفاسد، فعمدوا إلى ما كان مبنيًّا لقصد تيسير السير والأمن على السابلة من الضلال في الفيافي المهلكة، فجعلوه مكامن لهوٍ وسخريةٍ، كما اتّخذت بعضُ أديرة النصارى في بلاد العرب مجالسَ خمر، وكما أدركنا الصهاريج التي في قرطاجنة كانت خزانًا لمياه زغوان المنسابة إليها على الحنايا، فرأيناها مكامن للصوص ومخازن للدواب"[٣].

كما أظهرت قصة قوم هود النقدَ القرآنيَّ الكريم لقضيةٍ شديدةِ الحساسيّة والخطورة لعمل هؤلاء القوم، وهي محاولة الهروب من قضيّة البعث وما بها من فناء وموت؛ باتّخاذ المصانع لأجل الخلود، ولم يكن النقد هو الوسيلة الوحيدة لإنضاج العقل في تدبّر قضايا الحياة التي قد

---

[١] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٤، ص٥٢٢.

[٢] يُنظر: فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج١٧، ص١٤٠.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٦٨.

تواجهه، بل كان القرآن الكريم ينتقد ليعالج وينكر ليُقوّمَ الخطأ، فالإرشاد والتوجيه في القرآن الكريم متزامنُ الحركة مع محاورة العقل وإيقاظه من غفلته أو زلاته، وهذا ما قام به نبي الله هود، الذي حاول استيقاظ عامل الفطرة الإيماني، والتحذير من عاقبة التكبر على دعوات الإصلاح والمراجعة الربانية، وليس هناك شيءٌ أعظمُ ولا أفضلُ للرجوع عن تخبطات العقل من التذكير بصفة الألوهيّة، قال تعالى: ﴿عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥]، وذلك لأنّهم نافسوا الخالق في صفات الإلهيّة، "فاتّخاذ الأبنية العالية يدلّ على حبّ العلو، واتّخاذ المصانع يدلّ على حبّ البقاء، والجبَّاريّةَ تدلّ على حبّ التفرد بالعلو ... وهذه صفات الإلهيّة ممتنعةُ الحصول للعبد"[١]، فالإسرافُ في حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة وسببٌ لكلّ انحرافٍ قد يؤدّي إلى الكفر والعصيان[٢].

النقد السلبي:

كما تُظهِرُ القصةُ طريقةَ عرض القرآن للنقد السلبيّ لقضايا من الجانب الذي لا يتحمّلها أهل الزيغ والهوى، فالقصةُ تظهر النقدَ السلبيّ الذي جاء به قومُ عاد، والذي لا يرتكز على أدلّة عقليّة أو حجّة برهانيّة، فقد وصفوا هودَ بالسَّفَه لعدم ثباته على دين آبائه وأجداده، وإنّه يدعوا إلى دين جديد[٣]، يقول تعالى مبينًا الضعف العقلي في ردهم على الدعوة الايمانية التي أومروا بها: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿إِنْ نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [سورة هود: ٥٤].

---

[١] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٤، ص٥٢٣.

[٢] يُنظر: **المرجع السابق**، ج٢٤، ص٥٢٣.

[٣] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٤٢.

المطلب الثاني: الحوار وبناء العقلية الناقدة

استخدم القرآن الكريم صيغة الحوار كوسيلةٍ من وسائل النقد، بل يمكن اعتبارُ الحوار في القرآن منهجًا نقديًّا جاء به القرآن، وجعله وسيلةً لتغذية العقل في صناعة المحاور الناقد، وهذا منهجُ الأنبياء في تبيّن الخطأ والإرشاد للحقّ، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وعند صاحب التحرير والتنوير في معنى هذه الآية ما يشيرُ إلى دور الحوار في النقد، فهو يرى أنّ: المجادلة ما هي إلّا تصويبُ رأي، وإبطالُ المخالف له[1]، وما التصويبُ إلّا بعدَ إبراز العيوب من خلال المكاشفة والنقد.

المثال الأول: نقد فكرة التنافي بين البشرية والرسالة:

عرضَ القرآن الكريم من خلال الحوار بين الأنبياء وأقوامهم قضيّةَ بشريّة الرسل، ورفضَ الأمم السابقة لقبول هذه الأمر، فجاءت الآيات الكريمة في كثير من السور تعرض هذه الفكرة من خلال الحوار بين الرافضين من جانب والأنبياء من جانب آخر؛ حيث تمّ النقضُ والنقدُ خلال الحوارات الهادئة الرزينة.

ففي حديث القرآن الكريم عن نوح وقومه نرى الحوار، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِين (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيم (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين (٢٧) قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٣٢٨.

وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُون﴾ [سورة هود: ٢٥-٢٨].

وفي آية أخرى ينتقد القرآن الكريم – في حديث نوح مع قومه – فكرةَ القدرات الخارقة التي لا بُدَّ أن يمتلكها النبيّ أو الصفات الملائكيّة حتى يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠][1].

فهذه قضيّة الأنبياء كافّة، والشبهة العجيبة التي ظلّت تخايل البشرية كلّما جاءها رسول، ففي قصة هود كان الحوار المتبادل مع قومه حول هذه المبدأ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُون﴾ [سورة المؤمنون: ٣٣]، وفي قصة صالح وقومه: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِين (١٥٣) مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾ [سورة الشعراء: ١٥٣-١٥٤]، وكذلك في قوم شعيب: ﴿وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِين﴾ [سورة الشعراء: ١٨٦].

ورُفضتْ رسالةُ الرسول ﷺ لصفاتِه البشريّة، وجاءت الآيات الكريمة لتَعرض هذا الطرح من خلال الحوار، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٧-٨]، ثمّ يأتي الردّ القرآنيّ في نفس السورة، في قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٠].

---

[1] يُنظر: فضل الله: محمد حسين، **الحوار في القرآن**، (لبنان، دار الملاك للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٩٦م)، ص١٢٣-١٢٤.

القرآن الكريم من خلال الحوار الهادئ مع العقل البشري يحاولُ الوصول معه إلى خطأِ فكرة امتلاكِ الرسل للقوّة الخارقة أو الصفات الملائكيّة، أو تغير النظام المألوف للكون، حتى يمكن الإيمان بهم، وانتقد إصرار الأمم السابقة على هذا الأمر دون إعمالٍ للعقل وتحرّي الموضوعيّة؛ لأنّه ليس من مهمّة الرسل الإتيانُ بخوارق للعادة، بل مهمّتهم الوحيدةُ هي تبليغُ الرسالة بصفتهم البشرية[1].

المثال الثاني: الحوار في سورة يوسف:

نقد الترف المجتمعيّ وآثاره الخطيرة:

القرآن الكريم كعادته المعجزة يسوقُ النقدَ والإنكارَ ورفضَ الواقع الخاطئ بصورةٍ مقنعةٍ للعقل، حيث يأتي النقدُ لصفةٍ مميّزةٍ للمجتمع وعلامةٍ فارقة وغيرِ صحيحة، فمثلًا ينتقد الترفَ المجتمعيّ الذي جعل من صاحب السلطة يغضّ الطرف عن سوءِ أدب أهله، وتسلط زوج صاحب السلطة، ومآلات هذا الترفِ الفاسقِ، لينتهي المشهد بتلبّس الباطل للحقّ في دعوة إنكارٍ لواقع الحبّ من قبل المتسلطات في المجتمع المخمليّ اللاتي لم يردن تغير الواقع ولا نصرة المظلوم؛ ولكن اتّخذن من طريق الإصلاح والنقد وسيلةً خادعةً للوصول إلى مآرب يريدون تحقيقها، وهو النيل من امرة العزيز، وكم من هؤلاء المترفين الذين تعاني منهم المجتمعات العربيّة والإسلامية حيث يديرون قضايا المجتمع في الظاهر نحو الخير؛ ولكن في حقيقة الأمر هم يديرونها لمصالحهم الشخصيّة وأهوائهم.

---

[1] يُنظر: فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص١٢٦.

نقد الصورة النمطية لرجل الحاشية:

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِين﴾ [سورة يوسف: ٢٨-٢٩].

تُظهرُ الآية إشارةً للنقد القرآنيّ لنموذجِ رجل الحاشية، الذي قيّده وضعه الوظيفي في رسمِ صورة نمطيّة له، فهذا المدبّر لشؤون الدولة عاجزٌ عن حلّ التصدع الأسريّ والأخلاقي في بيته.

لقد اختلف أهل التفسير في تصنيف العزيز من خلال الموقف الذي ذكره القرآن الكريم، فمنهم من قال: صاحبُ حلمٍ، ومنهم من قال: إنّه قليلُ غيرة، ومنهم من فسر الموقف: بأنّه من طباع أهل الجاه مع بيوتهم الرخاوة والضعف في مواجهة الفضائح، فالهدف هو الميل إلى الكتمان[١] والتستر، من غير معالجة واضحة للمشكلة، كما حدث ليوسف من تعريضه للنسوة، ثمّ الزّجُّ به في السجن بغير ذنب، فقط لإخفاء أخطاء الطبقة المخمليّة.

القرآن الكريم هنا استعمل الألفاظ في تحريك العقل لمعانٍ كامنة تحت هذه الألفاظ:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي﴾ [سورة يوسف: ٢٩]، فالإعراض هو كتمُ الأمر وعدمُ ذكره[٢].

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِين﴾ [سورة يوسف: ٢٩]، فلفظ الخاطئين تستخدم لمن تعمّد الذنب والخطأ.

واستخدم لفظ (الخاطئين)، ولم يقل (الخاطئات)؛ لتغليب المذكّر على المؤنث، فيدخل فيه

---

[١] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١٢، ص٢٠٩، الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، ج١١، ص٦٩٢٥.

[٢] يُنظر: الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه**، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م)، ج٣، ص١٠٤.

يوسف بأمره بالكتمان حتى لا يُشاعَ الأمرُ في المجتمع[1]، أو هو من باب العدول عن المذكر إلى المؤنث للطيفة قرآنية.

وأنا أبحث في هذه النقطة، أجد القناعة العميقة في داخلي: أنّ القرآن الكريم كتابٌ توجيهيٌّ ونقدٌ حضاري، لن تجد الأمّة ولا البشرية نظيرًا له في العمق والبساطة، يبحث فيه العالم والمفسر والباحث، ويقرأه العامّة من الناس فيجد كلٌ منهم فيه النورَ الصادق الذي يجيب على كلّ الأسئلة التي تطرق باب العقل، والمنهج الذي يرسم لهم درب الفلاح.

كلمة حق أريد بها باطل:

وفي حوارِ نسوة المدينة نجدُ القرآنَ الكريمَ يُظهرُ صورةً عجيبةً للنفس البشرية، التي تقوم بالنقد ليس لأجل الإصلاح ورفع الظلم الواقع، وإنّما بقصد التشفي من سيدة المجتمع الأولى، وإنزالٍ من قدرها وفضحِ سلوكها[2]، وقد قيل: إنّها كلمة حقّ أريد بها باطلٌ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣٠-٣٢].

وجاءت الألفاظُ القرآنيّة بما تحمل من بلاغة تصور حالة الفساد، فالفعل المضارع (يراود) يدلّ على استمرار زوج العزيز في رغباتها المنحرفة، والصيغة التي ظهر فيها عمق الحبّ

---

[1] يُنظر: الشافعي: الهرري، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج١٣، ص٣٨٣.

[2] يُنظر: رضا: رشيد، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٢٤٠، الشعراوي: **خواطر الشعراوي**، ج١١، ص٦٩٢٨.

في قوله تعالى: (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)، فالشغف من حجاب القلب وغلافه، ممّا يدلّ على الحبّ القاتل، أو الحبّ المجنون[1].

مجاوزة الحد في الفساد والإفساد:

كما يظهر في الحوار الدائر بين امرأة العزيز ونسوة المدينة؛ الفجورُ الذي وصلت إليه هذه الطبقة من المجتمع، فامرأةُ العزيز لم تبك على الخطيئة، ولم تخجل من الفعل، بل إن الأمرُ كبُر في نفسها بسخرية النسوة منها، فكان التبجّح منها في دعوتهم للوقوف على السبب الذي دعاها إلى ذلك، وهذا حال الفئة التي تعيش في الترف الطاغي، فالدين والتعقل عُزِلا من ساحة الحياة لهذه الفئة، وكان الشاهد القرآنيّ على نقد الترف الفاسق بتصويره للمشهد كاملًا، وذلك بتهيئة خطّة الانتصار الكاملة لنفسها من توظيف المكان: (الوسائد والمتكئات المريحة وأعداد الولائم)، ولم يغفل القرآنُ الكريمُ عن أدقّ التفاصيل، حتى جعل من السكاكين طريقًا في إفهام العقل الحال الذي وصل له هذا "المجتمع من الترف والحضارة المادية"[2]، كما وظّفت السلطة وأمرت سيدنا يوسف بالدخول عليهم، واستخدمت قوّة السلطة بالتوعّد بالسجن إن لم يستجب لمآربها.

عزل المرأة:

في ثنايا النقد لفساد المجتمع المترف يُظهرُ القرآن آثرَ الصناعة التافهة والسطحية للمرأة في ذلك المجتمع، فقد عزل الترف الطاغي المرأة عن الممارسة الجادّة والحقيقية، وجعل من

---

[1] يُنظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج٣، ص١٠٥، الرازي: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ)، ج٧، ص٢١٣١.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١٢، ص٢١١.

الملهيات الفاسدة والمتمثّلة في شهوات المحرمة، وملاحقة الأخبار ونشر الإشاعات، وحياكة القصص والمخادعات النسائية بديلاً للنشاط العقلي والتطور الفكري الذي يعود على المرأة والمجتمع بالنفع.

الجدل:

من أنواع الحوار الجدلُ، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

المثال الأول:

ومن أمثلة المجادلة القرآنيّة قولُه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [سورة النجم: ١٩-٢٣]، لقد أظهرت الآياتُ هدفَ القرآنِ الكريمِ من مجادلة المشركين، وهي نقدهم في تسمية المعبودات من دون الله... وأظهرت ضعفَ مستندهم في هذه الحجّة، وهي:

١- اتّباع الظنّ.

٢- اتّباع الهوى.

المثال الثاني: نقد الماديين:

وبطريقةِ الحوار الجدليّ نقد الله تعالى المادّيّين الذين يجعلون ميزانَ التفاضل بين البشر هو المادّة، كما جاء في حوار بني إسرائيل مع نبيهم [1]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، فهذه الآيةُ تشير إلى طباعِ الناس ونظرتهم إلى أنّ الملك لا بُدَّ أنْ يورث، فصاحب الملك لا بُدَّ أن يكون قد ورِثَ المُلك أو صاحبَ شأن عظيم أو ذا نسب وشرف، وذلك لأنّهم قد اعتادوا الخضوع لأصحاب الشرف والسلطة وإن لم يمتازوا عنهم بالعلم أو الصفات المشرفة[2]، فالآية الكريمة تنقد طباع النفس التي تحمل من الكبر والجهل الشيءَ الكثير، فترى أنّ توارث السلطة والقيادة لا بُدّ أن يكون في أهل السلطة والنسب العالي، وهذا معيارٌ أنكره القرآن الكريم واستحقر هذه العقول التي تخضع معيار التفاضل فقط في مقدار المادة والسلطة، وهذا مقياسٌ عقيمٌ جعله الله من أسباب سقوط الدول وضعف أحوال الأمم.

---

[1] يُنظر: الشرقاوي: حسن، **الجدل في القرآن**، (الإسكندرية، منشأة المعارف، ط١، ١٩٨٦م)، ص٤٣.

[2] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٢، ص٣٧٨.

المطلب الثالث: الأمثال وبناء العقلية الناقدة

يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

ويعرّف ابنُ قيم الجوزية الأمثالَ بأنّها: " تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر"[١].

ومن أغراض الأمثال القرآنيّة التمييز بين الخير والشر وبين الصالح والفاسد، وذلك من خلال الترغيب أو الترهيب، فالترغيب يكون بإبراز الجوانب الحسنة في المثل وتزينه للنفس فتقبل عليه، والتنفير يكون بإبراز الجوانب السيئة في المثل فتكرهه النفس وتنفر منه[٢]، وهكذا يُشحذُ العقلُ بالمعرفة القرآنيّة من خلال الأمثال في التمييز بين حقائق الخير والحقّ، وبين حقائق الشر والباطل، وهذا هو لبُّ النقد ومعوله الأول.

المثال الأول: نقد حمل العلم بدون عمل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ [سورة الجمعة: ٥].

هذا المثل نقدٌ لليهود الذين عُلِّموا التوراة وكُلِّفوا بالعمل بما فيها؛ لكنّهم لم يعملوا بها، ومن جملة هذه الآيات غير المنتفع بها ما دلّت على صدق نبوّة الرسول ﷺ[٣]، وقد مُثل باالحمار

---

[١] ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، **الأمثال في القرآن**، تحقيق، فؤاد أحمد، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٤٤.

[٢] الميداني: حسن حبنكة، **الأمثال القرآنية**، (دمشق – بيروت، دار القلم، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٣٩.

[٣] يُنظر: ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٤، ص٢٨١، أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**

لإظهار معاني الجهل والبلادة التي يتّصف بها اليهود، وهذا من باب التحقير والذّمّ لهم[1].

والنقد يكون في جهتين:

١- نقدُ حقيقة اليهود الذين يتّخذون من التوراة واجهةً قوميّة إذا ما أرادوا التحرك بالصفة العنصرية، غير مبالين بالجانب الفكري والعقدي للتوراة[2]، فبذلك يعلم المؤمن حقيقةَ اليهود ولا ينخدع بالأساليب الماكرة والمتحوّرة على مرّ الزمان، التي تزين حقيقة اليهود وأنّهم أهلُ كتابٍ قائمون بشرائعه.

٢- نقدُ كلّ الذين يحملون أمانة الدين ولم يقوموا بها[3].

إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٨، ص٢٤٨.

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٣٠، ص٥٤٠.

[2] يُنظر: فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج٢٢، ص٢١٠.

[3] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢٦، ص٤٥٢.

المبحث الثاني: المنهجيّة في بناء العقليّة الناقدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المنهج.

المطلب الثاني: قواعد المنهج القرآني في بناء العقلية النقدية.

المطلب الثالث: مقومات منهجية البناء للعقل النقدي.

تمهيد:

إنّ المنهج القرآنيَّ في صناعة العقليّة النقديّة هو صناعة متفرّدة يتميّز بها الدين الإسلامي، عن سائر المناهج البشريّة التي يظهر فيها الخلل، فالنقصُ وعدمُ الكمال صفةٌ بشريّةٌ، لا يمكن أن يصل إلى درجة الصناعة الربّانيّة، والمنهج القرآني في بناء العقليّة الناقدة ليس قوانينًا تتغيّر وتتبدّل حسب تصور العقول وتطورها، أو الأحوال والظروف التي قد تدير دفّة ثقافة المجتمع، فالمنهج القرآني قائمٌ على قواعد ومقومات، تضبط البناء النقديّ لدى الإنسان المسلم، فالمنهج القرآني يتميّز بالقوانين الإلهيّة التي تراعي طبيعة النفس البشريّة التي تحتاج إلى قيمٍ؛ يضبط لها الحاجات والرغبات ويردّها عن المحرّمات والمهلكات، ويقدّر مناطق الضعف والنقص، كما تميّزت الصناعة الربّانيّة عن الصناعة البشريّة، إلى الملائمة للنفس البشريّة وقدرتها الخالدة على مواكبة التغيّر والتبديل لكلّ زمان ومكان، عكس الدراسات والقوانين البشرية التي ينقصها الفهم لبواطن النفس، ومواكبتها للزمن.

يتكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المنهج.

المطلب الثاني: قواعد المنهج القرآني في بناء العقلية النقدية.

المطلب الثالث: مقومات منهجية البناء للعقل النقدي.

المطلب الأول: معنى المنهج.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

لمعرفة المنهج القرآني لبناء العقليّة الناقدة لا بُدَّ من معرفة معنى المنهج، كما جاء في الآية الكريمة.

المنهج في اللغة: الطريق المستقيم، الواضح، المستبان[١].

ويأتي بمعنى الطريق الواضح، الواسع، المستمر[٢].

فالمنهج مرتبط بمعنين: الطريق، والوضوح.

إذًا، فالمنهج مأخوذٌ من نهج الطريق إذا اتّضح واستبان، وهذا يعني أنّ سالكه قد أَمِنَ من التّيه والانحراف، وأمن على نفسه من الضلال عن الغايات والاهداف، فالمنهجُ القرآنيُّ يقصد به الاطمئنان للوصول المراد في وضوح من الطريق، لذلك قرن الله ﷻ المنهج بالشرعة، فهناك شرعة مقرّرة للناس لإقامة العدل والاستقرار، والله تعالى جعل في هذا القرآن شريعةً مرتبطةً بمنهج يُرشد إلى طريقة تطبيق هذه الشريعة وممارسة الحياة كلّها بمقتضاها، وعلى الرغم من أنّ لفظ المنهج لم يرد في القرآن الكريم إلّا في آية واحدة في سورة المائدة، إلّا أنّ ارتباطه بالشريعة

---

[١] يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٣٨٣.

[٢] يُنظر: القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (عمّان: الرسالة، د.ط، ٢٠٠٩م)، ج٦، ص١٩٩، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص٢٢٣.

تجعل منه (منهجًا صارمًا) في الوعي وضبط السلوك، والاتباع والحرص على سبل الهداية[1]. ومنهج القرآن الكريم لبناء القاعدة النقديّة يقوم على قواعد ومقوّمات، تغذّي عمليّة البناء وتوجه العقل والنفس في طريقة النقد بما يتناسب مع إصلاح الذات والمجتمع.

وهناك نقاطٌ لا بُدَّ من الإشارة إليها قبل الحديث في هذا المبحث للارتباط بين هذه النقاط والمبحث:

١- الرسل جميعُهم كانوا يمارسون النقد الإيجابيَّ بما يعني الإصلاح بكلّ أطيافه: (عقائدي، أخلاقي، سياسي، اقتصادي... إلخ).

٢- أنّ مفهوم النقد كغيره من المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم لإصلاح النفس والمجتمع، تحتاج إلى كثير من التّأني والاستنارة الفكريّة في تدبر الآيات، ليحصل على الإجابة القرآنيّة لتساؤلاته وطرق علاجها.

٣- القرآن الكريم قام بوضع القواعد الأساسيّة للعقليّة الناقدة من خلال البناء المعرفي والنفسي، وأوضح المنهج، ثمّ ترك مسافة التدرج والارتقاء في العمليّة النقديّة ترجع إلى الفرد نفسه، فهو من يقرّر بما يمتلك من عقل ومعرفة: أين يضع نفسه من خريطة الإصلاح والتغير،

هل هو ... ناقد للذات فقط، أم ارتقى ليكون ناقدًا لمجتمعه، أم أصبح من أهل التغير على مستوى الأمة كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

---

[1] يُنظر: العلواني، "معالم المنهج الإسلامي"، **مجلة الرابطة المحمدية للعلماء**، ع٢٧، ص٥٤-٥٥.

المطلب الثاني: قواعد المنهج القرآني في بناء العقلية النقدية.

المنهج القرآني لبناء العقليّة النقديّة يقوم على قواعد أساسيّة، والتي لا بُدَّ أن تكون حاضرة في ذهن الناقد، قائمًا بها، فيأتي النقدُ بصورة المعالجة القرآنيّة المتوافقة مع الواقع المعيش، ومن أهمّ هذه القواعد:

أولًا: الهيمنة.

ثانيًا: فقه الواقع.

ثالثًا: الموازنة بين المصالح والمفاسد.

أولًا: الهيمنة:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، والهيمنة القرآنيّة بما تحمله الآية من معاني الشهادة والرقابة والأمانة للقرآن الكريم على ما قبله من الرسالات، وبما تعني من علوّه وارتفاعه على الكتب السماويّة السابقة، وبما يحمل من صفة الحفظ من التغيّر والتبديل[1]، إنّما هي علامةٌ للهويّة الإسلاميّة التي تتّخذ من مفهوم الهيمنة القرآنية حاجزًا مانعًا لها في قراءتها للأحداث أو التعرض للمواقف، ولا بُدّ من اليقين التامّ والجازم بالهيمنة القرآنيّة في نفس الناقد، حتى ولو لم يستطع أن يتوصّل للحلّ أو تعثّر في النتائج؛ لأنّ الناقد إذا زاغ عنه هذا الأمر قد يقع فريسةً للمؤثّرات الخارجيّة المتغيّرة المتدثّرة بعلل التمدّن والتطور، ومن ثمَّ يضطرب يقين القلب، فتقف النفس إمّا

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب، ج**١٢، ص٣٧١، الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (**بيروت: دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م)، ج١، ص٦٤٠.

حائرةً أمام من يقرع أبوابها مطالبًا إيّاها بالتغيّر وهي عاجزة، أو تدخل في الهزيمة النفسيّة لصعوبة قدرتها على مواجهة رياح التغير، وفي كلتا الحالتين ستُسلم نفسها شاءت أم أبتْ لمن يقودها الى المنهج الذي يرتضيه لها.

ثانيًا: فقه الواقع:

القرآن الكريم بالإضافة إلى أنّه كتابٌ مهيمنٌ، فهو يحمل أيضًا صفة الخلود، بمعنى أنّه يربي فينا عدمَ العجز أو الاستسلام عند عدم وجود إجابةٍ لتساؤل أوحلٍّ لعارض قد يواجه المؤمن أثناءَ أداءِ دوره الإصلاحي في النقد الذاتي أو المجتمعي، وأنّ هذا الخلود القرآني يُقصد به الإيمان الكامل بوجود الإجابة لكلّ ما يعترضنا، لكن يحتاج من المؤمن قراءةَ القرآن بعين البصيرة المنزلة على واقعه بما يتناسب من أحكام وقوانين، يقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، ويقول: ﴿وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين﴾ [سورة الأنعام: ٥٥]، أي ليتّضح للمؤمن سُبل المجرمين في الظلم واحتقار الناس والتصلب في الكفر، والتي قد تخفى أحوالهم أحيانًا على أهل الإيمان[1].

ولم يطرأ على المجتمع المسلم –منذ تكوينه الأول– حوادثُ وحوائجُ تحتاج إلى إجابة إلّا وُجِد لها تفصيلٌ في كتاب الله بما يتناسب مع الواقع المعيش، والأمثلةُ كثيرةٌ والحديثُ سيطولُ في ذلك، لكن أُشير إلى بعض المواضيع التي تتواجد في عصرنا هذا، وقد فصّلَ فيها القرآن الكريم تفصيلًا كبيرًا: مثل قضية النفاق، وقضية الإلحاد، وقضايا الأسرة، وقضايا الاقتصاد والفقر... إلخ، وهذه القضايا –وإن كانت ترتدي حلّة العصر الحديث– إلّا أنّها موجودةٌ منذ القدم، وقد قدّم القرآن الكريم النموذجَ الكاملَ في طريقة طرح المواضيع وطريقة النقد لها:

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٢٦٠-٢٦١.

فمثلًا في موضوع النِّفاق كان النهجُ القرآني في التربية والتدريب للعقليّة الناقدة وفقَ خطوطٍ واضحةٍ وتصورٍ خالدٍ يستطيع المؤمن من خلالها معرفةَ المنافق، وكيفيّة التعامل معه ونقده من خلال معايير بينها القرآن الكريم، فقد جاء القرآن الكريم معرّفًا لهوياتهم العالميّة، محدّدًا لصفاتهم الجسديّة والعقليّة والنفسيّة، كاشفًا عن ظواهرهم وبواطنهم، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾ [سورة المنافقون: ٤]، كما حدّد صفاتهم الإيمانية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، وقال :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء: ٦٠-٦١]، وصفاتِهم النفسيّة فسمّاهم المرجفون، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٠]، وسمّاهم المعوّقين أي المثبّطين للمسلمين[1]، فقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨-١٩].

وكان القرآن شديد الدِّقة في حصر صفة يمتلكها هؤلاء المنافقون، فهم يأمرون بالمنكر

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٥، ص١٦٢.

وينهون عن المعروف، وهذا نقيض لصفة الناقد المؤمن، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

في وصفٍ عميقِ المعنى للمنافقين في سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨-١٦].

لقد جاءت الآيات الكريمة مفصّلةً لمعرفة شخصيّة المنافق، فهي فئة شديدة الحرص على تسجيل الاعتراف بالإيمان أمام الناس، لكنّها في الباطن تضمر الكفر، أسلوبهم المخادعة بطرق خفيّة، لما في قلوبهم من أمراض نفسيّة، وللمنافق نيّة فاسدة تختبئ خلف شعارات وأفعال قد يخدع بها الناس: كدعوات باطنها الفساد كالثورة على الجمود، وتحرير الإرادة الإنسانيّة من الكبت الداخلي، ودعوات تبرّر التعرّي والأزياء الفاضحة بأنّها من الصّحّة النفسيّة والتخلّص من العقد المجتمعيّة، وتحطيم الحواجز النفسيّة للمرأة، وإذ نهوا عن الفساد البّين، قاموا بمحاولة إلباسه صفة الخير والإصلاح[1].

إذًا، فالقرآن الكريم قد أقام التصوّر الكامل لحقيقة النفاق والمنافقين كنموذج دائم، يمكن

---

[1] يُنظر: فضل الله، **وحي القرآن**، ج١، ص١٤٠-١٤٥.

للمؤمن الذي يعيش مع القرآن أن يتعرّف عليه مهما اختلف الشكل والظرف، كما طرح قضاياهم التي يعتنقونها على صورة نقديّة، كاشفًا عن معتقداتهم وأهدافهم.

كما أنّ المنهج القرآني في توجيه العقل الناقد لفقه الواقع جاء من خلال طرح نماذج تمثّل في ذاتها عقليّة ناقدة، استطاعت أنْ تمارس النقد حسب الواقع الذي تعيشه، والنماذج القرآنيّة في هذا الشأن كثيرةٌ، منها شخصيّة النّملة التي سمّيت سورة النمل باسمها، والتي تمثّل محورًا مهمًّا في قضيّة الدعوة الاصلاحيّة، فالعقليّة الناقدة والمتمثّلة بالنملة ليست مقتصرةً على توضيح المنكر وتوجيه النظر إليه مناصحةً ومدافعةً؛ بل قبل ذلك هي عقليّةٌ محبّةٌ للخير آمرةٌ بالمعروف، ترصدُ الخطر الذي قد ينزل بمجتمعها الآمن، وتتوقّع حدوث المشكلة قبل وقوعها، من خلال داريتها بالواقع الذي تعيشه، يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون﴾ [سورة النمل: ١٨]، فالنّملة قامتْ بالتنبيه والنصيحة لجماعتها، بما تملك من العقل الناقد (القادر على التمييز من خلال الفحص الدقيق للموقف الذي تتعرّض والتميز السريع، وتقويم الموقف واستخلاص النتائج وإيجاد الحلول المنطقية)[١]، فقدرت الخطر القادم، ولا بُدَّ من سرعة الدخول للمساكن حفاظًا على الأرواح، كما وضّحت لهم أنّ عليهم مسؤوليّةَ التحرّز في الطريق وليس جيش سليمان، وذلك من قاعدة: أنّ من يسير في الطريق لا يلزمه التحرّز؛ وإنّما التحرز مطلوب ممن هو على الطريق، فلا بُدَّ من الحذر والحيطة[٢]. وأبدت العذرَ لسليمان وجنوده بأنّهم قد لا يشعرون بهم إن أصابوهم بالتحطيم، فهي عالمة بمنهج الأنبياء في

---

[١] يُنظر: أبو دقة: سناء إبراهيم، **الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالتفكير الناقد وجودة الحياة لدى معلمي مرحلة التعليم الأساسي**، رسالة ماجستير، ص٥٤، الأصفر، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، ع١١، ص٢١١.

[٢] ينُظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٤، ص٥٤٩.

العدل وعدم الفساد[1]، وبهذا التصرف سجلت النملة صفة الموضوعيّة[2] التي لا بُدَّ للناقد من التحلّي بها، كما سجلت خُلقًا كريمًا لا بُدَّ للناقد من التحلّي به، وهو اتّخاذ الأعذار وعدم الخوض في النوايا، والدخول في تفاصيل لا تخدم القضيّة؛ بل التركيز على إيجاد الحلول وعلاج المشكلة.

فقه السنن الإلهيّة:

من الفقه الذي يتّبع فقه الواقع، فقه السنن الإلهيّة، والذي يعتبر من أخطر المفقودات التي لا عوضَ عنها للعقليّة الناقدة، فقراءة الواقع لا يمكن تحليله والوصول إلى أسبابه ونتائجه إلّا من خلال السنن التي ذكرها الله في كتابه العزيز، ومن الشخصيّات التي ذكرها القرآنُ الكريم مؤمنُ آلِ فرعون، الذي استطاع بنقده أن يُسقط قراءةَ التاريخ على الواقع، ويتنبأ بمصير آل فرعون، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب (٢٨) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَاب (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَاد﴾ [سورة غافر: ٢٨-٣١]، فمؤمن آل فرعون يُذكّرُ الأقباط بأنّهم تملّكوا مصر، وعلوا على بني إسرائيل وقهروهم، وأنّ الهلاك يكاد يكون قريبًا منهم: كقوم نوح الذين هلكوا بالغرق، وعاد بالريح، وثمود بالصيحة، فهو يعلم أن الهلاك سنة إلهية

---

[1] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٦، ص٢٧٨.

[2] يُنظر: أبو دقة، **الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالتفكير الناقد وجودة الحياة لدى معلمي مرحلة التعليم الأساسي**، رسالة ماجستير، ص٥٤.

مستمرة لأهل التكذيب[1]، فلا بُدَّ من الاستفادة من حوادث التاريخ والأمم السابقة في إسقاط هذه السنن على الواقع الذي نعيشه.

ثالثا: الموازنة بين المصالح والمفاسد:

يؤسّس القرآن الكريم عقلية العقل الناقد على قاعدة: (درءُ المفاسد مقدّمٌ على جلب المصالح) ففي قصة موسى وهارون مع بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، يتّضح كيف كان التفكير الإيجابي من هارون في عدم زجر بني إسرائيل لعبادتهم العجل، وقد كان مؤتمنًا عليهم من قبل سيدنا موسى، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [سورة طه: ٩٢-٩٤]، يعلّق ابن عاشور على فعل هارون: "وهذا اجتهاد منه في سياسة الأمة؛ إذْ تعارضت مصلحتان: مصلحةُ حفظ العقيدة، ومصلحةُ حفظ الجامعة من الهرج، وفي أثنائها حفظ الأنفس والأموال والأخوّة بين الأمّة فرجّح الثانية، وإنّما رجّحها لأنّه رآها أدومَ فإنّ حفظَ العقيدةِ يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل؛ حيث غَيَّوْا عكوفَهم على العجلِ برجوع موسى، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال، واجتماع الكلمة إذا انثلمت عسر تداركها"[2].

لقد سلك هارون مع بني إسرائيل أسلوبَ الناقد الناكر لعبادتهم العجل، فبيّن الخطأ وسببَه أولًا، فقال لهم: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾ [سورة طه: ٩٠]، ثمّ ذكرهم بالله تعالى ثانيًا، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ [سورة طه: ٩٠]، ثم ذكرهم بنبوّته وأنّه مستخلف عليهم ثالثًا، فقال: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ [سورة

---

[1] يُنظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٨، ص٣٠٨.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص٢٩٣.

آل عمران: ٣١]، وأخيرًا دعاهم إلى الشرائع، فقال ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [سورة طه: ٩٠][١].

وقد علّل هارون تفكيرَه لموسى بعد أن عاتبه بأنّه خاف من التشديد عليهم، فيحدث بينهم القتالُ: ﴿تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي﴾ [سورة طه: ٩٤]، وقد أوصاه موسى بقوله: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِين﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢][٢].

الاستطاعة:

وعند الحديث عن الموازنة بين المصالح والمفاسد لا بُدَّ من التّطرق الى موضع الاستطاعة، لتوضيح قدْر السّعة التي يتحرّك فيها العقلُ الناقدُ أثناءَ القيام بواجبه في النقد والإصلاح.

القرآن الكريم يقرّر ألّا تكليفَ للنفس إلّا بقدر الاستطاعة، يقول تعالى:﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، فالله لا يكلّف في أفعال القلب والجوارح إلّا بقدر سعتها رحمته منه سبحانه[٣]، لذلك كان المنهج القرآني في العمل الإصلاحي وطريق النقد يقوم على معيار الاستطاعة، وفي سيدنا شعيب نموذجٌ لمعيار الاستطاعة: فعلى الرغم من أنّه نبيٌّ من عند الله، إلّا أنّه أخذ بقاعدة الاستطاعة مع قومه، يقول تعالى على لسان شعيب: ﴿أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

---

[١] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٢، ص٩٣.

[٢] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٢، ص٣٣٤.

[٣] يُنظر: الهرري، **حدائق الروح والريحان**، ج٤، ص١٤٩.

أُنِيب﴾ [سورة هود: ٨٨]، فالإصلاح بالأوامر والنواهي تكون قدر الجهد والطاقة[1]، والتي يدخل فيها سلامة الناقد في الجوانب النفسيّة الصحيّة والاجتماعيّة، ويدخل فيها قدرُ السّعة العقليّة والمعرفيّة التي يتحلّى بها الناقد، إلّا أنّه لا يعفى من النقد الذاتي لنفسه، لأنّه إذا أقامه نجا بنفسه في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ [سورة البقرة: ٤٨]، ويقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب﴾ [سورة غافر: ١٧]، ويقول:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة﴾ [سورة المدثر: ٣٨].

---

[1] يُنظر: المباركفوري، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، ص٦٧١.

المطلب الثالث: مقومات منهجية البناء للعقل النقدي.

هناك مقوّمات لا بُدَّ أن تكون دائمةَ الحضور في بناء العقليّة الناقدة، أرشدنا إليها القرآن الكريم وحرِصَ على ترسيخها من خلال دورانها المستمر في القرآن الكريم، أذكر بعض منها:

أولًا: الوضوح.

ثانيًا: الموضوعيّة.

ثالثًا: لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.

رابعًا: الشك المنهجي.

خامسًا: العلاقة مع الطرف الآخر.

خامسًا: التفكير التجديدي.

سادسًا: البصيرة.

أولًا: الوضوح:

من أهمّ المقومات التي يستند عليها المنهج القرآني في بناء العقليّة الناقدة هو الوضوح، سواءٌ في الأفكار أم في العبارات، وترجع هذه الأهمّيّة باعتباره المدخل الرئيس لباقي العناصر[1]، والقرآن الكريم شديد الوضوح، شديد الدّقّة في طرحه النقدي، فالقارئ للقرآن الكريم لا يجد نفسه تائِهَ الفكر في التقاط مغزى الآيات، أو صعوبةً في الوصول إلى الهدف المراد، ويمكن رصد هذا الأمر من خلال مواضيع مقاصد السور والآيات القرآنية، ومواضيع المناسبات، ويمكن من خلال التتبع القرآني في إطار المناسبات، ومقاصد السور الخروج بمنهج يتبعه الناقد في اكتساب مهارة الوضوح وترتيب الأفكار.

---

[1] الأصفر، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، ع١١، ص٢٠٨.

في سورة الكافرون مثلًا نجد الوضوح في نقد الكافرين وإعلان البراءة من الشرك[1]، وأن للتوحيد منهجًا، وللشرك منهجًا آخر لا يلتقيان[2]، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُون (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون (٢) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم (٤) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين﴾ [سورة الكافرون: ١-٦].

رُوي في سبب النزول أنّ الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب، وأميّة بن خلف، قالوا للرسول: نعبد آلهتك عام وتعبد آلهتنا عام، فتقوم بينهم المصلحة ومن ثم تزول العداوة، فنزلت هذه السورة ونزل أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُون﴾ [سورة الزمر: ٦٤][3].

وعند الوقوف على ألفاظ الآيات الكريمة، نجد الوضوح في العبارة فناداهم القرآن باسمهم الحقيقي، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الْكَافِرُون﴾ [سورة الكافرون: ١]، فلم يتوارَ القرآن الكريم خلفَ ألفاظٍ مائعةٍ أو عباراتٍ فضفاضة، بل كان دقيقًا صريحًا، فلم يسمّهم الآخر ولم يسمّهم: أيّها البشر أو الناس في هذا الموضع بالذات، لأنّ الموقف يتطلّب الوضوح والصّراحة في المواجهة مع الطرف الآخر الذي ساوم على عقيدة المسلم، لذلك كانت الحقائقُ والطرح النقديّ في السورة خاليًا من التلطف، والدليل على ذلك أنّ كلمة (الكافرون) مازالت تزعج ما يسمّى في العصر الحديث بالآخر فلا يقبل كلمة الكافر، ويحاول تغيرها بشتى الطرق فيعقد الندوات ويدير المؤتمرات فقط ليقرّر طمس كلمة الكافر من القاموس الإسلامي، حتى إنّه وصل نفوذه إلى تغيير المناهج التعليميّة في الدول الإسلامية، لكي تخفت روح الولاء والبراء في نفوس الأجيال.

---

(١) يُنظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٥٨

(٢) يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣٠، ص١٠٤٢.

(٣) يُنظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص٥٥٧.

كما كان القرآن الكريم أيضًا دقيقًا صريحًا في القضايا التي تواجهها المجتمعات الإنسانية، ففي قضية الفساد الأخلاقي لدى قوم لوط، جاء النقد القرآني شديدَ الوضوح في تسمية الفساد باسمه الحقيقي، فسمّاها بالفاحشة، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِين﴾ [سورة الأعراف: ٨٠]، وقال: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِين﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨]، فلم يعجز القرآن بصفة الخلود أن يسمّي هذه الفاحشة بالمثليّة، أو الشذوذ الجنسي، لو أراد ذلك، وكما تنادي به وتروج له العالمية.

وفي قضية الرّبا أيضًا كان القرآن الكريم واضحًا في توصيل المقصود من النقد، وهو التفريق بين البيع والربا، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، وجاءت الألفاظ القرآنية معزِّزة للفكرة؛ بل وتعطيها مفهومًا عميقًا وواسعًا، فعبّر القرآن الكريم عن أخذ الرّبا بلفظ الأكل للدلالة على شيوعه وانتشاره في الأطعمة[١]، فالأكل هو المقوّم الأساسي للعيش[٢].

وبنفس المنطق يتعامل القرآن الكريم في نقدِه لقضية السّحت، والتدليل على السّحت في القرآن الكريم جاء مباشرًا، يقول تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون (٦٢) لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ [سورة المائدة: ٦٢-٦٣]، والسّحت هو كلُّ مالٍ حرام، مهما

---

[١] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص٢٦٦.

[٢] يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٢، ص١١٨٤.

حاولوا الخِداع في أشكاله، سواءٌ رشوة أو سرقة أو اختلاس أو أجر البغاء[١]، أو أجر الساحر أو الكاهن، أو أجر الغناء، وأنواع الميتة[٢]، وغيرها، و قد ساعدت الألفاظ بما فيها من بلاغة قرآنيّة على توضيح المعنى، كلفظ: (يسارعون) الذي دلّ أنّ قدومهم لعمل المنكرات وهم محقُّون فيه، كما أنّ لفظ (يصنعون) يدلّ على الرسوخ والتمكن[٣] في الكذب والسحت.

ثانيًا: الموضوعية:

تعتبر الموضوعيّة من اللوازم الأوليّة لبناء العقليّة الناقدة، وأهمّيّتها تكمن في ضبطها الموازين المتعلّقة بالعمليّات والتحليل والاستقراء، وإصدار الأحكام واتّخاذ القرارات، حيث بها يتخلّص العقل من كلّ الشوائب التي قد تؤثّر عليه، مثل: الشهوات، والرغبات، ومشاعر الحبّ، والكره والخوف، والهوى والمال والسلطة، وغيرها من العوالق النفسيّة والحسيّة، والتي تفسد عمليّة النقد، لذلك جاءت التربية القرآنيّة القائمة على أسس الحقّ والعدل، لتضبط ميزان الحكم، فيرى الناقد الحقائق بكامل تصورها بدون عوالق على العقل.

١- التربية على الحق:

الأمر بالحقّ من صلب الموضوعيّة التي يحتاجها الناقد المصلح في أثناء سيره الإصلاحي، ومن الوصايا الإلهية لأنبيائه، يقول تعالى: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَاب﴾ [سورة ص: ٢٦]، في المقابل انتقد القرآن الكريم أسلوب

---

[١] يُنظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٦، ص٣٢٥٨.

[٢] يُنظر: الجنيدي: حسن محمد، **الربا وصوره المتعددة في زماننا**، (د.م، د.ن، د.ط، ١٩٩١م)، ص٢١١.

[٣] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج١٢، ص٣٩٢-٣٩٣.

اليهود في تلبيس الحقّ بالباطل؛ من خلال تلبيس دينهم الخرافات والأكاذيب والتأويلات باطلة، كما كان من تلبيسهم كتمانُ نبوّة محمد ﷺ[1]، يقول تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [سورة آل عمران: ٧١].

٢- التربية على العدل:

ويقرّر القرآن الكريم أهمّيّة امتلاكِ العقلِ موازينَ العدلِ والإنصافِ، وذلك لصيانة فكره من الزيغ والتحيّز والظلم واتباع الهوى[2]، يقول تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ [سورة الأنعام: ١١٥]، ولمّا كان القرآن الكريم هو البيان لكلّ شؤون الناس في المعاش، وقام على الهدى والرحمة والبشرى؛ حَسُنَ التّخلُص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع الإسلامي المنبثقة من الأمر والنهي[3]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، فأمر الله بالعدل في المخالطة الاجتماعيّة في الأفعال والأقوال[4]، وهذه الآية الكريمة ربطت بين الأمر بالعدل والإحسان وبين النهي عن الفحشاء والمنكر، وهو صلبُ النقد، كما يتقرّر في معنى الوعظ عند ابن عاشور: "وَالْوَعْظُ: كَلَامٌ يُقْصَدُ مِنْهُ إِبْعَادُ الْمُخَاطَبِ بِهِ عَنِ الْفَسَادِ وَتَحْرِيضُهُ عَلَى الصَّلَاحِ"[5].

والناقد لا بُدَّ من أنْ ينضبط بميزان العدل في إصدار الأحكام، يقول تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٧٩.

[2] يُنظر: الرشدان، "التفكير الناقد في فكر ابن تيمية"، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، مج١٨، ع٢، ص١٨٢.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **المرجع السابق**، ج١٤، ص٢٥٥.

[4] يُنظر: **المرجع السابق**.

[5] **المرجع السابق**، ج١٤، ص٢٦٠.

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٣-١١٥]، وقد قُصدِ بالاستئناف في هذه الآية الثناءُ على طائفة من أهل الكتاب (الصالحين من اليهود والنصارى)، كانوا متمسّكين بدينهم مستقيمين عليه[١]، وهذا منهجُ القرآن النقديّ مع المخالف؛ فيذكر حسناته قبل سيئاته.

وفي قصة نوح مع ابنه الذي رفض دعوة الإيمان؛ تظهرُ موضوعيّة القرآن العجيبة في إبراز عدم المحابة حتى مع الرسل، فيصور القرآن الكريم المشهد العادل في تقرير الحكم، في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين (٤٥) قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِين﴾ [سورة هود: ٤٥-٤٧]، فالآيات الكريمة تظهر عدلَ الله في حكمه، فلا محاباةَ لنبيّ ولا شفاعةَ لوليّ، فعدلُه يقتضي أنْ يجزيَ الناس على قدْر أعمالهم[٢]، فلم تنفع شفاعةُ نوح لابنه في نجاته من الهلاك مع الكافرين.

٣- البعد عن التعميم في إصدار الأحكام:

من موضوعيّة القرآن الكريم في النقد، أنّه وجّه المسلمَ في التركيز على بُؤْرَةِ الخطأ أو القضيّة المثارة للنقد، ومن ذلك نقدُ الطرف المتسبّب في الخطأ سواءٌ كان شخصًا أو مؤسسةً،

---

[١] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٥٧.

[٢] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٧٣-٦٩.

وعدمُ تعميم الخطأ على الجماعة أو المؤسسة التي يتبع لها الفرد المخطئ ما لم يقرّوه على أفعاله الخاطئة[1]، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم (٩٨) وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ [سورة التوبة: ٩٨-٩٩]، ويقول سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٩-٦١].

ثالثًا: لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ:

وهذه قاعدة جليلة تصنع خطًّا فاصلًا في منهجية العقل الناقد، فهو لا يجادل ولا ينتقد في أمر لا يعرف عنه شيئا[2]، ولا يتبع ما لا يعلم ولا يعينه، ولا يكون شاهدًا إلّا بما رأته عينه وسمعته أذنه ووعاه قلبه، فلا ينتقد أحدًا[3] إلّا بعدَ التثبتِ[4] وبدليلٍ وقيامِ الحجّة، ولا يتّخذ قرار النقد تبعًا لحزب أو جماعة أو غير ذلك من دون أن يكون له تصور صحيح لما سينقده يقوم على أساس العلم، لذلك انتقد الله تعالى المشركين في تقوّلِهم على الله بدون علم، يقول تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ

---

[1] يُنظر: المزيني: فاضل بن سلطان، **ممارسة معلمي الثقافة الإسلامية مهارات التفكير الناقد واكتساب طلبتهم لها**، رسالة ماجستير، ص٣٣.

[2] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص٢٣.

[3] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢، ص٣٣٩، القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٦، ص٤٦١.

[4] يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٧٠.

كَذِبًا﴾ [سورة الكهف: ٤-٥]، فالآية الكريمة تشير إلى استنكار العقل عن قبول القول، لما فيه من فساد وبطلان، حيث كان التلقي تقليدًا من غير فكر ولا تأمل[١]، وكقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧]، فالآيات تدعو إلى التثبت الذي يقوم على الدليل والبرهان[٢].

والقرآن الكريم أشار إلى طريقة معالجة الناقد في تحرّي الأدلّة قبل أن يقول رأيه، ففي قصة الهدهد مع نبي الله سليمان ﷺ، في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة النمل: ٢٧]، فمن مهارات الناقد التمييزُ بين الحقائق والآراء الشخصيّة، والتثبت من مصداقيّة مصدر المعلومات[٣]، وهذا دلّلَ عليه القرآن الكريم، فسليمان أراد تحرّي الصدق والتثبت من الخبر الذي جاءه عن مملكة سبأ، وهذا دليلٌ أنّهُ عقليّة ذات تأمل ورزانة[٤].

أ- "كل" تفيد "الإحاطة من أول الأمر"[٥]، والقرآن يأمر بعدم الدخول في النوايا أو الشك بغير دليل، فالعقليّة المؤمنة التي بُنيت على معارف إيمانيّة، لا يمكن لها أن تسير إلّا بُحسن النّيّة مع الآخرين، ولا تستخدم النقد إلّا مع جود الدليل والبرهان.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]: "وَهَذَا أَدَبٌ خُلُقِيٌّ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَيْضًا إِصْلَاحٌ عَقْلِيٌّ جَلِيلٌ يُعَلِّمُ الْأُمَّةَ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ مَرَاتِبِ الْخَوَاطِرِ الْعَقْلِيَّةِ؛ بِحَيْثُ لَا يَخْتَلِطُ عِنْدَهَا

---

[١] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢١، ص٤٢٥، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥، ص٢٥٢.

[٢] يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٥٦١.

[٣] يُنظر: المزيني، **ممارسة معلمي الثقافة الإسلامية مهارات التفكير الناقد واكتساب طلبتهم لها**، رسالة ماجستير، ص٣٥.

[٤] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص١٨٨، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٦٠٤.

[٥] ابن عاشور، **المرجع السابق**، ج١٥، ص١٠١.

الْمَعْلُومُ وَالْمَظْنُونُ وَالْمَوْهُومُ. ثُمَّ هُوَ أَيْضًا إِصْلَاحٌ اجْتِمَاعِيٌّ جَلِيلٌ يُجَنِّبُ الْأُمَّةَ مِنَ الْوُقُوعِ وَالْإِيقَاعِ فِي الْأَضْرَارِ وَالْمَهَالِكِ مِنْ جَرَّاءِ الِاسْتِنَادِ إِلَى أَدِلَّةٍ مَوْهُومَة"[1].

ب- قد يقود التقول بغير علم إلى السطحيّة في النقد، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفة المعيبة والمخالفة لمنهجيّة النقد القرآني، وطرحها أمام العقل المتدبّر لمفاهيم القرآن ليصل معه إلى حقيقة النقد السطحي الذي صدر عن جهلٍ وضعفِ حجّة، كقوله تعالى في طرح شبهة إنكار المشركين لنبوة الرسول: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٧-٨]، تصوّر الآيات ركاكة العقول، وقِصر النظر، فقد نفوا عن الرسول الخصائص البشرية من المعايش مثل الأكل والشرب وقضاء حاجته في البيع والشراء، ولو كانوا منصفين في إظهار الحجّة لعلموا أنّ الرسلَ لم يتميّزوا عنهم في الخصائص الجسدية؛ بل كان التميّز الإلهي في الخصائص النفسيّة، كما وضح تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، ثمّ عندما أتعبتهم ضحالة العقول، أكملوا النقد في دعوى النبوّة بأنْ يُنزَّلَ له ملكٌ يساعده، أو تكونَ له من الأموال الكثيرة، أو بستان يستغني به عن المشي والطلب في الأسواق، ولما تعبت عقولهم ختموا أقوالهم بأنّ الرسول قد ذهب عقله بالسحر[2].

لذلك كان الرد المباشر على ضحالة العقول، بقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ [سورة الإسراء: ٤٨]، وجاءت الآية بصيغة التعجب

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥، ص١٠١.

[2] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٦، ص٢٠٤، القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٧، ص٤١٩، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٥٧٩.

استعظامًا لضحالة العقول التي قادت إلى التقوّل الباطل[١]، ومن اعتاد عقله على استعمال الأباطيل لن يستطيع الاهتداء إلى المقدّمات الصحيحة[٢]، وهذا دليلٌ على سطحيّة العقول التي لم تُبنَ على حقائق اليقين ولا على معارف إيمانية.

رابعًا: الشك المنهجي:

يعتبر الشك من المراحل الأوليّة للنقد، والذي في الغالب ما يتطور ليصل إلى مرحلة النقد[٣]، فالعقليّة الناقدة لا تأخذ الأمور كما هي، ولا يعني وجود أبنية على مختلف الأصعدة العقليّة والحياتية التي قد تكون موجودة منذ فترات طويلة بأنّها صحيحةٌ أو أنّها الأكثرُ ملائمةً لكلّ الأوقات[٤]، كما أنّ الشكّ[٥] حالةٌ فطريّةٌ تحدُث عند غياب الأمارة المرجّحة أو عند غياب الحقيقة[٦]، حيث يوجّه القرآن هذا الشكَّ الفطريَّ في البحث عن الحقيقة والمعرفة برصد الأدلّة والشواهد وإبعاد الآراء المسبقة، ومقاومة أهواء النفس ونزعاتها[٧]؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾ [سورة يونس: ١٠٤]، فالآية تدلّ على تحريض الرسول ﷺ لأهل مكّة على الشكّ المنهجيّ في المعبودات، ثمّ الترجيح بينها من خلال إعمال العقل، فيقول لهم: إن كنتم في شكٍّ من ديني وصحّته فهذا ديني؛ فاسمعوا وصفه واعرِضوهُ على عقولكم لتعلموا أنّه دينٌ لا شكَّ فيه،

---

[١] يُنظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٧، ص٤٢٠.

[٢] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٦، ص٢٠٥.

[٣] يُنظر: الراشدان، **التفكير الناقد في التربية الإسلامية**، ص١٠٢.

[٤] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص١٦.

[٥] معنى الشك في اللغة: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وقد يكون ذلك لوجود أمارتين متساوتين عند النقيضين أو لعدم الأمارة فيهما. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٧٣.

[٦] يُنظر: الشخص، "استعمال لفظتي الشك والريب في القرآن الكريم"، **مجلة الدرعية**، مج١٠، ع٤٠، ص٢٧٣.

[٧] يُنظر: طيبي، "الشكّ المنهجيّ في الإسلام"، **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، مج٧، ع١، ص٤٢٦.

وفي المقابل لن أعبد الأنداد الذين تعبدونهم من دون خالقكم ورازقكم ومتوفيكم[1].

كذلك نرى الشكَّ المنهجي في سورة إبراهيم يقول الله تعالى: ﴿قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠].

خامسًا: العلاقة مع المخاطب:

١- مراعاة أحوال المخاطبين:

القرآن الكريم جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور يقول تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد﴾ [سورة إبراهيم: ١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور﴾ [سورة إبراهيم: ٥]، فكان طريقُ الإخراج من ظلمات الخطأ والانحراف إلى أنوار الاستقامة يحتاجُ من الداعية والناقد معرفةَ أحوال المخاطبين؛ لأنّ الله خلقهم مختلفين، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين﴾ [سورة هود: ١١٨]، لذلك كانت مراعاة أحوال المخاطبين من أهمّ ما يحتاجه الناقد في طريقه التصحيحي، والأساسُ الذي تقوم عليه المخاطبةُ هو نهجُ المسالمة التي تبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، ومن ثم يأتي اللين، وهو من أهمّ أدوات الناقد التي لا بُدَّ أن يتحلّى بها، فقد أمر الله تعالى موسى وهارون في رحلتهم الإصلاحيّة إلى أكبر الطغاة عنفًا وتجبرًا، أن يتحلّيا بطابع اللين، قال تعالى:

---

[1] يُنظر: النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق: يوسف علي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢، ص٤٤، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٧٥.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي(٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣) فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٢-٤٤]، فأمر الله تعالى باللين في القول مع الجاحد الكافر، وذلك لأنّ في العادة من أحوال الطغاة إذا أغلظ عليهم في الوعظ والإنكار زادوا غلظةً ونفورًا، فلا يحصل النفع المقصود من الدعوة والإنكار؛ بل قد يزداد الأمر سوءًا، لذلك أمر الله بالرفق[١]، وهذا من حكمة الله تعالى في توجيه الداعي والناقد المصلح لمراعاة أحوال المخاطبين.

ومن الأسباب الداعية إلى اللين بالقول مع الطاغية والمتجبر ليس الخوف منه بقدر ما يكون تأثير الأسلوب اللين على ردة فعله، لذلك قال تعالى: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤]، يقول الرازي:" يَخْشى فَيَرْجِعُ مِنْ إِنْكَارِهِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ وَإِنْ لَمْ يَنْتَقِلْ مِنَ الْإِنْكَارِ إِلَى الْإِقْرَارِ لَكِنَّهُ يَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ الْخَوْفُ فَيَتْرُكُ الْإِنْكَارَ وَإِنْ كَانَ لا ينتقل من الإنكار إِلَى الْإِقْرَارِ فَإِنَّ هَذَا خَيْرٌ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْإِنْكَارِ"[٢]، ومن خلال هذا التفسير يمكن القول أن القرآن الكريم حريص على الخروج بنتيجة إيجابية من عملية النقد، ولو كان صغيرا أو قليلا، يعتبر خير كثير، فتوقف الخطأ، يجنب المجتمع مفسدة أو مضرة وهو دليل نجاح للناقد.

معاني أخرى تضمّنتها هذه الآيات العظيمة:

ومن المعاني العظيمة في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنِيَا﴾ [سورة طه: ٤٢]، دلالة على الصبر، وعدم الفتور أو التقصير[٣] في دعوة النقد والتغير عند عدم تحصيل النتائج

---

[١] يُنظر: فخر الدين الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٢، ص٥٢.

[٢] **المرجع السابق**.

[٣] يُنظر: **المرجع السابق**.

المرجوة، أو في عدم الاستجابة. وفي قوله: ﴿فِي ذِكْرِي﴾ [سورة طه: ٤٢]، تذكير فرعون وقومه بالخطأ الذي يمارسونه وهو الكفر، ويذكروهم بالنتائج المترتبة على عدم الاستجابة من عقاب[1].

كما دلّت الآيات على أنّ الواجب على الناقد أن يستمعَ للطرف الآخر وإن كان باطلًا، والرد عليه من غير إيذاءٍ ولا فحش في القول كما فعل موسى مع فرعون، وكما أمر الله تعالى نبيّه في قوله: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [سورة التوبة: ٦].

فالتوجيه القرآني في الإصلاح النقدي راعى أحوال المخاطبين في نقطتين:

أ- أحوال المخاطبين: أغنياءهم وفقرائهم، عزيزهم وذليلهم، حاكم ومحكومين، عادل ومستبد، مسلم ومنافق وكافر... الخ.

ب- طبيعة النفس البشرية، وما تنطوي عليه النفس البشرية من ضعف وهلع وعجل، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [سورة المعارج: ١٩]، وقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٧].

وتظهر أهمّيّة الناقد المتمكّن في القدرة على الممارسة العمليّة النقديّة في كلّ الظروف، ومع مختلف أنواع الشخصيّات، بما يتناسب مع الظرف والزمان.

٢- عدم ادّعاء الحقيقة المطلقة:

يعلِّم القرآن الكريم المؤمن ألّا يتعامل مع الآخر المخالف من منطلق أنّه يمتلك الصواب الكامل، والآخر على الخطأ الكامل، وفي سورة سبأ توضيحُ هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن

---

[1] يُنظر: فخر الدين الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٢، ص٥٢.

يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ [سورة سبأ: ٢٤-٢٥][١]، والآيات تُظهرُ عدمَ تخصيص أحدٍ من الفريقين بالهدى أو الضلال، وهو من الإرشاد القرآني الذي يقرّر الإنصاف في إظهار الحجّة[٢]، ومن مقوّمات الإنصاف التي أبرزتْه الآيات أنْ نسب الخطأ إلى المؤمنين أنفسهم، فنسب الإجرام للمؤمنين والعمل للمخاطبين مع أنّ أعمالهم من الكبائر[٣]، بالإضافة الى أنّه أسلوب لتجنب الغضب المانع للفهم[٤].

ملاحظة:

إنّ الناقد عندما يقوم بواجبه نحو مجتمعه ومحيطه، قد لا تحدث الاستجابة أو لا تتحقّق النتائج المرجوة، فهذا ليس من واجبه، فالقرار باتّباع الحقّ وترك الباطل من مسؤولية الفرد واختياره، يقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، ولكنّه يؤدّي الواجب الذي عليه في نقد نفسه ومجتمعه سعيًا للإصلاح، قال تعالى: ﴿واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْل بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣-١٦٤].

---

[١] يُنظر: البنا، **التفكير الموضوعي في القرآن**، ص٧٨.

[٢] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٥، ص٢٠٥، أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٧، ص١٣٢.

[٣] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٧، ص١٣٣.

[٤] ينُظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٥، ص٢٠٦.

سادسًا: الدعوة إلى التفكير التجديدي:

من المقوّمات الضروريّة في بناء العقليّة الناقدة، والتي سيأتي الحديث عنها في مبحث معوّقات العقليّة الناقدة التفكيرُ التقليديُّ ومحاكاةُ منهج الآباء والأتباع، ولقد جاء القرآن الكريم منذ أوّل نزوله محاربًا لهذا المنهج الذي يربّي العقل على الجمود، ويقيم حواجز صلبةً أمام دعوات التجديد والتغير الإيجابي، ويرفض كلّ صوت ينادي بالوقوف على محطّات الخطأ ومعالجتها، يقول تعالى في وصفه هؤلاء الذين التزموا بالعقل التقليدي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُون﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُون﴾ [سورة المائدة: ١٠٤]، ويقول: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِين﴾ [سورة يونس: ٧٨]، ويقول: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِين﴾ [سورة الأنبياء: ٥٣]، فجاء القرآن ليزيل كلّ أوجه التّدثُّر بالتقليد، داعيًا المؤمن للتفكير التجديدي في القضايا والمواقف التي قد يتعرّض لها كناقد ومصلح، فكانت سيرة الأنبياء في القرآن الكريم نماذجَ للتجديد في النقد، فكلّ نبي جاء معالجًا لقضيّة تختلف عن قضية النبي الآخر، بعد قضيّة التوحيد، فكان هناك النقدُ للفسادِ الأخلاقي متمثلًا بقصة لوط مع قومه، والفسادِ الاقتصادي في قصة شعيب، وفي قصة قارون، وفي قصة يوسف والعلاقات الأَخويّة، وقضايا الطغيان والاستبداد في الحكم كقصة موسى مع فرعون، وغيرها كثير.

سابعًا: البصيرة:

البصيرة نورٌ يقذفه الله للمؤمن تتّضح بها الرؤية للأمور، وذلك على قدرٍ زاده من التقوى

والإيمان، والناقد هو المسؤول عن قدر البصيرة التي يمتلكها، بما يكتسبه من معارف إيمانية وحقائق قرآنيّة، تجعل له بصيرة وفرقانًا، يميّز فيه بين الخير والشر والحق والباطل، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤]، فالآية تشير إلى أنّه مَنْ أبصر حقائق الإيمان وانتفع بالعبر وعمل بها نجا بنفسه، ومن لم يتبصّر حقائق الإيمان ولم يتّعظ بالعبر ولم يتوقّف عند الزواجر فإنّ عماه على نفسه[١]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]، فطريق الحقّ واضحٌ كما أرشدنا القرآن، وإنّما البصيرة تأتي على قدر اليقين والعلم والتمكن من الحجج[٢]، وهذه حقيقة أقرّها القرآن، فجعل البصيرة من كسب الإنسان، يقول تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة﴾ [سورة القيامة: ١٤]، في المقابل امتدح الله تعالى أهل التقوى بأنّهم يمتلكون نعمةَ الإبصار والبصيرة في مراجعتهم لأخطائهم وزلاتهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١]، لذلك نجد كثيرًا ممّن يمتلك مقوّمات العقليّة الناقدة؛ إلّا أنّه يفتقد إلى البصيرة، التي تضبط له عمليّة النقد من بداية الاستشعار بوجود الحاجة للنقد، حتى الى نهاية الوصول النتيجة المطلوبة.

---

[١] يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢٦٨.

[٢] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٤، ص٣١٠، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٦٥.

المبحث الثالث: معوقات بناء العقلية الناقدة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معوّقات ذاتيّة.

المطلب الثاني: معوّقات اجتماعيّة.

تمهيد:

لاشكّ أنّ بناء مجتمعٍ حضاريّ يمتلك أفرادُه عقولًا ناقدةً ليس بالأمر اليسير ولا بالهين، بل إنّ البناء في هذا الجانب شاقٌّ ويحتاج إلى مجاهدة ومصابرة وإخلاص وعزم، كما يحتاج من الفرد والمجتمع تجاوز العقبات التي تقف أمام هذا التكوين، والقرآن الكريم عندما خلق بآياته الجليلة البيئة المناسبة للتكوين المعرفي والنفسي للعقليّة الناقدة، وأوضح لنا المنهج والوسائل، أوضح أنّ هناك عوائقَ لا بُدَّ من الحذر منها وعوائقَ لا بُدَّ من تجاوزها، وهذه العوائق والموانع قد يكون بعضها ظاهرًا جليًّا أمام صاحب القرآن الكريم، وقد يكون البعض منها يحتاج إلى تبصر وتدبر، وربط بين آيات الله والواقع، وحُسن الاستخلاص والاستنتاج لمعاني القرآن الكريم الذي يلامس الواقع المعيش.

إنّ المعوّقات التي قد تزحف إلى مسيرة بناء مجتمع ناقد؛ هي معولُ الهدم الأول في نقض البناء، وآفةٌ قاتلة قد تنهش في جسد المجتمع من غير أن يدري، ولا يشعر بها إلّا بعد تفاقم الأخطاء والمصائب.

حاولت في هذا المبحث الخروجَ عن الصورة النمطيّة في ذكر المعوّقات، والبحث عن معوّقات جوهرية تلامس الواقع والمجتمع المسلم.

يتكون هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: معوّقات ذاتيّة

المطلب الثاني: معوّقات اجتماعيّة.

المطلب الأول: معوّقات ذاتيّة.

هناك معوّقات تحول دون بناء العقل الناقد، منها ما يكون من طبيعة النفس البشرية، تؤثّر في الذات خاصّة، ولا يمنع أن تكون صفةً للجماعة، من أهمّها في رأي:

١- الجهل.

٢- الكبر والاعتداد بالذات.

٣- عدم الاعتراف بالأخطاء.

٤- الذهنيّة المغشوشة.

٥- القفز إلى النتائج.

١- الجهل:

الجهلُ بالقضيّة موضع النقد من أكبر المعوّقات التي تقف أمام البناء، وذلك يتصّور بأن لا يكون للفرد نقدٌ سليمٌ في قضية يجهل أبعادها[١]، والقرآن الكريم عزّز هذا المعنى، وجاءت الكثير من المواضع في السور القرآنية ترفض هذا النوع من الجهل في القضايا التي يتعرّض لها الانسان، ففي قضية الانحلال الأخلاقي الذي كان يعيشه قوم لوط، جاءت الآيات تصفهم بالجهل:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُون (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون﴾ [سورة النمل: ٥٤-٥٥]، يقول البيضاوي في شرحه لمعنى الآيات الكريمة: "بل أنتم قوم تجهلون، تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيهًا لا يميّز بين

---

[١] يُنظر: المزيني، **ممارسة معلمي الثقافة الإسلامية مهارات التفكير الناقد واكتساب طلبتهم لها**، رسالة ماجستير، ص٥١.

الحسن والقبيح"[1]، ولقد ذكرنا سابقًا أنّ من معاني النقد في اللغة هو التمييز بين الحسن والقبيح، وهو من صفات الناقد، فالجاهل لا يملك صفةَ التمييز التي تبنى بالعلم والمعرفة، لذلك كان انتشار هذه الفاحشة في بيئة يظهر فيها الجهل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُون﴾ [سورة الأحقاف: ٢٢-٢٣].

٢- الكبر والاعتداد بالذات:

من الحواجز التي تمنع الناقدَ من الوصول إلى المعرفة الموضوعيّة لعملية النقد مشاعر الغرور والتكبر، وأنّ المعرفة الصحيحة تنحصر في نظرة الشخص نفسه، وفي القرآن الكريم جاءت الأمثلة الكثيرة توضّح ضررَ الكبر والاستعلاء في قبول الحقّ والنظرة المتوازنة للقضايا والمواضيع، ولقد تطرّقتُ في الفصل الأول في البناء المعرفي لاستكبار فرعون، وفي البناء النفسي لأوّل وأكبر قضيّة استكبار تعرّض لها المجتمعُ البشري والملائكيّ، وهو رفض إبليس أوامرَ الله.

وذكر القرآن الكريم الاستكبار في الأمم السابقة مثل قوم عاد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون﴾ [سورة فصلت: ١٥]، فاستكبارُ قوم عادٍ واستحقارُهم لغيرهم صرفَهم عن قبول الايمان الذي جاء به رسول الله، وقد عبّر القرآن الكريم: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: ٦١] زيادةً في التشنيع للاستكبار؛ لأنّ جميع المغريات من المال والسلطان والقوّة والعلم لا توصل الإنسان إلى منزلة الخلوّ من المعايب والنقص الذي هو صفةُ للبشرية، بينما الكمال

---

[1] البيضاوي: ناصر الدين عبد الله الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ)، ج٤، ص١٦٣.

والكبر من صفات الخالق، لذلك أورثهم الكبرُ الاستخفافَ بغيرهم، فتعاظمت أنفسُهم عندما أنكر عليهم هود الشرك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦]، هناك معنًى يدلُّ على أنّ الكبر هو الذي يصرف صاحبه عن النظر في الأدلّة والبراهين القائمة، والاكتفاء بوجهة نظرهم، وذلك لشعور الكبر والتعظيم لأنفسهم، فلا يليقُ أخذ النظر إلى الحقّ مِنْ جانبِ مَنْ هم دونهم في القوّة والشرف[2].

٣- عدم الاعتراف بالأخطاء:

التكبر والغرور الذي يصيب الإنسان قد يعميه عن الاعتراف بالخطأ: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [سورة غافر: ٥٦]، فلا يواجه المشكلة وبالتالي لا يستطيع حلّها أو الخروج منها، والقرآن الكريم أرشد إلى أن لا مفرَّ من الوقوف على الجرح والنظر في الأسباب، وعدم التهرب من المسؤوليّة، ولا بُدَّ من الاعتراف بالخطأ، كما كان خطاب القرآن الكريم للمؤمنين في أحداث معركة أحد، وتسجيله لتبعية الهزيمة عليهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، فوضّح القرآن الكريم من واقع الخطأ الذي ارتكبوه، لذلك ذيل

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٤، ص٢٥٦.

[2] يُنظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص١٦٩.

التعجب، بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥][١].

٤- الذهنيّة المغشوشة:

يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان بعضُ النقاط:

أ- الخلطُ بين نصوص الوحي المعصومة، ومفاهيمِ البشر التي يجري فيها الصواب والخطأ، فتنتقل العصمة من النصّ الإلهي إلى نصوصٍ بشريّةٍ أحيطت بهالة مقدّسة، فيحدثُ الانحرافُ والغلوُّ، ويغلق باب النقد والمحاسبة[٢]، وهذا ما حذّر منه القرآن الكريم في الغلو بسيدنا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

ب- النظر من جانبٍ واحدٍ (الثنائية أو التطرف في التفكير):

وهو ميلُ الشخص للنظر في الموضوع من زاويةٍ واحدةٍ، ومن خلال تفكيرٍ محدّدٍ، فينظر للأمور على أنّها جيدةٌ أو سيئةٌ، دون أن يدرك أنّ ما حكم عليه بالسوء قد تكون فيه نواحٍ إيجابيّة لم يرها، وتؤثّر في الحكم والنقد[٣].

---

[١] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٦٠-١٦١.

[٢] يُنظر: البنا، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، ص٢٢.

[٣] يُنظر: إسماعيل، **التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق**، ص٧١.

٥- القفز إلى النتائج:

قد يبدأُ الفرد بنقد قضايا صحيحة لكنّه يتسرّع في القفز للنتائج بدون السير في تحليل القضية التي ينتقدها بصورةٍ يظهر فيها التسلسل منطقيًّا صحيحًا[١]، ممّا يؤثّر على مصداقيّة النقد أو نجاحه.

والتسلسل المنطقي في قضايا النقد كثيرٌ وواضحٌ في القرآن الكريم، كما جاء مع سيدنا إبراهيم، حيث بدأ بالتسلل المنطقي في نقد الشرك الذي كان عليه أبوه وقومه، وجعل من التسلسل والتدرج في تتبّع الحجج والبراهين سبيلًا للوصول إلى النتيجة الصحيحة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالّين (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون (٧٨) إِنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾ [سورة الأنعام: ٧٦-٧٩].

---

[١] يُنظر: الشوربجي، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، ص٢٧.

المطلب الثاني: معوّقات اجتماعيّة.

كما أنّ هناك معوقاتٍ يمكن أن تكون فرديّةً، كذلك يمكن أنْ نرى بعض المعوّقات تخرج وتصاغُ بشكلٍ مجتمعيٍّ أو جماعيٍّ، ممّا يكون أثرُها أخطرَ على الأمّة ومنها:

١- التقليد.

٢- الانغلاق والجمود.

٣- الاستبداد وقمع الحرّيّات.

٤- التحزّب.

٥- المحيط الثقافي.

٦- ضعف العقيدة.

١- التقليد:

من أهمّ المعوّقات التي تقف عثرةً في طريق تكوين العقل الناقد التقليدُ: بمعنى السير على نهج الآباء والأجداد والكُبراء والأتباع، من غير النظر في المسائل والأحوال بطريقة صحيحة، وقد كثر الذمُّ والنقدُ في القرآن لهذه الفئة، قال تعالى في ذمّ أتباع الآبائية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، فهؤلاء يعترفون أن لا سندَ لهم غير التقليد، فلا دليلًا عقليًّا ولا نقليًّا يهتدون به[1]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ

---

[1] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٨، ص٤٣.

(٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣-٢٤].

والمتأمّلُ في قصص الأنبياء مع أقوامهم يجدُ أنّ الأممَ منكرةٌ للتوحيد والإيمان، بالإضافة إلى تعطيل العقل عن النظر في صحّة دعوة الإيمان المرسلة لهم، إلّا أنّ هناك جانبًا آخرَ مهمًّا، وهو شبه انعدام النقد بينهم، وذلك لأنّ أنفسَهم تشربت التقليد والآبائية ونشأت عليه، فلم تنكر العقول ما تمارسه من مفاهيم مغلوطة، بل إنّهم أنكروا على الرسل دعواتِ النقد الإصلاحي، فعندما جاءهم نوحٌ بالرسالة الإلهيّة وأنكر عليهم الشرك؛ رفضوا قبول الدعوة بحجّة أنّهم لم يسمعوا بذلك في آباءهم الأولين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون (٢٣) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِين﴾ [سورة المؤمنون: ٢٣-٢٤]، فهؤلاء القوم لم يعوّلوا في شيء من مذاهبهم إلّا على التقليد والرجوع الى أقوال الأباء[1]، وكذلك في دعوته إبراهيم لقومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١-٥٤]، والدليل على أنّهم أَلِفُوا الضلال أنّهم يرونه حقًّا، لذلك كان سؤالهم لإبراهيم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِين﴾ [سورة الأنبياء: ٥٥].

وفي دعوة هود ما كان رفض القوم لدعوته إلّا إشارةً إلى التمسك بالتقليد، كما صوره القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ص٢٣-٢٧١.

كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾ [سورة الأعراف: ٧٠]، أي: أنّ الإعراض بسبب حبّ التقليد الذي ألفوه كما ألفه آباؤهم[١].

٢- الانغلاق والجمود الفكري:

"والجمود يعني انعدام المرونة ومقاومة التغيّر"[٢]، والجمود ضدّ التجديد الذي تمّ التطرق إليه في مبحث: منهجيّة القرآن الكريم في بناء العقليّة النقديّة.

وقد عاب القرآن الكريم على اليهود والنصارى طريقة الجمود التي اتّبعوها باتّخاذهم للأحبار والرهبان، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ [سورة التوبة: ٣١]، ينقل الرازي عن شيخه في تعليقه على هذه الآية فيقول: "قد شاهدت جماعة من مقلّدة الفقهاء، قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أنّ الرواية عن سلفنا وردت بخلافها، ولو تأمّلت حقّ التأمل وجدت هذا الدّاء ساريًا في عروق الأكثرين من أهل الدنيا"[٣]، فالجمود يمنع العقل من التكيّف المطلوب مع الواقع المعاش، ويقرّر على الأجيال المتعاقبة الرضى بما هو كائن، فيحرِمُ الأمّة من النهوض والتقدّم بعد كلّ عثرة، ويترك أثرًا غيرَ صحيح عن الدين وأهله.

---

[١] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٣، ص٢٣٩.

[٢] كفاني، "معوقات التفكير الناقد"، **حولية كلية التربية**، ع٢، ص٢٢٦.

[٣] الرازي، **مفاتح الغيب**، ج١٦، ص٣١.

٣- الاستبداد وقمع الحريات:

يعد الاستبداد من أخطر المعوّقات لبناء عقليّة ناقدة ؛ بل يكاد أن يكون المعوّق الأول لهدم مشروع مجتمع ناقد، فالعقل الناقد لا يمكن أن يولد في بيئة مستبدة: تقمع فيها الحرّيّات، تعتقل فيها العقول، وتضيع فيها الحقوق، وتهدم فيها القيم والأخلاق، وتغلق مساحة الحرية بسلاسل التخويف والتشريد، فلا أمن ولا أمان، والقرآن الكريم هو المؤسّس الحقيقي للحرّيّات، أمر بها وأوجب على المؤمنين القيام بمقتضاها، وكفلها للبشرية جميعًا، وأولها حريّة الاعتقاد، يقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، ومنع تكميم الأفواه، ووسّع دائرة الحرية لتصل إلى مناقشة أصحاب الفكر المناقض في أدقّ تفاصيل الإيمان ووجود خالق، فدعاهم لمقارعة الحجّة بالحجّة والدليل بالدليل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين﴾ [سورة البقرة: ١١١].

وفي آيات سورة الحج، معنًى عظيمٌ وعميقٌ لمعنى الحريّة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز﴾ [سورة الحج: ٣٩-٤١]، تصور الآيات قوى الطغيان والاستبداد وفي محاولتها لكبْتِ أعلى أنواع الحرّيّات التي منحها الله للبشرية، وهي حريّة الإيمان واختيار العقيدة، فتخرج المؤمنين المستضعفين من ديارهم بغير استحقاق ولا ذنب لذلك، لكن القانون الإلهي واضح في قضية الاستبداد وقمع الحريات، لقد ضمن الله تعالى الدفاع عنهم فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور﴾ [سورة الحج:

٣٨][1]، بل إنّني أرى ربطًا عجيبًا بين توفّر الحريّة والتمكين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالحريّة تحرّر العقول من الخوف، وتجعلها تنطلق في مسيرة التصحيح من خلال النقد الإيجابي الذي يعمل على نهضة المجتمع متسلّحًا بشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- التحزب:

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾ [سورة الروم: ٣٢]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾ [سورة المؤمنون: ٥٣]، والتقطيع في الآية إشارةٌ لشدّة الاختلاف، فكلّ فريقٍ منهم فرح بما اتّخذه لنفسه دينًا، اعتقادًا منه أنّه المحقّ الرابح وغيره على المبطل الخاسر[2]، والتحزب في النقد عائق ومرض أمام تطور ونهضة المجتمعات، بل هو في غاية الخطورة على السلامة والاستقرار، وقد ابتليت الأمّة الإسلاميّة بهذا النوع من النقد الخادع، الذي يعمل لصالح المجموعة التي لا ترى الحقّ إلّا وفق معتقدتها ومصالحها، بمعنى لم تكن عادلة في النظر لقضايا الأمة المؤتمنة عليها، فلم تحقق عمليات النقد المغزى منها، بل تسبّبت في عدم ثقةٍ، وإحباطٍ من جانب المجتمع، وتناحرٍ وخلافٍ من جانب الأحزاب الأخرى.

٥- المحيط الثقافي:

كثير من الفقد في بناء العقليّة النقديّة يكون بسبب المحيط التي يعيش فيه الفرد، فالأفكار والمفاهيم التي يتربّى عليها الفرد -ويجد نفسه من غير وعي مدافعًا عنها- قد تكون عائقًا لنضج

---

[1] يُنظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١٥، ص٨٠٩-٨١٠.

[2] يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج٢٣، ص٢٨٢.

الوعي وممارسة النقد[1]، لذلك كانت دعوة القرآن الكريم والتي جاء بها الرسول الكريم هي للتحرر من الأغلال التي كانت تطوق العقول عن الفهم الصحيح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، فالعقل الناقد يحتاج إلى التحرّر من تبعيّات الثقافة التي فرضت عليه، كما حرّر القرآن الكريم بني إسرائيل من ثقافتهم المتشددة: كغسل أثر البول، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقتل النفس عند التوبة[2]. وفي هذه الآية الكريمة نرى كيف أنّ القرآنَ جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – والذي يمثّل نواة العقل الناقد – أولَ معوّل لتكوين مجتمع مؤمن فالِحٍ، يتمتّع بالطيبات ويمتنع عن المحرمات والخبائث، ويتحرّر من ثقافات خاطئة قد تحيطه وتمنعه من الشهود الحضاري.

٦- ضعف العقيدة:

فشا في الأزمنة المتأخرة من الأمّة المسلمة ضعفٌ في العقيدة، ورسخت في الأذهان أنّه لا تضرّ معصية مع إيمان، وأصبحت هذه المقولة معبرًا لظهور الغش والكذب والاحتيال[3]، وكثيرٍ من المحرمات التي تحوّلت تدريجيًّا إلى أمر مألوف لدى المجتمع، وأصبح المؤمن المصلح غيرَ قادرٍ على إقناع المجتمع أنّ هذا خطأٌ، ولا بُدَّ من التصحيح، وظهور التحوّل والتحوّر في

---

(١) يُنظر: بكار، عبد الكريم، **تكوين الفكر**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص٨٩.

(٢) يُنظر: الرازي، **مفاتح الغيب**، ج١٥، ص٣٨٢.

(٣) نخبة من المؤلفين، **الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد**، (قطر: مركز البحوث والدراسات، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٥٢.

المصطلحات اتّبعها تحوّلٌ في الفهم والقبول، ولعلّنا نجده في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، فالانسلاخ الذي حدث لم يكن في مجتمع كافر، بل كان الانسلاخ لرجل أعطاه الله الإيمان وأدوات المعرفة، لكنّه تنكّر لها واتّبع هواه وآثر الشهوات والمصالح الدنيوية، وهكذا المجتمع عندما يتبع هذا الطريق، يكون من الصعب على العقليّة الناقدة أن تعمل في بيئة ظاهرها فيه الرحمة بدعوى الإسلام، وباطنها فيه الرفض والانسلاخ من الهوية الإسلامية بدعوى التطور؛ بل من الصعب تنشئة جيل يملك عقليّةً ناقدةً وقد تكوّنت لديه ألفه مع المحرمات المتحورة، والنوافذ المفتوحة التي تجعل من كل شيء دارج، بلا مسلمات وثوابت محرم الخوض فيها، ولا ضوابط شرعية تحفظ العقل والنفس.

الخاتمة

تجلّى لي من خلال السير في البحث بعض النتائج والتوصيات، وفيما يلي أهمّها:

أهم النتائج:

١- العقل الناقد يُبنى بمعارفَ قرآنيّة، والتي هي الزاد الأساس للعقل والنفس.

٢- التفاضل في قوّة وفاعليّة العقل الناقد، يعتمد على ما يستقرّ في عقل المؤمن وقلبه من حقائق إيمانيّة، ويكون هو المسؤولُ عن تفعيلها في حياته.

٣- القرآن الكريم مليءٌ بالشواهد والأحداث التي ترشد العقل الناقد إلى اتّخاذ المنهج، والوسائل في الحياكة النقدية للواقع الذي يعيشه، لكنّه يحتاج من المؤمن إلى التدبّر الحقيقي في الخطاب القرآني له.

٤- العقل والنفس جناحا النجاح لبناء شخصيّةٍ مؤمنةٍ ناقدةٍ، والقدرةُ على الموازنة بين العقل والنفس هي سرُّ العقليّة الناقدة المسلمة، وخاصيّة تتميز بها عن الآخرين.

٥- العقليّة الناقدة المسلمة تختلف عن العقليّات الناقدة غير المسلمة، حيث الأولى تبني أُسُسَها على معارفَ وحقائق إلهيّة، ولها ضوابطُ ومحاذيرُ ربّانيّة، بينما العقليّات غير المسلمة تبني أُسُسَها على معارفَ وخبرات بشريّة، وبالتالي المحاذير والضوابط قد يعتريها الخطأُ والنقصُ أحيانًا معيّنةً.

٦- الآخذ بالمعارف القرآنيّة صدقًا وعدلًا، إيمانًا واحتسابًا، تكسب العقل قوّةً وقدرةً على النقد، وتحيطُ النفسَ بالمناعة الإيمانيّة التي تحفظها من الإحباط أو الفشل.

٧- قد توجد العقليّة الناقدة وبكثرةٍ في المجتمع، لكنّها لا تُنكر خطأً ولا تُحدثُ تغييرًا؛ وذلك بسبب ضيق مساحة الحريّة الذي تعيش فيه هذه الشخصية.

٨- أهمّ معوّقات نجاح العقليّة الناقدة هو الاتباع بمفهومه السلبي، والقرآن الكريم حذّر من هذا الأمر في صورة النهي عن اتّباع الآباء والقبيلة، والمتمثّلة بالمجتمع أو أصحاب الرئاسة والمناصب.

التوصيات:

وفي نهاية البحث تظهرُ لي بعضُ التوصيات (أسأل الله تعالى أن ينفع بها، ويكتب لها القبول بين خلقه)، وتتلخص فيما يلي:

١- ضرورةُ تأصيل مفهوم البناء القرآني للعقليّة الناقدة في الجامعات والمؤسسات التعليميّة، وذلك من خلال دراسة مواضع النقد في الآيات والسور القرآنية.

٣- توصي الباحثة المعاهد العلمية ومؤسسات التعليم من جامعات وغيرها بإثراء المناهج الشرعية عن طريق إضافة مباحث النقد القرآني وكيف تأسس به مفهوم النقد والعقلية النقدية ومنهجية النقد العلمي الصحيح، حيث يخرج هذا أجيالا مصقلة بالوعي والمعرفة الصحيحة مما يعود على الأمة بالنفع العميم.

٣- المقوّم الرئيس لوجود العقليّة الناقدة في مجتمعنا هو المسلم نفسه، فالواجب على كل مسلم ترسيخُ البناء المعرفي القرآني، وذلك باستمرارية التدارس لحقائق القرآن، والتدبر العميق لمعانيه، حيثُ الإسقاط الحقيقي للخطاب القرآني ومقاصده على الواقع الذي يعيشه المسلم وحاجاته المتجددة، فتبرز الشخصية المسلمة الناقدة وتستطيع التأثير والتغير الإيجابي في المجتمع.

٤- لا بُدَّ من تفعيل التعاون بين المختصين في مجال قضية العقل الناقد والنقد وبين التربويين والمختصين في التفسير والدراسات القرآنية لإيجاد مساحات مشتركة تساند فيها الدراسات العلمية والاستنباطات القرآنية فيما يتعلق بالعقلية المسلمة الناقدة.

٥- اتّخاذ مدرسةٍ من قصص الأنبياء مع أقوامهم، في استخراج معايير ومنهجيّة العقليّة الناقدة، وجعلهم نماذجَ تُقام عليها الدراسات وتُستنبط منهم الأحكام.

تمّ بحمد الله وفضله، وأساله من واسع رحمة أن يبارك في هذا الجهد المتواضع، ويغمرني بواسع جوده وإحسانه في قبول هذه الرسالة، وينفع بها الأمة، وتكون سببا لرضاه والفوز بالجنة، وإن أحسنت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم.

إبراهيم مصطفى، وآخرون: **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإسكندرية: دار الدعوة، د. ط، د.ت).

إبراهيم: إسماعيل، **التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق**، (د.م، دار الشروق، د.ط، ٢٠٠٩م).

إبراهيم: محمد قطب، **ركائز الإيمان**، تحقيق وتخريج: علي بن نايف الشحود، (د.م، د.ن، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

أحمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

الأزهري: محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض، (بيروت: دار الأحياء، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

الأنصاري: فريد، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

بريغش: محمد حسن، "الطغيان والطاغية من خلال قصة فرعون"، **المنتدى الإسلامي**، العدد

١٥٢، يوليو ٢٠٠٠م.

البغوي: الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).

.....**بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، تحقيق: موسى الدويش، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، **الكلّيّات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

بكار: عبد الكريم بن محمد الحسن: **تكوين الفكر**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

أبو بكر الجزائري: جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

البنا: فؤاد عبد الرحمن محمد، **التفكير الموضوعي في الإسلام**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

البيضاوي: ناصر الدين عبد الله الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ).

الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

التل: شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، (أربد: دار الكتاب الثقافي، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

التويجري: محمد بن إبراهيم، **موسوعة فقه القلوب**، (د.م: بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت).

ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، (بيروت: دار الكتب العلمة، د.ط، د.ت).

الجرجاني: علي بن محمد ابن الشريف، **التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

الجندي: أنور، **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

الجنيدي: حسن محمد، **الربا وصوره المتعددة في زماننا**، (د.م، د.ن، د.ط، ١٩٩١م).

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (دمشق: دار الفكر، ط٤، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

الحجازي: محمد محمود، **التفسير الواضح**، (بيروت: دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣هـ).

حسن شحاته، وزينب النجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، (القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

الحسن: بدران بن مسعود، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٩٩٩م).

حسنه: عمر عبيد، **الأعمال الفكرية الكاملة الفكرية الكاملة نظرات في مسيرة العمل الاسلامي**، (بيروت–عمان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

حسنه: عمر عبيد، **الشاكلة الثقافية**، (بيروت–دمشق–عمان: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

الحميري: عبد الواسع، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

حوامده: مصطفى محمود، منهج القرآن الكريم في البناء المعرفي، **المؤتمر العربي الرابع**، المدخل المنظومي في التدريس والتعليم، (القاهرة: جامعة عين شمس–مركز تطوير تدريس

العلوم،٢٠٠٤م).

حوى: سعيد، **المستخلص في تزكية الأنفس**، (مصر: دار السلام، ط١١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن الكريم**، (دمشق: دار القلم، ط٦، ١٤٠٣هـ/٢٠١٥م).

خليل: عماد الدين: **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**، (بيروت: المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، ط١، د.ت).

.....**إعادة تشكيل العقل المسلم**، (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية، ط١، ١٤٠٣هـ).

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، **السنن**، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، (د.م، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ م).

الرازي: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ).

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التميمي، **مفاتح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).

الراشد: فلوه بنت ناصر بن حمد، "صناعة القدوات بالتربية بالقرآن ودورها في إصلاح المجتمع"،

بحوث ملتقى التربية بالقرآن، المجلد، الرابع، فبراير، ٢٠١٥م.

الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

رحمة: محمد علي عمر، "المنهج الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية"، **المركز الإسلامي الإفريقي**، العدد ٢٨، يوليو، ٢٠١٤م.

الرشدان: لبنى حسين محمد، **التفكير الناقد في التربية الإسلامية**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (د.م: جامعة اليرموك، ٢٠٠٩م).

.....التفكير الناقد في فكر ابن تيمية، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، المجلد ١٨، العدد الثاني، ٢٠١٧م.

الرشدان: محمود عايد، "حول النظام المعرفي في القرآن الكريم"، **مجلة إسلاميّة المعرفة**، المجلد الثالث، العدد العاشر، خريف، ١٩٩٧م.

رشيد رضا، **تفسير المنار**، (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م).

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه**، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م).

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م).

.....**أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

سابق: سيد، **العقائد الإسلامية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).

السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م).

أبو السعود: محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت).

الشرقاوي: حسن، **الجدل في القرآن**، (الإسكندرية، منشأة المعارف، ط١، ١٩٨٦م).

شرقي: أعمر نادية أمال، **التفكير الناقد وأهميته للعملية الإبداعيّة**، https://ila.io/f9NS، تاريخ آخر تحديث: ٢٠١٨/٠٥/١٩م.

الشعراوي: محمد متولي، **خواطر الشعراوي**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د. ط، د.ت).

الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ).

صلبيا، جميل، **المعجم الفلسفي**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٢م).

الطريري: عبد الرحمن بن سلمان، **العقل العربي وإعادة التشكيل**، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

الطريفي: عبد العزيز بن مرزوق، **الفصل بين النفس والعقل**، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣٩هـ).

الطنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة، ط١، ١٩٩٨م).

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).

ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).

العلواني: طه جابر: **الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

علي، إسماعيل إبراهيم، **التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق**، (عمان: دار الشروق، ط١،

٢٠٠٨م).

ابن فارس: أحمد القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام هارون، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

الفراهيدي: الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

فضل الله: محمد حسين: **الحوار في القرآن**، (لبنان، دار الملاك للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٩٦م).

.....**تفسير من وحي القرآن**، (بيروت: دار الملاك، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

فؤاد عبد الباقي: محمد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

.....**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المحقق: محمد

علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

القادري: جمال الدين أحمد، منهج معرفة الإنسان في القرآن، **نادي المدينة الأدبي الثقافي**، مجلد ٢٨، العدد ٥٥-٥٦، يونيو، ٢٠٠٥م.

القاسمي: محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

القرضاوي: يوسف القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت).

القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (عمّان: الرسالة، د.ط، ٢٠٠٩م).

قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (تركيا: دار الأصول العلمية، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

.....**معالم في الطريق**، (القاهرة: دار الشروق، ط١١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٧م).

قطب: محمد: **دراسات في النفس الإنسانية**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٠، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

.....**منهج التربية الإسلامية**، (القاهرة: دار الشروق، ط١٤،

١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر: **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

.....**الأمثال في القرآن**، تحقيق، فؤاد أحمد، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

الكبيسي: أحمد عبيد، العقل والقرآن حميمان فرق بينهما الجهل، **الندوة الفكرية: مكانة العقل في الفكر العربي**، ١٩٩٤م.

كفاني: علاء الدين، "معوقات التفكير الناقد"، **حولية كلية التربية**، جامعة قطر، العدد الثاني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الكيلاني: ماجد عرسان: **فلسفة التربية الإسلامية**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

.....**المقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، د.ت).

.....**أهداف التربية الإسلامية**، (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٩٨٨م).

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **أدب الدنيا والدين**، (بيروت: دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

المباركفوري: صفي الرحمن، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، (الرياض: دار السلام، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

المحاسبي: الحارث بن أسد، **العقل وفهم القرآن**، تحقيق: د. حسين القوتلي، (د.م: دار الفكر، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

المحنك: هاشم حسين ناصر، "المضامين النفسية في القرآن الكريم، (سورة طه) أنموذجًا"، **المؤتمر العالمي الثالث (القرآن وقضايا العصر)**، (الكوفة: دار أبناء للطباعة والنشر، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

مختار: حسن علي، **دور المعلم في تنمية قدرة التفكير الناقد لدى الطالب**، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، د.ط، ١٩٩٣م).

مصطفى: معتصم بابكر، **أساليب الإقناع في القرآن الكريم**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

المناوي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

ابن منظور: محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

حبنكة: عبد الرحمن بن حسن: **معارج التفكر ودقائق التدبر**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

.....**الأمثال القرآنية**، (دمشق–بيروت: دار القلم، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

.....**الحضارة الإسلامية**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

نخبة من المؤلفين، **الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد**، (الدوحة: مركز البحوث والدراسات، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

الندوي: علي الحسني، **السيرة النبوية**، (مكة المكرمة: دار الشروق، ط٨، ١٤٠٩–١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق: يوسف علي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

الهرري الشافعي: محمد الأمين بن عبد الله العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

أبو وردة: منى حامد، **الصحة النفسية**، (الزلفي، جامعة المجمعة، د.ت).

يكن: فتحي، **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

رسائل جامعية:

جابر: تهاني عفيف يوسف، **منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي**، رسالة ماجستير، (الأردن: الجامعة الأردنية، ٢٠١١م).

جرادات، خولة أحمد محمد، **المؤلفات المعاصرة في التربية الإسلامية دراسة نقدية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (الأردن: جامعة اليرموك، ١٩٩٦م).

أبو دقة، سناء إبراهيم، **الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالتفكير الناقد وجودة الحياة لدى معلمي مرحلة التعليم الأساسي**، رسالة ماجستير، (الجامعة الإسلاميّة، غزّة، ٢٠١٣م).

التفكير الناقد في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (د.م، جامعة اليرموك، ٢٠٠٩م).

زين: قهار الدين محمد، **المعرفة في القرآن الكريم: وسائلها وفضائلها وغايتها**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (السودان: جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٨م).

سالم: مريم عمر السيد، **منهج القرآن في مخاطبة العقل البشري**، رسالة ماجستير، (أم درمان:

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م).

السباعي: مريم عبد القادر، **القصة في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ).

أبو السعود: عبد الله بن علي، **الإعجاز النفسي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، (الأردن: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م).

الشوربجي: إياد سمير جمعة، **التفكير الناقد لدى المرشدين التربويين وعلاقته بسماتهم الشخصية**، رسالة ماجستير، (غزة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م).

العدناني: إيمان تميم محمد، **جوانب الفساد في قصة شعيب عليه السلام مع قومه وإصلاحها**، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، (الأردن: جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٥م).

العلواني: أحمد عبد الستار حردان، **بناء النفس وأثره في تقويم السلوك البشري**، رسالة دكتوراه، (الأردن–عمان، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٥م).

القريوتي: طارق وليد حسن، **الأمن النفسي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، (عمّان: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣ م).

قلجة، ميساء كمال، **البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (غزة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م).

المزيني: فاضل بن سلطان، **ممارسة معلمي الثقافة الإسلامية مهارات التفكير الناقد واكتساب طلبتهم لها**، رسالة ماجستير، كلية التربية، (الأردن: جامعة مؤتة، ٢٠٠٩م).

مقالات في مجلات دورية:

الأصفر: عبد الخالق الأسود، "تعليم مهارات التفكير الناقد"، **مجلة القلعة**، العدد ١١، يوليو، ٢٠١٩م.

بشور: نجلاء نصير، "التنشئة على مهارات البحث والتفكير النقدي"، **المجلة العربية للثقافة**، المجلد السادس والعشرون، العدد الواحد والخمسون، سبتمبر ٢٠٠٧م.

....."التفكير النقدي"، **مجلة المنتدى الإسلامي**، العدد ٢٣٠، نوفمبر، ٢٠٠٦م.

البياتي، انتصار زين العابدين شهباز، "دور القرآن الكريم في البناء النفسي للمسلم"، **مجلة الآداب**، العدد ٣٩، ملحق حزيران، ٢٠١٩م.

حسيني: محمد أمين، "جوانب البناء القرآني وآلياته"، **مجلة مجمع**، العدد ٢١، ٢٠١٧م.

الحميد: حسن بن صالح، "تربية الإنسان في القرآن الكريم: قصة آدم وحواء نموذجًا"، **مجلة القلم**، العدد الثاني، ٢٠١٤م.

الدويش: الحاج محمد الحاج، "الحوار مع الآخر بين صدام الحضارات وعولمة التشريعات"، **مجلة**

بحوث ودراسات العالم الإسلامي، العدد الخامس، يناير، ٢٠٠٩م.

.....التفكير الناقد في فكر ابن تيمية، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، المجلد ١٨، العدد الثاني، ٢٠١٧م.

الرشدان: محمود عايد، "حول النظام المعرفي في القرآن الكريم"، **مجلة إسلاميّة المعرفة**، المجلد الثالث، العدد العاشر، خريف، ١٩٩٧م.

الرقاص: خالد بن ناهس، ويحيى عبد الله الرافعي، ومحمد سليمان الحيدري، "الأسس النفسية للنصيحة في ضوء التفكير الإبداعي والناقد"، **مجلة التربية**، المجلد الثاني، العدد ١٤٦، ديسمبر، ٢٠١١م.

الشخص: محمد رضا بن عبد الله، "استعمال لفظتي الشك والريب في القرآن الكريم"، **مجلة الدرعية**، المجلد ١٠، العدد ٤٠، تشرين الأول، ٢٠٠٧م.

طيبي: ميلود، "الشكّ المنهجيّ في الإسلام"، **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، المجلد السابع، العدد الأول، ٢٠١٦م.

عبد العال: حمدي، "قيم النقد في الثقافة الإسلامية"، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، المجلد السادس، العدد الخامس عشر، ١٩٨٩م.

عبده: بخاري أحمد، "نفحات قرآن، (وما أبرى نفسي)"، **مجلة التوحيد**، المجلد الخامس، العدد

التاسع، ١٤٠٧هـ.

.....معالم المنهج الإسلامي، **مجلة الرابطة المحمدية للعلماء**، العدد: ٢٧، ٢٠٠٨م.

القيسي: عامر، جوانب الإصلاح في قصة لوط في القرآن الكريم، **المجلة الأردنيّة للدراسات الإسلاميّة**، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ٢٠١٧م.

الماجد: ناصر بن محمد بن عبد الله، "القدوة الحسنة في ضوء لقرآن الكريم"، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٨، ٢٠١١م.

مطاريد: رمضان محمد، "النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي"، **مجلة وحدة الأمة**، السنة ٥، العدد العاشر، ٢٠١٨م.

نور: زهير عثمان علي، "النقد من منظور إسلامي"، **مجلة الشريعة والقانون**، العدد الثاني عشر، ٢٠٠٨م.

الهاشمي: عبد الحميد محمد، لمحات نفسية في القرآن الكريم، **مجلة دعوة الحق**، العدد الحادي عشر، صفر ١٤٠٢هـ.